

كلمة التحرير

وعنوان قوتهم - وكلُّ الذين لديهم ما يريدون قوله أو كتابته عن الحجاز تأريخاً وحضارة وتقاليد ومواقع وآثاراً وشخصيات... منذ نبي الله إبراهيم عليه السلام وهو يترك أهله «بوادٍ غير ذي زرع» وهو يودّع وجوده «عند بيتك المحرّم» وهو «يرفع القواعد من البيت» وهو يؤذّن «في الناس بالحج...» إلى عصر الإسلام الأول، حيث محمد بن عبد الله يضمّه غار حراء، وحيث انبثاق أعظم رسالة

قضت «ميقات الحج» أربع سنوات من عمرها، وهي تشقّ طريقها بتواضع، وترسخ أقدامها بثبات، وتمتدّ جذورها بعيداً في عالم الثقافة والمعرفة والفكر... كلّ هدفها رضا الله تعالى، وخدمة الحرمين الشريفين، والبقاع الأخرى المقدسة في مكّة والمدينة، مهدي الرسالة السماوية الخالدة؛ ولتفتح باباً يردّ منه كلّ المهتمين بشؤون الحج - الفريضة الإلهية المباركة، ورمز وحدة المسلمين

عرفتها البشرية، وأوحى لها السماء،
رحمةً للعالمين، من بين صخور جبل
النور، وحيث الصرخة الكبرى
﴿إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ﴾. ومروراً بعصور الإسلام
المتعاقبة، ثم عصرنا المملوء بالأحداث
والتساؤلات على كل المستويات
الفكرية والاجتماعية والاقتصادية
والسياسية.. وأيضاً العقائدية
والفقهية، التي باتت هي الأخرى
تشكل علاجاً، ومأوى يلجأ إليه كلُّ
المتحيرين؛ لمعرفة رأي السماء فيما يدور
حولهم، ويستحدث من مشاكل
ومعضلات، خاصة فيما يتعلق بأداء
هذه الفريضة المقدسة...

إنَّ «مِيقَاتُ الْحَجَّ» - التي ولدت
وشبَّت وترعرعت في قم المقدسة،
حيث الحوزة العلمية الشاخنة، وحيث
الجامعات والمؤسسات العلمية
والثقافية المنبثقة هنا وهناك في
الجمهورية الإسلامية - تأمل من
ساداتها العلماء والمفكرين والكتّاب
والأدباء في هذه البلاد وفي البلدان

الأخرى أن يردوها بما يقوّم وجودها
من عطائهم الثر، وأن يوردوها من
منهلهم العذب، وأن ينعموا عليها من
فكرهم الثاقب، وأن يسدّدوها بنقدهم
البناء، وهي المفتقرة دائماً إلى عطائهم
وإلى تسديدهم، والمنتظرة إرشادهم؛
لهذا ولغيره تتمنى أن لا تحرم من
موائدهم المليئة بكل ألوان المعرفة
فقهياً وفلسفةً وتأريخاً.. لتلتقط كل ما
حوته تلك الموائد - فهي لا تحوي إلا
الجميل - ولتضعه بدورها بين يدي
قارئها ومحبيها داخل إيران وخارجها،
ولا سيما بعد أن راحت تجد نفسها إلى
جوار مجالات أخرى من شتى البلدان،
وفي أماكن متعددة من العالم، ونالت
نصيبها من أوقات الكثيرين من
المحقّقين والباحثين، ومن آرائهم
وثنائهم، والأستاذ حمد الجاسر من
الرياض في المملكة العربية السعودية،
كان واحداً منهم. فقد تلقت مجلّتنا منه
رسالتين مفضّلتين بعث بهما إلى رئيس
تحريرها حجة الإسلام والمسلمين
السيد علي قاضي عسكر، ومما جاء

فيهما:

جميعها...».

«... ثم بما أكرمني من مجلة هي والحق يقال من خير المجالات المعنية بشؤون الحج...».

«... وأكرمت إكرامك لي بما أتخفتني به من تحف لطيفة، كان من أجلها وأعماها أثراً في نفسي أربعة الأجزاء الأولى من مجلة «مِيقَاتُ الْحَجِّ» هذه المجلة الرصينة، التي تحوي أبحاثاً ممتعة في موضوعها، وكنت أتمنى أن تمكنني صحتي وقوة بصري من الاستفادة من تلك الأبحاث القيمة

ولا تنسى الهيئة العلمية لتحرير هذه المجلة أن تقدم عظيم شكرها وخالص امتنانها لكل الأخوة والأصدقاء، الذين ساهموا مساهمة جليلة في إثرائها كتابةً وقراءةً ونقداً.. مما شجعنا على الاستمرار في إصدارها طيلة هذه السنوات، آملي أن تكون عند حسن ظن الجميع، فإن وفقنا لذلك فالخير أصبنا، وإلا فكل حسبنا أننا بذلنا جهدنا وحاولنا، سائلين الله أن يتقبل منا ومنكم إنه سميع الدعاء.

الحج في أحاديث الإمام الخميني

على الحجاج والزوّار الأعزاء أن يتوجهوا من الكعبة، وهي أفضل وأقدس بقاع الحبّ والجهاد، نحو كعبة أسمى؛ كما هو سيد الشهداء الإمام «أبي عبدالله الحسين (عليه السلام)» حيث توجه من إحرام الحجّ إلى إحرام الجهاد، ومن طواف الكعبة إلى طواف صاحب البيت، ومن الوضوء بزمزم إلى غسل الشهادة، وبهذا تبدّل الأُمّة إلى أُمّة ذات بنیان مرصوص لا تعرف الهزيمة. ولن تجرّأ لا القوى الشرقية ولا الغربية على مواجهتها.

ولا شك في أنّ روح الحج ونداءه، لا يمكن أن يكون غير هذا، حيث أن المسلمين يستلهمون من الحج الدستور العلمي للجهاد ضد النفس والهوى، والنهج لمقارعة الكفر والشرك.

على أية حال، إنّ إعلان البراءة في الحج تجديد لميثاق النضال، وهو تمرين لإعداد صفوف المجاهدين، ومواصلة الصراع ضد الكفر والشرك وعبدة الأوثان. كما وأنّه لا ينحصر برفع الشعارات، بل إنه منطلق علني لإعلان النضال،

وتنظيم صفوف جنود الله في مواجهة جنود إبليس والمتأسسين بإبليس. لهذا فالحج من مبادئ التوحيد الأولى.

إذا لم يعلن المسلمون براءتهم من أعداء الله، في بيت الله، فأين إذن يعلنون عن ذلك؟

وإذا لم يكن الحرم والكعبة والمسجد والمحراب، معقلاً وسنداً لجنود الله، وللمدافعين عن الحرم وحرمة الأنبياء، فأين إذن يكمن مأمنهم وملجأهم؟ وبكلمة واحدة، إن إعلان البراءة يمثل المرحلة الأولى للنضال، وأن مواصلة المراحل الأخرى هي من واجبنا، وأن أداءها في كل عصر وزمان، يختلف باختلاف الأساليب والبرامج الخاصة بذلك العصر والزمان، ولا بد من أن نرى ما الذي نتمكن من عمله في عصر كعصرنا، الذي عرّض فيه زعماء الكفر والشرك كل وجود التوحيد للخطر، وجعلوا من المظاهر القومية، والثقافية، والدينية والسياسية للشعوب العوبة لتلبية أهوائهم وشهواتهم الخاصة؟!

هل ينبغي ملازمة البيوت، والاكتفاء بالتحليلات، وبالتالي، إلقاء روح العجز والخنوع في قلوب المسلمين، والحيلولة دون وصول المجتمع إلى الإخلاص، الذي هو غاية الكمال ونهاية الآمال؟!

الحجّ في أحاديث الإمام الخامنّي - مد ظله العالی -

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير
سيدنا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى الخيرة من
أصحابه المنتجبين.

حلّ موسم الحجّ وهو يحمل بشائر أكبر لقاء سنوي للمسلمين، وجدير
بقلوب آلاف المشتاقين - الذين نالوا فيض اللقاء في هذا الموسم - أن تحقّق وتنتفض
لإعداد نفسها، وجدير بالملايين من المسلمين الراجين - الذين لم يُدرجوا هذا العام
في قائمة النائلين لهذا الفضل - أن يملأوا قلوبهم وأذهانهم بشذى وعبير استذكار كل
لحظات أيام السعداء ويدعوا لهم ولأنفسهم، ليعيش كلّ المسلمين العارفين خلال
أيام الحجّ - مع الحجّ وشعائره وآيات جلاله وجماله.

فريضة الحجّ كلّ عام تشكّل حادثة كبرى من حقها أن تستقطب - في تلك
الأيام المعلومات - الأفكار والاهتمامات والعقول والمشاعر في جميع أرجاء العالم
الإسلامي، وأن يعيش المسلمون معها، ويفكروا فيها كلّ بحسب موقعه الروحي

والفكري والسياسي، ومن الطبيعي أن الذين نالوا فيض الحج يحتلون مركز هذا التكليف والتوقع. وإذا كانت أبدانهم وأرواحهم وأفكارهم ومساعدتهم ممزوجة بالحج وبركاته وآثاره، فالأجدر أن يحصلوا على أكثر ما يمكن من العطاء المعنوي والروحي والفردى والاجتماعي لهذه الفريضة، وسيحصلون بإذن الله على ذلك.

بركاتُ الحج وإن كانت تستوعب كل جوانب الحياة البشرية، ويعمّ مطر رحمتهما جميع المجالات ابتداءً من خلوة القلب والفكر، ومروراً بساحات السياسة والاجتماع وعزّة المسلمين وتعاون الشعوب المسلمة، فتثريها وتحببها وتبث فيها نشاط الحياة.. ولكن قد يمكن القول: إن مفتاح كل هذا هو «المعرفة»، وأولى هدايا الحج - لمن أراد أن يبصر الحقيقة ويستثمر ما ألهمه الله من قدرة على فهم «الظواهر» - هي المعرفة المتكاملة، التي ينفرد بها الحج، ولا يحصل عليها المسلمون عادة إلا من هذه الفريضة، ولا تستطيع أية ظاهرة دينية أخرى أن تقدم للأمة الإسلامية تلك المنظومة الكاملة من المعارف كما يقدمها الحج، ومن هذه المنظومة المتكاملة من المعارف:

معرفة الذات على الصعيد الفردي، ومعرفة الذات على صعيد الانتماء للأمة الإسلامية العظمى، ومعرفة النموذج الموجود في الحج من تلك الأمة الواحدة، ومعرفة عظمة الله ورحمته، ومعرفة العدو..

مناسك الحج. للمحقق الكركي

ت «٩٤٠» هـ ق.

تحقيق: فارس حسن كريم، ابو الحسن المطلبي

ترجمة المؤلف^(١)

اسمه:

هو الشيخ الجليل نور الدين
أبو الحسن علي بن الحسين بن عبد العالي.

ألقابه:

العالمي، الفقيه، الكركي، العلائي،
المحقق الثاني.

مولده:

ولد الشيخ في مدينة كرك نوح^(٢)

سنة «٨٦٨» هـ.

قبس من سيرته:

قصد الشيخ بلاد العراق فوصل

النصف الأشرف حوالى سنة «٩٠٩» هـ،
وهناك نهل علومه حتى بزغ نجمه
واشتهر في الآفاق.

وحينما ظهرت الدولة الصفوية في
إيران - بعد فترة مريرة لاقى فيها الشيعة
شتى أنواع الاضطهاد - احتاجت في
أول أمرها إلى فقهاء يعلمون الناس
أُمور دينهم، ويشغلون المراكز التي من
خلالها تدار شؤون الناس.

وكان الشيخ رحمته الله على رأس
المهاجرين إلى إيران إضافة إلى عدّة من
علماء جبل عامل - حيث كانت تعجّ

الشيخ أحمد بن محمد بن أبي جامع،
الشيخ أحمد ابن محمد بن خاتون
العالمي.

مؤلفاته:

ترك الله العديد من المؤلفات القيمة،
منها: جامع المقاصد، الرسالة الجعفرية،
الرسالة الخراجية، الرسالة الرضائية،
رسالة الجمعة، حواشي مختلف الشيعة،
مناسك الحج - الرسالة التي بين
يديك -، وغيرها.

وفاته:

اختلف في تحديد سنة وفاته لله؛ فقد
قيل: سنة «٩٣٧» هـ؛ وقيل: سنة
«٩٣٨» هـ؛ وقيل: سنة «٩٤٠» هـ - وهو
الموافق لما ذكر من تاريخ وفاته بحساب
الجمل، وهو جملة «مقتدای شيعة» -؛
وقيل: توفي سنة «٩٤٥» هـ.
وقد قيل: أنه مات شهيداً مسموماً،
وقد قاله الشيخ حسين بن عبد الصمد
الحارثي «والد الشيخ البهائي».

التعريف بالكتاب:

الكتاب الذي بين يديك - عزيزي
القارئ - مختصر في مناسك الحج،
فتوائ، مع زيارة النبي ﷺ، وأعمال

بالعلماء آنذاك - فولاه الشاه إسماعيل
منصب شيخ الإسلام في اصفهان، ولما
تولّى الشاه طهماسب سنة «٩٣٠» هـ
منح الشيخ لقب نائب الإمام عليه السلام.

فكان الشيخ يكتب إلى جميع البلدان
كتباً بدستور العمل في الخارج، وما
ينبغي تدبيره في شؤون الرعية. فهو الله
بعد مؤسس النهضة الشيعية في إيران،
ومجدد المذهب، وواضع الأسس
الشرعية الدستورية لدولة الصفويين.

والشيخ الله مع ما كان له من الجاه
والنفوذ في إيران تركها راجعاً إلى
العراق لأسباب قاهرة.

شيوخه:

حضر الشيخ دروس كثير من علماء
عصره، منهم: الشيخ محمد بن خاتون
العالمي، زين الدين علي بن هلال
الجزائري، الشيخ أحمد بن الحاج علي
العالمي العينائي، زين الدين جعفر بن
حسام العالمي.

تلامذته:

لقد ربّى الشيخ أكثر من أربعمائة
مجتهد، منهم: الشيخ علي بن عبد العالي
الميسي، الشيخ زين الدين الفقعي،

المدينة المنورة.

قال الشيخ آقا بزرك الطهراني^(٣):
شرحه تلميذ المصنّف الشيخ شرف
الدين اليزدي، وسمّى الشرح بـ «هدية
الناج».

النسخ المعتمدة ومنهجية التحقيق:

١ - النسخة الخطيّة المحفوظة في
خزانة مخطوطات مكتبة آية الله العظمى
المرعشي النجفي^{رحمته} في قم المقدّسة،
ذكرت في فهرس المكتبة: ١٣ / ١٣٢
مجموعة رقم ٤٩٣٣، وكتابنا هو
الكتاب الثاني عشر في هذه المجموعة
ص ١٣٣ - ١٤٣، كتبت النسخة بخطّ
النسخ، ذات عناوين بارزة، عدد
سطور صفحاتها مختلف بقياس
١٨/٥ × ١٣ سم، ناسخها حسين بن
عبد الرحيم الرستمدي سنة
«٩٦٤» هـ بالمشهد الرضوي.

ورمزنا لها بحرف «ك».

٢ - النسخة الخطيّة المحفوظة في
نفس المكتبة المذكورة، ذكرت في
فهرس المكتبة: ٩ / ٨٧ مجموعة رقم
٣٣٠٧، وكتابنا هو الكتاب الثاني في
هذه المجموعة ص ٩ - ٢٧، كتبت

النسخة بقياس ١٥ × ١٢ سم وبخطّ
النسخ، ذات عناوين بارزة، احتوت
كلّ صفحة ١١ سطراً، على النسخة
تعليقات الشيخ علي بن محمد بن حسن
ابن زين الدين الجبعي العاملي - صاحب
كتاب الدرّ المنثور من المأثور وغير
المأثور - المولود سنة «١٠١٤» هـ،
والمتوفى سنة «١١٠٣» هـ، ناسخها محمد
ابن حسن بن أحمد بن فرج في رمضان
المبارك سنة «٩٤٦» هـ.

ورمزنا لها بحرف «ش».

والغريب أنّ هذه النسخة ذكرت في
فهرس المكتبة المذكورة تحت عنوان
«مناسك الحجّ الصغير» تأليف الشهيد
الثاني زين الدين بن علي العاملي، كما
فعل ذلك من قبل الشيخ آقا بزرك
الطهراني حيث ذكر مثل هذا في
الذريعة: ٢٢ / ٢٦٣ رقم ٦٩٨٥
مضيفاً: والنسخة في مجموعة رسائله
عند الميرزا محمد الطهراني، وفي كتب
الحاجّ ميرزا علي الشهرستاني.

ومما قوّى أن تكون المناسك هذه
من تأليفات المحقّق الكركي هو أنّ
الشيخ علي بن محمد الجبعي العاملي

ولم تتيسر لدينا حاشية الإرشاد المسماة «تعليق الإرشاد» للمحقق الثاني كي نطابق العبارة المشار إليها، والله أعلم بحقيقة الحال.

٣ - النسخة الخطيَّة المحفوظة في المكتبة الرضويَّة في مشهد المقدَّسة تحت الرقم ٢٦٤١، كتبت بخطَّ النسخ في ١٣ صفحة بقياس ٢١ × ١٥ سم، على النسخة شروح وتعليقات، والنسخة غير كاملة أشرنا لموضع انتهائها في متن الكتاب.

ورمزنا لها بحرف «ر».

وكنا في بداية عملنا أن قابلنا النسخ مع بعضها، ولفقنا نصّاً متقناً - قدر الإمكان - وأشرنا إلى مواضع الاختلاف بين النسخ، وما أثبتناه من إحداها جعلناه بين [] وأشرنا إلى نسخته.

والحمد لله ربّ العالمين

كتب في إحدى تعليقاته على النسخة^(٤) وتعقيباً لعبارة المصنّف: «ومن ليس على رأسه شعر يجزئه إمرار الموس على رأسه» قائلاً: استحباباً، وينبغي أن لا يجزيه عن التقصير، قاله المصنّف في حاشية الإرشاد. انتهى.

وبما أنّ الشهيد الثاني قد تناول «إرشاد الأذهان» بالشرح ثلاث مرّات، وكالتالي:

١ - «روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان» فرغ فيه من تأليف كتابي الطهارة والصلاة.

٢ - حاشية على عقود الإرشاد^(٥) ويبدو أنّها فقدت مع آثار آخر للشهيد.

٣ - حاشية الإرشاد وقد طبعت أخيراً مع غاية المراد للشهيد الأوّل بتحقيق الشيخ الفاضل رضا المختاري.

ومن خلال الرجوع إلى هذه الحاشية الكاملة نجد أنّ عبارة الشهيد في الحاشية هكذا: ويجب عليه مع ذلك التقصير مع إمكانه، لأنّه بدلٌ اختياريٌّ والامرار بدلٌ اضطراريٌّ فلا يجزئ عنه^(٦). وهو ما يختلف مع ما ذكره الشيخ عليّ العامليّ.

صفحة فارغة للمخطوطة

صفحة فارغة للمخطوطة ٢

فهذه جملة [كافِلة] ^(٩) تشتمل على ما لا بدَّ منه ^(١٠) في بيان مناسِك حج بيت الله الحرام، وزيارة رسوله وآله عليه وعليهم السلام، وضعتها على سبيل الاختصار، بالتماس خلاصة بعض الاخوان الأخيار، نفعه الله وإيانا بها،

بسم الله الرحمن الرحيم
[وبه نستعين] ^(٧)
الحمد لله على سوابغ نعمه الغزار،
والصلاة [والسلام] ^(٨) على نبيه محمد وآله الأطهار.
وبعد:

وأَجَزَلْ لَنَا جَمِيعاً ثَوَابَهَا، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ،
وهو حَسْبُنَا وَنِعَمَ الْوَكِيلُ.
وهي موضوعَةٌ على مقدِّمة
وفصلين^(١١):

أَمَّا الْمَقْدَمَةُ

فالحَجُّ لُغَةً: الْقَصْدُ الْمُتَكَرِّرُ.
وشرعاً: الْقَصْدُ إِلَى مَكَّةَ وَمَشَاعِرِهَا
لِأَدَاءِ الْمَنَاسِكِ الْمَخْصُوصَةِ^(١٢).
وهو أَوْلَى مِنْ جَعْلِهِ اسْمًا لِجَمِيعِ
الْمَنَاسِكِ الْمُؤَدَّاةِ فِي الْمِيقَاتِ وَمَكَّةَ
وَمَشَاعِرِهَا [لا]^(١٣) لِأَنَّ التَّخْصِصَ
خَيْرٌ مِنَ النُّقْلِ، لِأَنَّ ذَلِكَ حَيْثُ لَمْ يَثْبُتِ
النُّقْلُ، بَلْ لِأَنَّ النُّقْلَ بِمَنَاسِبَتِهِ^(١٤) أَوْلَى،
وَعَلَى الْأَوَّلِ فَتَبَيَّنَ مَعْنَى الْحَجِّ شَرْعاً
وَلُغَةً مَنَاسِبَةُ الْعُمُومِ وَالْخُصُوصِ،
بِخِلَافِ الثَّانِي.

ثُمَّ إِنَّ جَعْلَهُ لِلْمَنَاسِكِ يَقْتَضِي كَوْنَ
التَّعْرِيفِ لَفْظِيّاً لَا صِنَاعِيّاً.

ووجوبه في العُمُرِ مَرَّةً بِالنَّصِّ
وَالْإِجْمَاعِ، وَهُوَ عَلَى الْفَوْرِ، حَتَّى إِنْ
تَأَخَّرَ كَبِيرَةٌ مُؤَبَّقَةً^(١٥)، وَثَوَابُهُ عَظِيمٌ،
فَإِنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ مَعَ مَا
فِيهِ مِنَ الْمَشَاقِّ الْعَظِيمَةِ وَالْأَخْطَارِ

الْجَسِيمَةِ.

وَأَخْبَارُ فَضْلِهِ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ
الْمَغْفِرَةِ، وَمُضَاعَفَةِ الْحَسَنَاتِ، وَمَحْوِ
السَّيِّئَاتِ، وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ، بِطَرِيقِ أَهْلِ
الْبَيْتِ - عَلَيْهِمُ أَطَائِبُ الصَّلَوَاتِ - كَثِيرَةٌ
لَا تَكَادُ تُحْصَى.

وشرطُ وجوبه: الْبُلُوغُ، وَالْعَقْلُ،
وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي هِيَ الزَّادُ^(١٦) وَالرَّاحِلَةُ
فِي الْمَفْتَقِرِ إِلَى قَطْعِ الْمَسَافَةِ، وَالتَّمَكُّنُ مِنْ
الرُّكُوبِ وَالْمَسِيرِ، وَوُجُودُ الْحَرَمِ فِي
الْمَرْأَةِ مَعَ الْحَاجَةِ لَا مُطْلَقاً، وَنَفَقَتِهِ وَمَا
يَتَبَعُهَا حِينَئِذٍ، وَنَفَقَةٌ وَاجِبَةٌ ذَهَاباً
وَعُوداً.

وَيَشْتَرِطُ فِي صَحَّتِهِ الْإِسْلَامُ، فَلَا
يَقَعُ عَلَى الْكَافِرِ وَلَا عَنْهُ^(١٧)، وَلِمَبَاشَرَةِ
أَفْعَالِهِ التَّمْيِيزِ، فَلَا يَقَعُ مِنْ غَيْرِ الْمُمَيِّزِ
اسْتِقْلَالاً، بَلْ بِفَعْلِ الْوَلِيِّ.

وَأَنْوَاعُهُ ثَلَاثَةٌ: تَمَتُّعٌ، وَقِرَانٌ،
وَإِفْرَادٌ^(١٨).

فَالْتَمَتَّعَ فَرَضٌ مِنْ نَأْيٍ عَنْ مَكَّةَ
بِثَمَانِيَةِ وَأَرْبَعِينَ مِيلًا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ^(١٩)،
وَأَفْعَالُهُ الْوَاجِبَةُ مَرَّتَبَةً خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ:
النِّيَّةُ^(٢٠)، وَالْإِحْرَامُ بِالْعُمْرَةِ، وَالتَّسْلِيَةُ،
وَلِبْسُ ثَوْبِي الْإِحْرَامِ، وَالطَّوْفُ،

الفصل الأول: في [أفعال] (٢٧) عُمْرَةِ التَّمَتُّعِ

وفيه مباحث:

الأول: الإحرام.

ومعناه كَفُّ النفس عن أمورٍ مخصوصة إلى أن يأتي بالمحلل من الأفعال. ففي عُمْرَةِ التَّمَتُّعِ إلى التقصير، وفي غيرها آخره طواف (٢٨) النساء مع النية، وصِفَتُهَا فِي الْعُمْرَةِ الْمُتَمَتُّعِ بِهَا (٢٩) إلى حَجِّ الإسلام حَجِّ التَّمَتُّعِ، وأُلِّيَ التلبيات الأربع لعقدِ هذا الإحرام، لوجوب الجميع قربَةً إلى الله، مقارنةً بها أول التلبية.

ولمّا كان القصد إلى الأمور المذكورة الذي هو النية موقوفاً على فهمها احتيج إلى كشف ما لا بدّ [منه] (٣٠) من بيان المراد منه فيها.

فالعمرة لُغَةً: الزيارة، وشرعاً: زيارة البيت لأداء المناسك المخصوصة عنده (٣١).

والمتمتع بها اسم مفعول من التمتع وهو التلذذ والانتفاع، وإنما اختُصَّت بهذا الاسم لما يتخلل بينها وبين الحَجِّ من الاحلال، ممّا وقع الإحرام منه

ورَكَعَتَاه، والسعي، والتقصير، والنية، والإحرام بالحجّ، والتلبية، ولُبْسُ الثوبين، والوقوف بعرفة، والمبيت بالمشعر، والكون به، ورمي جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ (٢١)، والدَّيْحِ، والحلق أو التقصير، وطواف الحجّ، وركعتاه، والسعي وطواف النساء (٢٢)، وركعتاه، والمبيت بمنى ليالي التشريق، ورمي الجمرات الثلاث.

والأركانُ ثلاثة عشر: النية، والإحرام بالعمرة، والتلبية، وطوافها (٢٣)، وسعيها، والنية، والإحرام بالحجّ، والتلبية، والوقوف بعرفة، والكون بالمشعر، وطواف الحجّ، وسعيه، والترتيب.

والمراد بالركن هنا: ما يبطل الحجّ بالإخلال به عمداً لا سهواً، فيتحقق البطلان بفوات شيء ممّا عدّ ركناً (٢٤) عمداً خاصّةً، ولو كان الفائت الموقفين بطل مطلقاً، ولا تبطل باقي (٢٥) الأفعال وإن كان عمداً.

وأفعال القران والإفراد هذه، إلا أن العمرة فيها (٢٦) متأخرة، ويزاد فيها طواف النساء وركعتاه بعد الحلق أو التقصير، وكذا في كلّ عُمْرَةٍ مُفْرَدَةٍ.

مستمراً إلى إحرام الحج مع كونها معدودة من أفعال الحج. أو لما يحصل بها من الانتفاع بالثواب مضافاً إلى الحج أو مستمراً إليه وينسبها^(٣٢) إلى حج الإسلام تتميز عن العمرة المتمتع بها إلى حج النذر وشبهه.

والمراد بالقربة: وقوع الفعل على وجه الاخلاص، بحيث يثمر^(٣٣) القرب إلى رضاء - سبحانه -، ويحظى لديه مجازاً عن القرب المكاني.

وإطلاق القربات على الطاعات والعبادات في كلامه - سبحانه -، وكلامهم ﷺ يؤذن بإيثار هذه الكلمة على غيرها، ويشعر^(٣٤) بمزية لها.

وتحجب التلبيات الأربع مقارنةً للنية بالعربية على الوجه المنقول، وصورتها: لبيك اللهم لبيك، لبيك، إن الحمد والنعمة والملك لك، لا شريك لك لبيك.

ومعنى لبيك: إجابة بعد إجابة لك يا رب، أو إخلاصاً بعد إخلاص، أو إقامة على طاعتك بعد إقامة؛ لأنه إما من لبي إذا أجاب الدعاء، أو من اللب وهو الخالص من كل شيء، أو من لب بالمكان إذا أقام به.

وأصل اللهم: يا الله.

ويجوز في أن الكسر على الاستئناف، وتفتح فتقدّر اللام محذوفة، على أن جملتها تعليل لما قبلها، فيقتضي الفتح تخصّص^(٣٥) التلبية^(٣٦) بخلاف الكسر، فإنّ عدم التقييد بعلّة يقتضي العموم. وهذا هو المراد من قول أبي العباس المبرّد: من فتح فقد خصّ، ومن كسر فقد عمّ.

ويستحبُّ الإكثار من التلبيات الواجبة ومن المستحبات أيضاً، وخصوصاً: لبيك ذا المعارج لبيك، والباقي لبيك لبيك داعياً إلى دار السلام، لبيك لبيك غفار الذنوب، لبيك لبيك أهل التلبية، لبيك لبيك ذا الجلال والإكرام، لبيك لبيك تبتدئ والمعاد إليك، لبيك لبيك تستغني ويُفْتَقَرُ^(٣٧) إليك، لبيك لبيك مرهوباً ومرغوباً إليك، لبيك لبيك إله الحق، لبيك لبيك ذا النعماء والفضل الحسن الجميل، لبيك لبيك كشاف الكرب^(٣٨) العظام، لبيك لبيك عبدك وابن عبدك، لبيك لبيك أتقرب إليك بمحمد وآل محمد، لبيك لبيك يا كريم، لبيك لبيك بالعمرة المتمتع بها إلى

أَنَّ التَّلبِيَةَ جزءٌ وركنٌ، وهي للإِحرام كالتحريم للصلاة، ونسيان التلبية غير محلٍّ بصحة الإِحرام بخلاف نسيان النية.

وفي كون الإِحرام تركاً: يجيء به نحو الأفعال أو بالعكس تردّد، ولأوّل رجحان، أمّا عدّه فعلاً محضاً بناءً على تفسيره بتوطيئ النفس على الكفّ عن الأمور المخصوصة فلا يخلو من شيء؛ لأنّ المعروف في كلامهم أنّ الإِحرام عبارة عن اجتناب الأمور المخصوصة، والاختراع في التعريفات غير مقبول، وكذا الصوم.

وأما ما يحُرّم بالإِحرام: فالصيد، وهو الحيوان الممتنع بالأصالة اصطيداً، وأكلاً، وإشارة، ودلالة^(٤٣)، وإغلافاً، وذبحاً فيكون ميتة والفرخ والبيض كالأصل، والجَرَاد صيد^(٤٤)، والمتولّد بين الصيد وغيره يتبع الاسم. والنساء وطأً ولمساً [وتقبلاً ونظراً]^(٤٥) بشهوة لا بدونها، وعقداً له ولغيره.

والطيبُّ على العموم أكلاً ولمساً وتطيباً^(٤٦)، وإن كان المحرّم ميتاً - ولا

الحجّ لبيك. والإخلال بمقارنة النية للتلبية مبطل كتكبير الصلاة، وكذا إبدال بعض كلماتها التي لا بدّ منها بمرادفها كما لو قال: إجابةً بعد إجابةٍ لك بدل لبيك، ونحوه.

ويجب استدامة النية حكماً إلى آخره، فلو أخلّ [بها]^(٣٩) أثمّ ولم يبطل إِحرامه.

ويجب لبس الثوبين^(٤٠)، ويشترط كونهما من جنس ما يصليّ فيه [الرجل]^(٤١) خاليين من نجاسة، غير مخيطين، فيأتزّر بأحدهما ويتوشّح بالآخر، يغطّي به أحد المنكبين، أو يرتدي به فيغطّيها [معاً]^(٤٢) ولا يعقده. ولا يجوزُ النقص اختياراً، وتجوز الزيادة والابدال، لكن يستحبّ الطّواف في الأوّلين، ويجوز للنساء الإِحرام في المخيط والحريّر اختياراً، وهل يوصف لبس الثوبين بكونه شرطاً للإِحرام، أو جزءاً له، أو واجباً لا غير، أو وجه، والاشتراط أحوط.

أما النية فالتردّد فيها بين الشرط والجزء كسائر نيات العبادات، والأصحّ

وكذا لبس السلاح، وشتم الرباحين.
الثاني: الطواف حول الكعبة
الشريفة سبعة أشواط.
وهو صلاة إلا في تحريم الكلام كما
ورد به النقل.
ويجب فيه أمور:

الأول: الطهارة من الحدث ولو
اضطراريته، ومن الخبث بأنواعه، وهل
يعنى عما يعنى عنه في الصلاة؟ [فيه] (٥٨)
قولان، أظهرهما العفو، ولو طاف
جاهلاً بالنجاسة أجزأ.

الثاني: ستر العورة الواجب سترها
في الصلاة، ويختلف باختلاف الطائف.
الثالث: الختان في الرجل المتمكّن
خاصّة، وكذا الخنثى.

الرابع: النية: أطوف سبعة أشواط
في العمرة المتمتّع بها إلى حج الإسلام
حجّ التمتع لوجوبه قربة إلى الله.

الخامس: مقارنتها لأول الشروع
فيه، وإنّما يتحقّق بمحاذاة أول جزء من
مقاديم البدن؛ كطرف الأنف، أو البطن
لمن كان كبيره لأول الحجر علماً أو ظناً
يمرّ (٥٩) عليه كلّ، ولا يشترط استقباله
ثم الانحراف، بل يجوز جَعْلُهُ عَلَى

بأس بخلوق (٤٧) الكعبة، والاكتحال
بالسود، وبما فيه طيب.

وإخراج الدّم اختياراً، وقصّ
الأظفار، وإزالة الشعر وإن قلّ اختياراً،
والنظر في المِرآة، والادّهان اختياراً وإن
لم يكن الدهن مطيباً، وبالمطيب قبل
الإحرام إذا كانت رائحته تبقى.

وقطع الشجر والحشيش الأخضرين
الثّابتن في الحَرَم إلا في ملكه،
والإذخِر (٤٨) والمَحَالّة وعُودَيها (٤٩)،
وشجر (٥٠) الفواكِه.

والكذب [على الله] (٥١)، والجِدالُ،
وهو قول: لا والله، وبلى والله (٥٢).

وقتل هَوَامّ الجَسَد (٥٣) كالقمل، وكذا
إلقاؤه.

ولبس المخيط للرجل [والخنثى] (٥٤)،
والخفّين، وما يستر ظهر القدم له، فإن
اضطرّ شقّه [وجوباً] (٥٥). والخاتَم
للزّينة، والحلي للمرأة، إلا أن تكون
معتادة فيحرم إظهاره للزوج.

والحناء للزّينة، وتغطية الرأس
للرجل ولو بالارتماس، والوجه للمرأة،
والتظليل للرجل (٥٦) سائراً
[اختياراً] (٥٧) على الأصح.

اليسار ابتداء.

السادس: الحركة الذاتية أو العرضية مقارنةً للنية.

السابع: استدامتها حكماً - بمعنى أن لا يُحدث^(٦٠) نية تنافي الأولى - .

الثامن: جعل البيت على اليسار.

التاسع: إدخال الحجر.

العاشر: جعل المقام على اليمين، ويجب أن يراعي مقدار ذلك من^(٦١) كلِّ جانب، والدنوُّ من البيت أفضل.

الحادي عشر: خروج جميع البدن عن البيت، فلو مشى على الشاذروان - وهو أساس البيت قديماً -، أو كان يمس الجدار بيده من جانب الشاذروان [لم يصح]^(٦٢).

الثاني عشر: إكمال العدد.

الثالث عشر: حفظه، فلو لم يحصل العدد أصلاً، أو شك في النقيصة مطلقاً، أو في الزيادة قبل بلوغ الركن بطل.

الرابع عشر: الختم بموضع البداءة من الحجر، فلو زاد عليه متعمداً بطل، وناسياً يتخير في الإكمال سبعاً، والقطع إن بلغ في الشوط الزايد الحجر، وإلا قطع وجوباً، فإن أكمله فالثاني نفل^(٦٣).

الخامس عشر: الموالاة، وتحقق بإكمال أربعة أشواط، فإن قطعه قبلها استأنف وإن كان لضرورة، وإلا أتم^(٦٤)، ولا يجوز القطع مطلقاً، إلا لحاجة له ولغيره، ودخول البيت، ونحو ذلك^(٦٥).

ويحرم الطواف للعمرة وعليه بُرُّطلّه، [وهي قلنسوة طويلة كانت تلبس قديماً، وروي أنها من زي اليهود]^(٦٦) وكذا كل طواف يحرم ستر الرأس فيه. ويجوز الإخلاد إلى الغير في العدد بشرط كونه بالغاً لا ذكراً^(٦٧)، وفي اشتراط العدالة نظر.

ولو حاضت قبل إتمام^(٦٨) أربعة أشواط من طواف العمرة انتظرت الوقوف، فإن ضاق الوقت [ولم تطهر]^(٦٩) بطلت مُتعتها ووقفت وصارت حجتها مفردة، وتعتذر بعد ذلك.

وتجب ركعتا الطواف، ومحلها^(٧٠) المقام في البناء المعد لذلك الآن، فإن منع زحام صلى خلفه أو إلى جانيبه، ووقتها عند الفراغ منه، وهما كالأيومية، ولا جهر فيهما ولا إخفات حتماً، ولا

- أداء فيهما ولا قضاء^(٧١).
- ولو نسيهما رجع فأتى بهما في المقام، فإن تَعَذَّرَ فحيث شاء من^(٧٢) الحَرَم، فإن تَعَذَّرَ فحيث أمكن من البقاع، فإن ماتَ قضاها المولى.
- ونيتهما: أصلي ركعتي طواف العُمرَة المتمتع بها إلى حج الإسلام حج التمتع لوجوبها قرينة إلى الله.
- الثالث: السعي.
- وهو لغة: السرعة في المشي، وشرعاً: الحركات المعهودة من الصفا إلى المروة وبالعكس للقرينة.
- ويعتبر فيه أمور:
- الأول: النية: أسعى سبعة أشواط بين الصفا والمروة للعمرة المتمتع بها إلى حج الإسلام حج التمتع لوجوبه قرينة إلى الله.
- الثاني: مقارنتها للصفا، إمّا بأن يصعد عليه في أيّ جزءٍ منه^(٧٣)، أو بأن يُلصق عقبه^(٧٤) به، وإذا عاد ألصق أصابعه، وكذا يصنع في المروة.
- الثالث: الاستدامة حكماً - وقد مرّ تفصيلها^(٧٥).
- الرابع: الحركة مقارنةً للنية.
- الخامس: الذهاب بالطريق المعهودة^(٧٦)، ويختم بالمروة كما قدّمناه.
- السادس: إتمام السبعة، من الصفا إليه شوطان^(٧٧).
- السابع: استقبال المطلوب فلا يمشي القَهْقَرَى^(٧٨).
- الثامن: إيقاعه بعد الطواف والركعتين.
- التاسع: عدم الزيادة عمداً فيبطل بها حينئذٍ، لا سهواً، ولو لم يحصل العدّد أو شك في المبدأ وكان في المزدوج على المروة، أو في^(٧٩) الفرد على الصفا، أعاد دون العكس فيهما.
- العاشر: الموالاة كالطواف احتياطاً، والمُعتمد جواز البناء ولو على شرط.
- الحادي عشر: إيقاعه في يوم الطواف وجوباً على المشهور، وليس شرطاً في الصّحة.
- الرابع: التقصير، وهو إبانة مُسمّى الشعر أو الظفر، وبه يتحقّق [فيها]^(٨٠) الاحلال من إحرام العمرة المتمتع بها، أمّا المفردة^(٨١) فلا يتحقّق فيها الاحلال التام [إلا]^(٨٢) بالطواف للنساء وركعتيه بعده، وواجهه ثلاثة:

التلبّيات الأربع لعقد هذا الإحرام،
لوجوب الجميع قربةً إلى الله لبّيك إلى
آخرها.

ومحلّه للمتمتع مكّة، وأفضله^(٨٧)
المسجد، وخلاصته المقام^(٨٨) أو تحت
الميزاب، ولو تعذّر أحرم حيث
أمكن^(٨٩) ولو بعرفة.

وإحرام القارن والمفرد من مِيقَات
عُمرة التمتع، أو من دُوَيْرَةِ أَهْلِهِ إِنْ كَانَتْ
أَقْرَبَ [إِلَى مَكَّة] ^(٩٠). ولا يبطل بزوال
الشمس يوم التروية^(٩١) أو يوم عرفة
قبله، بل ولا بغروبها لا عامداً، إذا
أدرك المشعر اختيارياً أو اضطرارياً مع
اضطراريّ عرفة^(٩٢) على الأصح، لكن
يُسْتَحَبُّ إيقاعه بعد ظُهر التَّروية.

ولا يجوز له الطّواف بعد الإحرام
حتى يرجع من منى، فإن طاف ساهياً لم
ينتقض إحرامه، وقال الشيخ: يجدد
التلبية ليعقد بها الإحرام [والأصح
الاستحباب]^(٩٣). أمّا القارن والمفرد
فيجوز لهما الطّواف.

[فائدة: لما كان موضع إحرام عمرة
التمتع والحج للقارن والمفرد واحداً وهو
المِيقَاتُ المعيّن شرعاً، أو منزل ذلك

الأوّل: النية: أقصرّ للاحلال من
إحرام العُمرة المتمتع بها إلى حجّ
الإسلام حجّ التمتع لوجوبه قربةً إلى الله.
ويجب فيها المقارنة للفعل والاستدامة
حكماً إلى الفراغ.

الثاني: كونه بمكّة، ولا يجب كونه
على المروة وإن استحبّ.

الثالث: تقديمه على إحرام الحجّ، فلو
أهْل^(٨٣) قبله عامداً انقلبت
[عُمْرَتُهُ] ^(٨٤) حجة مفردة على الأصح،
لرواية أبي بصير عن أبي
عبدالله عليه السلام^(٨٥)، وساهياً يقع ولا شيء
عليه، وجبّره بشاة أفضل.

وأما الجاهل ففيه وجهان، أوجهها
إلحاقه بالعامد. ويتعيّن التقصير في عُمرة
التمتع فلا يجزئ الحلق عنه بخلاف
المفردة. والواجب إزالة الشعر بحديد،
أو نورة، أو نتف أو قرض بالسّن.

الفصل الثاني: في أفعال الحجّ وفيه مباحث:

الأوّل: الإحرام، ولا فرق بين إحرام
العُمرة والحجّ إلّا بالنية^(٨٦)، فينوي:
أحرم بحجّ الإسلام حجّ التمتع، وألبي

المكلف إن كان منزله أقرب إلى مكة من الميقات وجب تعيين المواقيت وهي ستة ؛ فلأهل المدينة ذو الحليفة^(٩٤)

وأفضله مسجد الشجرة وتعينه للأحرام منه أحوط، ولأهل الشام ومصر الجحفة، ولأهل اليمن يللم، ولأهل الطائف قرن المنازل - بسكون الرء -، ولأهل العراق العقيق^(٩٥) وأفضله المسلح^(٩٦) وأوسطه غمرة^(٩٧)، وآخره ذات عرق، ومن كان منزله أقرب فالميقات منزله، وميقات العمرة المفردة خارج الحرم ولو سلك طريقاً بين ميقتين أحرم إذا حاذى أحدهما في برٍّ أو بحر، فإن بين تقدمه أعاد وإلا أجزأ، ولو لم يحاذ ميقاتاً في إحرامه من أدنى الحل إلى الحرم أو مساواة أقرب المواقيت إلى مكة وجهان أحوطهما الثاني^(٩٨).

ولا يقف بنمرة وتؤبى وذو المجاز والأراك^(١٠١) فإنها حدود.

ويستحب ضرب الحباء^(١٠٢) بنمرة. ويشترط السلامة من الجنون، والإغماء، والسكر، والتَّوْم في جزءٍ من الوقت. ولو أفاض قبل الغروب عامداً عالماً لم يبطل حجّه، ووجب عليه بدنة^(١٠٣). ولو تعذر الوقوف [بها]^(١٠٤) نهراً أجزأ^(١٠٥) ليلاً. والواجب فيه مسمى الكون، وهو صالح للمشعر أيضاً.

الثالث : الوقوف بالمشعر^(١٠٦)، ويجب المبيت به ليلة العاشر ناوياً أول المبيت : أبيت هذه الليلة بالمشعر في حج الإسلام حجّ التمتع لوجوبه قرباً إلى الله. وهذا الوقوف فيه شائبة الاضطراري، أمّا الاختياري المحض فن طلوع فجر النحر إلى طلوع الشمس.

والواجب الكون^(١٠٧)، والركن هو مسمى الكون في هذا الوقت إن لم يكن وقفاً^(١٠٨) ليلاً، لكن لو أفاض قبل

[البحث]^(٩٩) الثاني : الوقوف بعرفة، ومعناه الكون بها يوم التاسع، ووقته من زوال الشمس إلى غروبها ناوياً فيه : أقف بعرفة إلى غروب الشمس في حج الإسلام حجّ التمتع لوجوبه قرباً إلى الله، ويجب استدامتها

الْفَجْر [عامداً] (١٠٩) عالماً وَجَبَ عليه شاة.

والاضطراري المحض من طلوع الشمس إلى زوالها، والواجب فيه المُسَمَّى. ولو أفاضَ قبل طُلُوع الشَّمْس فلا يُجاوز إلى وادي مُحَسَّر (١١٠) إلا بعد طلوعها، فإنْ فَعَلَ أَثْمَ وَلَا كَفَّارَةَ.

وتجب فيه النية مقارنة لأَوَّل الفجر: أَقْفُ بِالْمَشْعَر من طُلُوع الفجر إلى طُلُوع الشَّمْس في حَجِّ الإسلام حَجَّ التَّمَتُّع لوجوبه قرينةً إلى الله.

الرابع: نزول مِنى (١١١) يوم النَّحْرِ للَرَّمي والدَّبْح والحَلْق، وتجب مُراعاة (١١٢) هذا الترتيب فإنْ خالف أَثْمَ وَلَمْ يَبْطُلْ مَا فَعَلَهُ (١١٣).

والواجب في يوم النَّحْرِ [هو] (١١٤) رمي جَمْرَةِ الْعَقْبَةِ بسبع حَصِيَّات من (١١٥) الْحَرَمِ إِلَّا (١١٦) المساجد، ويجب أن تكون أَبْكَاراً، وَيُسْتَحَبُّ أن تكون بُرْشاً (١١٧)، مَنْقُطَةً مَلْتَقِطَةً (١١٨) رَخْوَةً كُحْلِيَّةً (١١٩)، بِمَا يُسَمَّى رَمِيًّا. وَيُشْتَرَطُ الإِصَابَةُ بِفِعْلِهِ مَبَاشَرَةً بِيَدِهِ، فلا تجوز (١٢٠) الاستنابة إِلَّا مع الضَّرورة. ووقته ما بين طلوع الشمس إلى

غروبها، وفضيلته من الطُّلُوع إلى الزَّوال. ويقضي لو فات مقدماً على الحاضر (١٢١)، ويخرج وقته بخروج أيام التشريق إلى قابل.

وتبيته: أَرْمِي هذه الجَمْرَةَ بسبع حَصِيَّات في حَجِّ الإسلام حَجَّ التَّمَتُّع أداءً لوجوبه قرينةً إلى الله، وكذا يصنع في رمي الجَمَرَاتِ الثَّلَاثِ في كلِّ يوم من أيام التشريق، وهي الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، مُرتَّباً يبدأ بالأوَّل، ثُمَّ بالوسطى، ثُمَّ بِجَمْرَةِ الْعَقْبَةِ، فلو نكس أعادَ على ما يَحْصُل معه التَّرتيب.

ويحصل بأربع إذا لم يكن عامداً فيتم ما بقي، ولو تعمَّد أو لَمْ يَبْلُغ الأَرْبَع أعاد، إِلَّا إِنَّهُ يُعِيد مطلقاً مع عدم بلوغها، ويُعيد على ما بَقِيَ من الجَمَرَاتِ دون التي رَمَاهَا أَرْبَعاً، فَيَقْتَصِرُ على إتمام رَمِيهَا.

ويجب ذبح الثَّنيِّ من النِّعَم الثلاثة (١٢٣)، ويجزئ من الضَّأْنِ الجَذَع [لَسَنَتِهِ] (١٢٤)، وهو ما كَمَلَ لَهُ سبعة أشهر، والثَّنيِّ من الإِبل [وهو] (١٢٥) ما دخل في السادسة، وفي غيرها ما دَخَلَ

في الثانية.

ويُشترط تمام^(١٢٦) الخلقة والصَّحَّة^(١٢٧)، وأن يكون على كُليتيه شَحْم، ويكفي الظَّن وإن ظهر بعد الذَّبْح خِلافه ولا يُجزئ المَعِيب، وتُحِبُّ الصَّدَقَةُ بُثْلُهُ، وإهداء ثُلْثِهِ، والأكل ناوياً عند ذبحه: أذْبَحْ هذا الهدي في حَجِّ الإسلام حَجِّ التمتع لوجوبه قُرْبَةً إلى الله.

ويُستحبُّ مباشرة الذَّبْح إن أحسنه، وإلا جَعَلَ يده مع يد الذَّابِح، وينوي في الصَّدَقَةِ والاهْدَاء والأكل: أَتَصَدَّقُ، أو أَهْدِي ثلث هَدي حَجِّ الإسلام [أو أكل من هدي حَجِّ الإسلام]^(١٢٨) حَجِّ التمتع لوجوبه قُرْبَةً إلى الله.

ويشترط في المهدى إليه الايمان، وفي محل الصَّدَقَةِ [الايمان و]^(١٢٩) الفقر معه، ولا ترتيب في الأقسام.

ويجب حَلْقُ الرَّأْس أو التقصير كما سبق مقارناً للنَّيَّة: أخلق أو أَقْصِر للإحلال من إحرام حَجِّ الإسلام حَجِّ التمتع لوجوبه قُرْبَةً إلى الله. واستدامتها حكماً إلى آخر الفعل.

ويستعين على المرأة والخُنْثَى

التقصير^(١٣٠)، ومن ليس على رأسه شَعْر يُجْزئُه إمرار المِوس على رأسه^(١٣١).

ولا يخرج عن مَنِ حَتَّى يَأْتِيَ بِالثَّلَاثَةِ في ذي الحِجَّة، فَإِنْ رَحَلَ^(١٣٢) رَجَعَ لِلذَّبْح والحَلْق بها طوله، فإن تعذر استناب في ذبح الهدي وحلق مكانه واجباً وبعث بالشَّعر ليدفن بها ندباً.

وأما الرَّمي فيفوت وقته بخروج الثالث عشر كما سبق.

وبالحَلْق يتحلل من المحرَّمات إلا الطَّيْب والنِّسَاء والصَّيْد، ثمَّ يتحلل من الطَّيْب بطواف الزِّيَّارة والسَّعي على الأقوى، فإذا طاف للنساء حلَّكن له، وبطوافهنَّ يحلَّ الصَّيْد الَّذِي حَرَّمَ بالإحرام.

الخامس: العَوْد إلى مَكَّة للطوافين والسَّعي، ويسمَّى الأوَّل طواف الحَجِّ، وطواف العَوْد، وطواف الزِّيَّارة، وطواف الرُّكْن، وطواف الصَّدْر^(١٣٣).

وكيفيَّة الجميع كما سبق إلا في النِّيَّة، فينوي هنا: أَطُوفُ سبعة أشواط طواف حَجِّ الإسلام حَجِّ التمتع لوجوبه قُرْبَةً

مُحَسَّرٌ.

ويجب في المبيت النية مقارنة لأول الليلة مُستدامة الحكم: أبيت هذه الليلة بمنى في حَجِّ الإسلام حَجَّ التمتع لوجوبه قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ.

والمفرد والقارن مُحْرمان من الميقات بالحج، ويأتیان بأفعال الحج إلى آخرها، وبعد الفراغ يأتیان بعُمْرَةٍ مفردة.

والفرق بينهما أَنَّ المفرد لا يقرن بإحرامه هَذِيًّا بِخِلَافِ الْقَارِنِ، وَحِينَئِذٍ فَيَذْبَحُهُ أَوْ يَنْحَرُهُ بِمَنَى إِذَا قَرَنَ بِهِ إِحْرَامُ الْحَجِّ، وَيَقْسِمُهُ أَثْلَاثًا كَهَدْيِ التَّمَتُّعِ.

ولو كان نائباً أَضَافَ إِلَى نِيَّتِهِ فِي كُلِّ فَعْلٍ: نِيَابَةً عَنْ فُلَانٍ، وَلَوْ قَالَ: «لَوْجُوبُهُ»^(١٣٥) عَلَيْهِ بِالْأَصَالَةِ وَعَلِيٍّ بِالنِّيَابَةِ «كَانَ أَكْمَلُ، فَيَنُوي فِي إِحْرَامِهِ: أَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ الْمُتَمَتِّعِ بِهَا إِلَى حَجِّ الْإِسْلَامِ حَجَّ التَّمَتُّعِ، وَأُلْبِيَ التَّسْلِيَّاتِ الْأَرْبَعِ - إِلَى آخِرِهِ^(١٣٦) - نِيَابَةً عَنْ فُلَانٍ لَوْجُوبِ الْجَمِيعِ عَلَيْهِ بِالْأَصَالَةِ وَعَلِيٍّ بِالنِّيَابَةِ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ لَبَيْكَ اللَّهُمَّ لَبَيْكَ»^(١٣٧) إِلَى آخِرِهِ .

وَكَذَا يَفْعَلُ^(١٣٨) فِي بَاقِي الْمَنَاسِكِ.

إِلَى اللَّهِ، أَصْلِي رَكْعَتِي طَوَافِ حَجِّ الْإِسْلَامِ حَجَّ التَّمَتُّعِ لَوْجُوبِهَا قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ، أَسْعَى سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ سَعْيِ حَجِّ الْإِسْلَامِ حَجَّ التَّمَتُّعِ لَوْجُوبِهِ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ، أَطُوفُ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ طَوَافِ النِّسَاءِ فِي حَجِّ الْإِسْلَامِ حَجَّ التَّمَتُّعِ لَوْجُوبِهِ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ، أَصْلِي رَكْعَتِي طَوَافِ النِّسَاءِ فِي حَجِّ الْإِسْلَامِ حَجَّ التَّمَتُّعِ لَوْجُوبِهَا قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ.

السادس: العود إلى منى للمبيت بها ليالي التشريق الثلاث، ويجوز لمن اتقى الصيد والنساء^(١٣٤) التفر في الثاني عشر، فسقط المبيت ليلة الثالث عشر ورَمِيَهُ، إِلَّا أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ وَهُوَ بِمَنَى. ويجزئ في المبيت الكون بها إلى نصف الليل، ولو باتَ بغيرها فعن كلِّ ليلةٍ شاة، إِلَّا أَنْ يَبِيتَ بِمَكَّةَ مُشْتَغَلًا بِالْعِبَادَةِ، وَاجِبَةٌ كَانَتْ أَوْ مُسْتَحَبَّةً فَلَا شَيْءَ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ خُرُوجِهِ حِينَئِذٍ مِنْ مَنَى قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ أَوْ بَعْدَهُ.

ويجب استيعاب الليلة بالعبادة إلا ما يضطر إليه من أكلٍ أو شربٍ، أو نومٍ يغلب عليه.

وَحَدَّ مَنَى مِنَ الْعَقَبَةِ إِلَى وَادِي

خاتمة

[فيها بحثان:] (١٣٩)

[الأول:] (١٤٠) يستحبُّ للحاجِّ زيارةُ النبي ﷺ بالمدينة استحباباً مؤكّداً، وكذا يستحبُّ لغيره. ويجبر الإمام (١٤١) النَّاسَ على ذلك لو تَرَكوهُ (١٤٢) لما فيه من الجَفَاءِ الْمُحَرَّمِ، كما يُجْبَرُونَ على الأذان.

وقد روي أَنَّهُ ﷺ قال: «مَنْ أَتَى مَكَّةَ حَاجًّا وَلَمْ يَزِرْنِي إِلَى الْمَدِينَةِ جَفَوْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ أَتَانِي زَائِرًا وَجَبَتْ لَهُ شِفَاعَتِي، وَمَنْ وَجَبَتْ لَهُ شِفَاعَتِي وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» (١٤٣).

ويستحبُّ زيارةُ فاطمة ؓ في بيتها و[في] (١٤٤) الرَّوَضَةِ والبقيع (١٤٥)، قالت ؓ: «أَخْبَرَنِي أَبِي: أَنَّهُ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أُوجِبَ اللَّهُ لَهُ الْجَنَّةُ».

قيل لها: في حياتكما؟

قالت: «نعم، وبعد موتنا» (١٤٦).

ويُستحبُّ زيارةُ الأئمّة الطاهرين ؑ، - [في البقيع، وهم: الحسن وزين العابدين والباقر والصادق - صلوات الله عليهم - .

روي [عن الباقر ؑ] (١٤٧) أَنَّهُ قال [١٤٨]: «ابْدُؤُوا بِمَكَّةَ وَاخْتِمُوا بِنَا» (١٤٩).

وعنه ؑ أَنَّهُ قال: «إِنَّمَا أُمِرَ النَّاسُ أَنْ يَأْتُوا هَذِهِ الْأَحْجَارَ، فَيَطُوفُوا بِهَا، ثُمَّ يَأْتُونَا فَيُخْبِرُونَا بِوَلَايَتِهِمْ، وَيَعْرِضُوا عَلَيْنَا نَصْرَهُمْ» (١٥٠).

وعن أبي عبد الله ؑ: «مَنْ زَارَ إِمَامًا مُفْتَرَضَ الطَّاعَةِ كَانَ لَهُ ثَوَابُ حَجَّةٍ مَبْرُورَةٍ» (١٥١).

وعن الامام الرضا صلوات الله عليه: «أَنَّ لِكُلِّ إِمَامٍ عَهْدًا» (١٥٢) فِي أَعْنَاقِ أَوْلِيَائِهِ وَشِيعَتِهِ، وَإِنْ مِنْ تَمَامِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَحُسْنِ الْأَدَاءِ زِيَارَةُ قُبُورِهِمْ، فَمَنْ زَارَهُمْ رَغْبَةً فِي زِيَارَتِهِمْ وَتَصَدِيقًا بِمَا رَغَبُوا فِيهِ كَانَتْ أَعْمَتُهُمْ شُفَعَاءَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١٥٣). (١٥٤)

البحث الثاني:

[في قولٍ وجيزٍ] (١٥٥) في بيان شيءٍ من كَفَّارَاتِ الْإِحْرَامِ:

فَأَمَّا الصَّيْدُ فَهُوَ مَا لِكَفَّارَتِهِ بَدَلٌ عَلَى الْخُصُوصِ كَالنَّعَامَةِ فَإِنَّ فِيهَا بَدَنَةً، فَإِنْ عَجَزَ عَنْهَا فَضَّ قِيمَتَهَا عَلَى الْبَرِّ وَأَطْعَمَ كُلَّ مَسْكِينٍ نِصْفَ صَاعٍ، فَإِنْ زَادَتْ عَنْ

النجاسة بهما - وجب التصدق بكف من طعام.

وفي الوضوء وما الحيق به لا شيء، وفي تغطية الرأس ولو بالارتقاس في الماء^(١٥٩) أو حمل ساتر شاة، وكذا في التظليل سائراً، وفي الجدال ثلاث مرّات صادقاً شاة، ولا شيء فيما دونها، وكاذباً بدنة، وفي الاثنين بقرة، وفي الواحدة شاة.

وفي قلع الشجرة الكبيرة في الحرم بقرة وإن كان محلاً، وفي الصغيرة شاة، وفي الأبعاد والحشيش القيمة.

ولا كفارة على الجاهل والناسي والمجنون في شيء من ذلك، إلا الصيد فإن الكفارة فيه على الناسي والجاهل. وتتعدد بتعدد الأسباب اتحد الوقت أو اختلف، كفر عن السابق أو لا. ويتحقق التكرّر في الحلق بتغير الوقت، كأن يحلق بعض رأسه غدوة وبعضه عشية.

وكذا اللبس والتطيّب وأكل ما لا يحل.

وفي رواية محمد بن مسلم، عن الباقر عليه السلام: «إن لكل صنف من الثياب

ستين مسكيناً اقتصر على الستين، وإن نقصت اقتصر على [قدر]^(١٥٦) القيمة.

ومنه ما لا بدل له كالحامة فإن فيها شاة على المحرم في الحل، ودرهماً على المحل في الحرم، ويجتمعان على المحرم في الحرم.

وفي الجرادة والقملة إذا ألقاها أو قتلها^(١٥٧) كف من طعام.

وفي لبس المخيط عمداً دم شاة وإن كان مضطراً، لكن في الضرورة ينتفي الإثم خاصة، وكذا في لبس الحفّين ونحوهما، والظاهر أنه لا فرق في لزوم الكفارة بين أن يشقّها أو لا.

وفي قلم كلّ ظفر مد من طعام، وفي أظفار يديه أو رجليه أو هما في مجلس واحد دم، ولو تعدّد المجلس فدّمان.

وفي إزالة مسمى الشعر بحلق وغيره شاة، أو إطعام عشرة مساكين، لكل مسكين مد، أو صيام ثلاثة أيام.

ولو اضطرّ إلى حلق الرأس لأذى انتفى الإثم دون الكفارة، ولو وقع شيء من شعر رأسه أو لحيته بلمسه في غير الوضوء، وكذا الغسل على الأقرب^(١٥٨) - ولا يبعد إلحاق إزالة

- ٥ - أمل الآمل للشيخ الحرّ العاملي، نشر مكتبة الأندلس - بغداد .
- ٦ - بحار الأنوار للعلامة محمد باقر المجلسي، نشر مؤسسة الوفاء - بيروت ١٤٠٣ هـ. ق.
- ٧ - تاريخ كرك نوح للدكتور حسن عباس نصر الله، نشر المستشاريّة الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق - ١٤٠٦ هـ. ق.
- ٨ - تهذيب الأحكام لشيخ الطائفة الطوسي، نشر دار الكتب الإسلامية - طهران ١٣٩٠ هـ. ق.
- ٩ - جامع المقاصد للشيخ عليّ الكركي - مصنّف هذه الرسالة -، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم ١٤٠٨ - ١٤١٥ هـ. ق.
- ١٠ - الدرّ المنثور من المأثور وغير المنثور للشيخ علي بن محمد بن حسن ابن زين الدين الجبعي العاملي، نشر مكتبة المرعشي النجفي - قم ١٣٩٨ هـ. ق.
- ١١ - الدروس للشهيد الأوّل محمد ابن مكّي العاملي، نشر مكتبة الصادقي - قم.
- فداء» (١٦٠) وليس يبعد (١٦١)، وهو مقتضى كلام المنتهى، فعلى هذا يُعتبر تغاير الوقت في الصّنف الواحد دون المتعدّد (١٦٢) وهل يفرق بين ذي (١٦٣) الضّرورة وغيره في ذلك؟ فيه تردّد.
- ومحلّ الذبح والتّحر والصّدقة مكّة إنّ كانت الجناية في إحرام العُمرة وإنّ كانت مُتعة، ومنى [إنّ كانت] (١٦٤) في إحرام الحَجّ.
- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ.
- فهرس مصادر التحقيق**
- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - إحياء الدائر من القرن العاشر «طبقات أعلام الشيعة» للشيخ آقا بزرگ الطهراني، نشر جامعة طهران ١٣٦٦ هـ. ش.
- ٣ - الاستبصار لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٩٠ هـ. ق.
- ٤ - أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين، نشر دار التعارف للمطبوعات - بيروت ١٤٠٣ هـ. ق.

- ١٢ - الذريعة للشيخ آقا بزرك الطهراني، نشر دار الأضواء - بيروت ١٤٠٣ هـ. ق.
- ١٣ - روضات الجنّات للميرزا محمد الخوانساري، نشر مكتبة إسماعيليان - قم ١٣٩٠ هـ. ق.
- ١٤ - الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الثاني، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٠٣ هـ. ق.
- ١٥ - رياض العلماء للميرزا عبدالله أفندي الاصفهاني، نشر مكتبة المرعشي النجفي - قم ١٤٠١ هـ. ق.
- ١٦ - شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام للمحقق الحلي، نشر دار الأضواء - بيروت ١٤٠٣ هـ. ق.
- ١٧ - الصحاح للجوهري، نشر دار العلم للملايين - بيروت ١٤٠٤ هـ. ق.
- ١٨ - علل الشرائع للشيخ الصدوق، نشر مكتبة الداوري - قم.
- ١٩ - عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق، نشر مكتبة جهان - طهران.
- ٢٠ - غاية المراد للشهيد الأوّل ومعه حاشية الإرشاد للشهيد الثاني، نشر مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية - قم ١٤١٤ هـ. ق.
- ٢١ - فهرس مخطوطات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي «الطبعة الفارسية»، نشر المكتبة - قم ١٣٩٥ هـ. ق.
- ٢٢ - الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفري للشيخ عباس القمي.
- ٢٣ - الكافي للشيخ محمد بن يعقوب الكليني، نشر دار صعب ودار التعارف للطبوعات - بيروت ١٤٠١ هـ. ق.
- ٢٤ - كامل الزيارات لابن قولويه، طبع المطبعة الرضوية - النجف ١٣٥٦ هـ. ق.
- ٢٥ - لسان العرب لابن منظور الافريقي المصري، نشر أدب الحوزة - قم ١٤٠٥ هـ. ق.
- ٢٦ - لؤلؤة البحرين للشيخ يوسف البحراني، نشر مؤسسة آل البيت عليه السلام للطباعة والنشر - قم.
- ٢٧ - مدارك الأحكام للسيد محمد ابن علي الموسوي العاملي، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - مشهد ١٤١٠ هـ. ق.

- ٢٨ - مسالك الأفهام للشهيد الثاني، الصدوق، نشر جماعة المدرّسين في تحقيق ونشر مؤسسة المعارف الإسلامية - قم ١٤١٣ هـ. ق.
- ٢٩ - مستدرك الوسائل للميرزا حسن النوري «الطبعة الحجرية»، نشر المكتبة الإسلامية - طهران.
- ٣٠ - معجم البلدان لياقوت الحموي، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٩ هـ. ق.
- ٣١ - من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق، نشر جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة - قم.
- ٣٢ - نقد الرجال للتفريشي، نشر مكتبة الرسول المصطفى - قم.
- ٣٣ - نيات الحجّ والعمرة للشهيد الثاني، نشر في مجلّة «مِيقَاتُ الْحَجِّ» العدد رقم ٢ - بتحقيقنا -.
- ٣٤ - وسائل الشيعة للشيخ الحرّ العاملي، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٠٣ هـ. ق.

الهوامش :

- (١) تجد ترجمته في نقد الرجال: ٢٣٨ رقم ١٥٠، أمل الآمل: ١ / ١٢١ رقم ١٢٩، رياض العلماء: ٣ / ٤٤١ - ٤٦٠، لؤلؤة البحرين: ١٥١ - ١٥٤ رقم ٦٢، روضات الجنّات: ٤ / ٣٦٠ رقم ٤١٤، مستدرك الوسائل: ٣ / ٤٣١ «الطبعة الحجرية»، الفوائد الرضويّة: ٣٠٣ - ٣٠٦، طبقات أعلام الشيعة - القرن العاشر: ١٦٠، أعيان الشيعة: ٨ / ٢٠٨ - ٢١٣، تاريخ كرك نوح: ٨٨ - ٩٢، وغيرها.
- (٢) كركُ نوح: أي مدينة نوح، أو حصن نوح؛ وقيل: كركُ لفظة سريانيّة «كركو» بمعنى حصن أو معقل، وورد أيضاً بالعبريّة «كركونوّه» مدينة السلام، وضبطها العرب بفتح الكاف وسكون الراء، بمعنى الجبل تمييزاً لها عن كرك الأردن بفتح الراء.
- وروى سبط ابن الجوزي المتوفّى «٦٥٤» هـ قال: ببلد بعلبك في البقاع قرية يقال لها: الكرك فيها قبر يقال إنّه قبر نوح. «تاريخ كرك نوح: ٩ - ١٠».
- (٣) الذريعة: ٢٢ / ٢٦٩ رقم ٧٠٢٩.

- (٤) لاحظته في ص ٣٦ هامش ٣ .
- (٥) الدر المنثور: ١٨٦ / ٢ .
- (٦) حاشية الإرشاد - المطبوع مع غاية المراد - ج ١ ص ٤٥١ .
- (٧) من «ش» .
- (٨) من «ش، ك» .
- (٩) من «ر» .
- (١٠) في «ش، ر» : من .
- (١١) في «ر» : وفصول .
- (١٢) أي في أماكن العبادة المخصصة: كالطواف في الحرم، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفات، و... .
- (١٣) من «ش، ر» .
- (١٤) في «ش، ك» : لمناسبة .
- (١٥) من «ش، ك» .
- والموقفة: هي المهلكة، وهي كناية عن شدة عذابها في الآخرة أو المؤاخذة عليها في الدنيا، فيصير مؤخر الحج بمنزلة الهالك. «مسالك الأفهام: ١٢٢ / ٢» .
- والأدلة عليه من الكتاب والسنة كثيرة؛ انظر: سورة آل عمران: ٩٧، والوسائل: ٨ / ٣ أبواب الحج وشرائطه .
- (١٦) المراد بالزاد: قدر الكفاية من القوت والمشروب، ذهاباً وعوداً .
- (١٧) والكافر يجب عليه الحج ولا يصح منه. «شرائع الإسلام: ١ / ٢٢٨» .
- (١٨) ووجه التسمية:
- أمّا في الأفراد؛ فلانفصاله عن العمرة، وعدم ارتباطه بها .
- وأمّا القرآن؛ فلاقتران الإحرام بسياق الهدى. «مدارك الأفهام: ١٥٥ / ٧» .
- (١٩) يؤيده صحيحة زرارة عن الباقر عليه السلام. انظر: التهذيب: ٥ / ٣٣ ح ٩٨، الاستبصار: ٢ / ١٥٧ ح ٥١٦، الوسائل:
- ١٨٧ / ٨ ب ١ ح ٣ .
- (٢٠) في خ ل «ش»: وهو النية .
- (٢١) وهي تلي مكة، ولا ترمى يوم النحر إلا هي .
- (٢٢) ليحلّ له به، الباقي ممّا حرّم عليه؛ وهو إتيان النساء .
- (٢٣) أي طواف العمرة. حاشية «ش» .
- (٢٤) كذا في «ش، ر»، وفي «ك»: لفوات شيء عدّ ركناً .
- (٢٥) في خ ل «ش»: بباقي .
- (٢٦) في «ك، ر»: فيها .

- (٢٧) من «ش، ر».
- (٢٨) في «ك»: إلى طواف.
- (٢٩) أي المنتفع بها إلى الحج كما وصفها الله تعالى بقوله: «فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ» [سورة البقرة: ١٩٦]. «مسالك الأفهام: ٢ / ١٩١».
- (٣٠) من «ش، ر».
- (٣١) أو زيارة البيت محرماً للطواف والسعي. حاشية «ر».
- (٣٢) كذا في «ش، ر»، والكلمة غير مقروءة في «ك».
- (٣٣) في «ك»: يتميز.
- (٣٤) في «ش، ر»: ويسجل.
- (٣٥) في «ر»: تخصيص، وفي «ش»: فيقضي الفتح «تخصيص».
- (٣٦) أي لبيك بسبب أن الحمد لك.
- (٣٧) في «ك»: تغني ونفتقر.
- (٣٨) كذا في «ك، ر» وخ ل «ش»، وفي «ش»: الكروب.
- (٣٩) من «ك، ر».
- (٤٠) حقيقة أو حكماً ولو بين الحاكي. فحيث لم يحك اكتفي به عن ثوب. وكذا في الكفن. حاشية «ش».
- (٤١) من «ر».
- (٤٢) من «ش».
- (٤٣) الدلالة أعم من الإشارة مطلقاً لتحقيقها بالإشارة والكتابة والقول وغيرها، واختصاص الإشارة بأجزاء البدن، كاليد والعين والرأس. «مسالك الأفهام: ٢ / ٢٤٨».
- (٤٤) والجَزَادُ في معنى الصيد البرِّي. «شرائع الإسلام: ١ / ٢٤٩».
- (٤٥) من «ر»، وفي «ش»: ونظراً.
- (٤٦) في خ ل «ش»: وتطيباً.
- (٤٧) الخَلُوق - بفتح الخاء -: أخلط خاصة من الطيب، منها الزعفران. «مسالك الأفهام: ٢ / ٢٥٣».
- (٤٨) في «ش»: إلّا الإذخر.
- والإذخر: حشيش طيب الريح، أطول من الثيل ينبت على نبتة الكولمان، واحدها إذخرة. «لسان العرب: ٤ / ٣٠٣ - ذخّر».
- (٤٩) المحالة - بفتح الميم؛ وقيل: بكسرهما -: البكرة العظيمة، وعودها: اللذان يجعل عليهما ليستقي بها. «مسالك الأفهام: ٢ / ٢٦٧».
- (٥٠) في «ر»: وشجرة.
- (٥١) من «ك».

- (٥٢) وقيل: يتعدى إلى كل ما يسمى يمينا. «مسالك الأفهام: ٢ / ٢٥٨».
- (٥٣) الهوام - جمع هامة -: وهي دوابه. انظر الصحاح: ٥ / ٢٠٦٢.
- (٥٤) من «ش، ر».
- ويلحق بالمخيطة ما أشبهه: كالدرع المنسوج، وجبة اللبد، والملصق بعضه ببعض. «مسالك الأفهام: ٢ / ٢٥٥».
- (٥٥) من «ش».
- (٥٦) يتحقق التظليل بكون ما يوجب الظل فوق رأسه، كالمحمل؛ فلا يقدح فيه المشي في ظل المحمل ونحوه، عند ميل الشمس إلى أحد جانبيه. «مسالك الأفهام: ٢ / ٢٦٤ - ٢٦٥».
- (٥٧) من «ك، ر».
- (٥٨) من «ش، ر».
- (٥٩) في «ك، ر»: ليمر.
- (٦٠) في «ر»: بمعنى أنه لا يجدد.
- (٦١) في «ك»: في.
- (٦٢) من «ك، ش».
- (٦٣) في «ر»: فعل.
- (٦٤) في «ر»: أثم.
- (٦٥) في «ك، ر»: إلا لحاجة ونحوها.
- (٦٦) من «ش».
- (٦٧) في «ر»: يشترط كونه بالغاً ذكراً.
- (٦٨) في «ك»: تمام.
- (٦٩) من «ش».
- (٧٠) في «ك»: ومحلها، وفي «ش»: ومحلها خلف المقام.
- (٧١) وتبينهما هكذا: أصلي ركعتي الطواف؛ طواف عمرة الإسلام، عمرة التمتع أداءً، لوجوبه قرينة إلى الله «نيات الحج والعمرة: ٨٧».
- (٧٢) في «ك»: في.
- (٧٣) بحيث يرى البيت من بابه، ويحصل ذلك بالدرجة الرابعة. «مسالك الأفهام: ٢ / ٣٥٦».
- (٧٤) في «ر»: عقبه.
- (٧٥) في «ك، ر»: تفسيرها.
- (٧٦) في «ك»: الطريق المعهود.
- فلو اقتحم المسجد الحرام ثم خرج من باب آخر لم يجز. «مدارك الأحكام: ٨ / ٢٠٧».

- (٧٧) في «ك»: إتمام السبعة من الصفا إليه شوطاً.
- (٧٨) القَهْقَرَى: المشي إلى خلف من غير التفات بالوجه. «مسالك الأفهام: ٢ / ٣٥٨».
- (٧٩) في «ش» وفي .
- (٨٠) من «ر».
- (٨١) في «ك»: المنفردة.
- (٨٢) من «ك، ش».
- (٨٣) أُحْرَمَ. حاشية «ش».
- (٨٤) من «ك، ش».
- (٨٥) موسى بن القاسم، عن صفوان، عن إسحاق بن عمار، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المتمتع إذا طاف وسعى ثم لبّى قبل أن يقصر فليس له أن يقصر، وليس له متعة.
- تهذيب الأحكام: ٥ / ١٥٩ ح ٥٢٩، الاستبصار: ٢ / ٢٤٣ ح ٨٤٦، جامع المقاصد: ٣ / ٢١٢.
- (٨٦) في «ر»: بالتلبية.
- (٨٧) في «ش»: وأفضلها.
- وفي الأفضل منهما خلاف، ورجّح في الدروس المقام، وهو خيرة مختلف الشيعة، وهو الأصحّ.
- حاشية «ش».
- (٨٨) كذا اختاره الشهيد في الدروس: ٩٥.
- (٨٩) إللى هنا تنتهي نسخة «ر».
- (٩٠) من «ش».
- (٩١) هو اليوم الثامن من ذي الحجة، سمّي بذلك لأنّ الناس كانوا يتروّون فيه الماء ويحملونه إلى عرفة، انظر: علل الشرائع: ٤٣٥ ح ١.
- (٩٢) في «ك»: عزمه. وهو تصحيف.
- (٩٣) من «ش».
- (٩٤) وهو يضمّ الحاء وفتح اللام: موضع على سِتّة أميال من المدينة. حاشية «ش».
- (٩٥) هو واد وكلّه مِيقَات، فمن أيّ موضع منه أحرم صحّ، صرّح به جماعة. حاشية «ش».
- (٩٦) لم نقف على شيء نعتمد عليه في ضبط الحاء المهملة والمعجمة. حاشية «ش».
- وقد قيل: إنّهُ بالسين والحاء المهملتين واحد المسالّح، وهو المواضع العالية، وبالحاء المعجمة لنزع الثياب به. «الروضة البهيّة: ٢ / ٢٢٥».
- (٩٧) لم نجد في كون الميم ساكناً أو غيره شيئاً نعول عليه. حاشية «ش».
- (٩٨) ما بين المعقوفين من «ش».
- (٩٩) من «ش».

- (١٠٠) في «ش»: وهو ركن، فإن أخلَّ أثم.
- (١٠١) وكذلك عَرَنَة، فهذه الأماكن الخمسة حدود عَرَفَة.
- والأراك: شجر يُسْتَأْكُ بِقُضْبَانِهِ - أي: يُؤْخَذُ مِنْهُ السَّوَاكُ -، له حملٌ كَعَنَاقِيدِ الْعِنَبِ، يَمْلَأُ الْعُنُقُودُ الْكَفَّ.
- والمراد به هنا: مَوْضِعُ بَعَرَفَة، مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ قُرْبَ نَمِرَة.
- (١٠٢) الْخِبَاءُ: الخيمة، ونحوها.
- (١٠٣) في «ش»: وجبره ببدنة.
- (١٠٤) من «ش».
- (١٠٥) في «ش»: أجزأه.
- (١٠٦) حُدّه ما بين المَازَمَيْنِ إِلَى الْحِيَاضِ إِلَى وَادِي مُحَسَّرٍ. «شرائع الإسلام».
- وَالْمَازِمَانِ: مَضِيقٌ بَيْنَ جَمْعٍ وَعَرَفَة، وَآخِرُ بَيْنِ مَكَّةَ وَمِنَى. «معجم البلدان: ٢ / ١٦٣، وج ٥ / ٤٠».
- (١٠٧) في «ك»: الْكَلِّ.
- (١٠٨) في «ك»: إِنْ كَانَ قَدْ وَقَفَ.
- (١٠٩) من «ك».
- (١١٠) مُحَسَّرٌ: موضع بمنى. «الصحاح: ٢ / ٦٣».
- (١١١) سَمِيَ الْمَكَانُ الْمَخْصُوصُ بِذَلِكَ لِأَنَّ جَبْرَتِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ هُنَاكَ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَمَنَّ عَلَى رَبِّكَ مَا شِئْتَ. انظر علل الشرائع: ٤٣٥ ب ١٧٢ ح ١.
- (١١٢) في «ك»: رعاية.
- (١١٣) في «ك»: وَلَمْ يَبْطُلْ فَعْلُهُ.
- (١١٤) من «ك».
- (١١٥) في «ك»: فِي.
- (١١٦) في «ش»: لَا.
- (١١٧) الْمُرَادُ اخْتِلَافُ أَلْوَانِهَا وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْبَرَشِ وَالْمَنْقُطَةِ - مَعَ اشْتِرَاكِهِمَا فِي اخْتِلَافِ الْأَلْوَانِ - أَنَّ الْاِخْتِلَافَ فِي الْأَوَّلِ فِي جُمْلَةِ الْحِصَاةِ، وَالثَّانِي فِي الْحِصَاةِ نَفْسِهَا، وَيَجُوزُ الْعَكْسُ. «مسالك الأفهام: ٢ / ٢٩٠».
- (١١٨) أَيْ أَنَّ يَكُونُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مَأْخُودَةً عَلَى حَدِّهَا مِنَ الْأَرْضِ.
- (١١٩) أَيْ لَا تَكُونُ بَيَاضاً وَلَا سُوداً وَلَا حَمَراً. «مسالك الأفهام: ٢ / ٢٩٠».
- (١٢٠) في «ك»: فَلَا تُجَزِّئُ.
- (١٢١) في «ش»: الْوَاجِبُ.
- (١٢٢) في «ش»: وَلَمْ.
- (١٢٣) أَيْ: الْإِيلَ، أَوِ الْبَقَرَ، أَوِ الْغَنَمَ.
- (١٢٤) من «ك».

(١٢٥) من «ك».

(١٢٦) في «ك»: ويشترط فيه إتمام.

(١٢٧) فلا يُجزئ العَوْرَاء، ولا العرجاء البين عَرَجُهَا، ولا التي انكسرَ قرنُها الدَّاخلُ، ولا المقطوعة الأذن، ولا الخَصِيُّ من الفُحُول. «شرائع الإسلام: ١ / ٢٦٠».

(١٢٨) من «ش».

(١٢٩) من «ش».

(١٣٠) وَيَجْزِيهِنَّ مِنْهُ وَلَوْ مِثْلَ الْأَنْثَلَةِ. «شرائع الإسلام».

(١٣١) استحباباً، وينبغي أن لا يجزيه عن التقصير، قاله المصنّف في حاشية الارشاد. حاشية «ش».

(١٣٢) في «ك»: أحلّ.

(١٣٣) أي الرجوع.

(١٣٤) المراد باتّقاء النساء عدم إتيانهنّ في حال الاحرام بمعنى عدم الجماع لا مطلق ما يحرم على المحرم ممّا يتعلّق بهنّ كالقبلة واللمس بشهوة على ما ورد في لفظ الحديث وعبارة العلامة في المنتهى والتذكرة.

أما الحديث فالمروي عن الصادق عليه السلام: مَنْ أَتَى النِّسَاءَ فِي إِحْرَامِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَنْفِرَ فِي النَّفَرِ الْأَوَّلِ [الوسائل: ١٠ / ٢٢٥ ح ١].

وأما عبارة التذكرة: [١ / ٣٩٤] فهي قوله إنّما يجوز النفر في النفر الأول لمن اتّقى النساء والصيد في إحرامه فلو جامع في إحرامه أو قتل صيداً فيه لم يجز له أن ينفر في الأول. ومثلها عبارة المنتهى، ولأنّ المتبادر إلى الفهم من اتّقاء النساء وعدمه وهو مجانبية الوطى وعدمها، وكذا الظاهر أنّ المراد من اتّقاء الصيد عدم قتله كما هو ظاهر عبارة التذكرة والمنتهى أيضاً ويحتمل العموم في كلّ من الأمرين والأصل يدفعه. وفي بعض الأخبار اعتبار جميع محرّمات الاحرام واختاره ابن إدريس، والمشهور الأول، والاتّقاء معتبر في إحرام الحجّ قطعاً، وفي إحرام عمرة التمتع في وجه قويّ لأنّها جزء من الحجّ، وهل يفرّق بين العائد والناسي في الأمرين معاً فيكون الناسي متّقياً أم في النساء فقط إذ لا شيء على الناسي لو جامع بخلاف قتل الصيد سهواً أم لا..... فيهما؟ فيه أوجه، ولم أظفر في ذلك بكلام للأصحاب، إلّا أنّ المتبادر من الاتّقاء عدم المواقعة، والعمد والنسيان متصوّر إليهما. حاشية «ش».

(١٣٥) في «ش»: لوجوب الجميع.

(١٣٦) في «ش»: «للحجّ» بدل «إلى آخره».

(١٣٧) من «ش».

(١٣٨) في «ك»: الفعل.

(١٣٩) من «ش».

(١٤٠) من «ش».

(١٤١) في «ش»: الإمام عليه السلام.

(١٤٢) في «ش»: ذلك بمكة.

(١٤٣) الكافي: ٥٤٨/٤ ح ٥، كامل الزيارات: ١٣ ح ٩، من لا يحضره الفقيه: ٥٦٥/٢ ح ٣٣٨، علل الشرائع: ٤٦٠ ح ٧، التهذيب: ٤/٦ ح ٥، البحار: ١٠٠/١٤٠٠ ح ٥ و ٦.

(١٤٤) من «ش».

(١٤٥) وسبب خفاء قبرها عليها السلام دفن علي عليه السلام لها ليلاً من غير أن يشعر بها أحداً، فينبغي زيارتها في المواضع الثلاثة، وأفضلها بيتها، وأبعد الاحتمالات كونها في الروضة. «مسالك الأفهام: ٢/٣٨٣».

(١٤٦) التهذيب: ٦/٩ ح ١٨، عنه البحار: ١٠٠/١٩٤ ح ٩.

وأورده في مناقب ابن شهر آشوب: ٣/٣٦٥.

(١٤٧) ما بين المعقوفين أثبتناه من «ش».

(١٤٨) من «ش».

(١٤٩) الكافي: ٥٥٠/٤ ح ١، من لا يحضره الفقيه: ٥٥٨/٢ ح ٣١٣٨.

(١٥٠) الكافي: ٥٤٩/٤ ح ١، من لا يحضره الفقيه: ٥٥٨/٢ ح ٣١٣٩.

وقال الشيخ الصدوق رحمته الله: هذه الأخبار إنما وردت فيمن يملك الاختيار ويقدر على أن يبدأ بأيهما شاء من مكة أو المدينة، فأما من يؤخذ به على أحد الطريقين فاحتاج إلى الأخذ فيه شاء أو أبى فلا خيار له في ذلك، فإن أخذ به على طريق المدينة بدأ بها وكان ذلك أفضل له لأنه لا يجوز له أن يدع دخول المدينة وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بها وإتيان المشاهد انتظاراً لرجوعه، فربما لم يرجع أو اخترم دون ذلك، والأفضل له أن يبدأ بالمدينة.

(١٥١) أخرج في البحار: ١٠٠/١٢٤ ح ٣٢ عن البلد الأمين: روي أن من زار إماماً مفترض الطاعة بعد وفاته وصلّى عنده أربع ركعات كتبت له حجة وعمرة.

وأخرج في ص ١٣٠ ح ١٥ عن مصباح الزائر: عن الصادق عليه السلام قال: من زار إماماً مفترض الطاعة بعد وفاته

(١٥٢) قال الفاضل التفرشي: المراد بالعهد ما يشبه العهد فان من قال بإمامة الأئمة عليهم السلام وبأنهم أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن الله - عز وجل - فرض طاعتهم، فكأنه عهد إليه أن يطيعه ويخلص له عقيدته ويزوره إلى غير ذلك.

(١٥٣) الكافي: ٥٦٧/٤ ح ٢، كامل الزيارات: ١٢٢ ح ٢، من لا يحضره الفقيه: ٥٧٧/٢ ح ٣١٦٠، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٢٦٠ ح ٢٤، علل الشرائع: ٤٥٩ ح ٣، التهذيب: ٦/٧٩ ح ١٥٥ و ص ٩٣ ح ١٧٥، البحار: ١٠/١١٦ ح ١ و ص ١١٧ ح ٢ - ٤.

(١٥٤) زاد في «ك»: وليكن هذا آخر الرسالة، والحمد لله وحده، والصلاة على خير خلقه محمد وآله.

من تتمة منشآت المصنف - تعمده الله برضوانه - .

(١٥٥) من «ش».

(١٥٦) من «ك».

- (١٥٧) في «ش»: وقتلهما .
 (١٥٨) وكذا التيمّم. حاشية «ش» .
 (١٥٩) في «ك»: بالماء .
 (١٦٠) الكافي : ٤ / ٣٤٨ ح ٢، من لا يحضره الفقيه : ٢ / ٣٤١ ح ٢٦٢٣، التهذيب : ٥ / ٣٨٤ ح ١٣٤٠ .
 (١٦١) في «ش»: يبعد .
 (١٦٢) في «ش»: التعدّد .
 (١٦٣) في «ك»: ذوي .
 (١٦٤) من «ك» .

من معالم الحج والزيارة يلملم

الدكتور عبد الهادي الفضلي

يلملم معلمة من معالم الحج المهمة لأنه من المواقيت التي وقَّتها رسول الله ﷺ ، والحديث فيه أو البحث عنه يتطلب تصنيف الموضوع إلى الجوانب التالية :

١ - البحث عنه لغوياً .

٢ - البحث عنه جغرافياً .

٣ - البحث عنه حديثياً .

٤ - البحث عنه فقهيّاً .

فنقول - والله ولي التوفيق :-

يلملم لغوياً:

- (لغات الكلمة):

ذكرت المعاجم التي بين يدي ثلاث لغات (لهجات) للكلمة ، هي : (يلملم) ، (ألملم) ، (يرموم) .

وسمعت عند زيارتي للمنطقة من بعض أفراد قبيلة (فَهْم) القاطنين في أرض (الوُدَيان) من مركز يلملم ثلاث لهجات، هي: يلملم والملم، وململم... ويضيف الهمداني في (صفة جزيرة العرب) ص ٣٢٦ لهجة أخرى هي: (لملم).
- (جذر الكلمة):

وقد أدّى تعدد اللهجة في هذه الكلمة على الاختلاف بين اللغويين في تحديد جذر الكلمة والمادة الأصلية لها التي تدرج في المعجم تحت عنوانها، ويرجع إليها لمعرفة معناها اللغوي إلى الأقوال التالية:

١- ذهب الأزهري وابن فارس إلى أن الكلمة من المزيد الذي في أوله ياء، قال ابن فارس في (المجمل) - ٩٤٣/٤ - ٩٤٤ - (باب ما زاد على ثلاثة أحرف أوله ياء): «اليسروع: دويبة تشبه بها أصابع النساء لنعومتها وبياضها، ويبرين: موضع، وكذلك [يمؤود] ويللم...، وسبيل الياء سبيل الهمزة الزائدة في الرباعي والخماسي، لأن الياء إنما يعتبر بها في هذين البابين الحرف الذي بعدها». وقال في (المقاييس) - ١٦٠/٦ -: «فأما ما زاد على الثلاثة في هذا الباب مثل (اليربوع) وهي دويبة، و(يبرين) وهو موضع، و(يمؤود) و(يلملم) وهما موضعان، و(اليرندج) وهي جلود سود، وما أشبه ذلك، فإن سبيل الياء في أوائلها سبيل الهمزة في الرباعي والخماسي فانها زائدتان، وإنما الاعتبار بما يجيء بعد الياء، كما هو الاعتبار في باب الهمزة بما يجيء بعدها».

ونستخلص منه: أن جذر الكلمة ومادتها عنده (لملم)، والياء في (يلملم) مزيدة، والألف في (الملم) مبدلة من الياء، وفي (يرموم) زيدت الياء، وأبدلت الراءان من اللامين.

وتابعهما على ذلك المعلم البستاني في (محيط المحيط) فذكر الكلمة بلغاتها الثلاث في مادة (لملم).

٢- وذكر ابن منظور في (لسان العرب): يلملم في مادة (يلم)، ويرموم في مادة

(رَمَمَ)، ويلملم والملم في مادة (لمم).

ويعني هذا أن جذر الكلمة عنده ومادتها ثلاثي، وهو بالنسبة إلى كلمة (يرموم): (رَمَمَ)، و(يلملم) من غير إبدال (يلم)، وبإبدال يائها همزة (لمم).
وتابعه على ذلك الفيومي في (المصباح المنير) مع فارق اعتباره الأصل في الكلمة (الملم) - بالهمزة -، والياء في (يلملم) مبدلة من الهمزة، ولذا اعتد جذر الكلمة ومادتها (الم).

ونسق (المعجم الكبير) نسق (المصباح المنير)، وكذلك (تاج العروس) حيث ذكرت الكلمة فيه في مواد: (يلم) و(لمم) و(رَمَمَ).

- (وزن الكلمة):

أما وزن الكلمة فلا خلاف بينهم في أن وزنها (فَعْلَلْ)، قال ابن منظور في (اللسان) - مادة يلم - : «قال ابن بري: قال أبو علي: يلملم فَعْلَلْ، الياء فاء الكلمة واللام عينها والميم لامها».

ويدل هذا على أن الياء في الكلمة أصل وليس زائداً، وهو ما ذهب إليه ابن منظور - كما تقدم.

يلملم جغرافياً:

قال البكري في (معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع) - ١/١٨٧: «الملم - بفتح أوله - قال أبو الفتح: هو فَعْلَلْ - بفتح أوله - كَصَمَحَمَحَ، ولا يكون من لفظ الملمت، لأن ذوات الأربعة لا تلحقها الزيادة في أولها إلا في الأسماء الجارية على أفعالها، نحو مُدْخِرَجَ.

ويقال أيضاً: يلملم، وكذلك القول فيه، لأن الياء بدل من الهمزة. وهو جبل من كبار جبال تهامة، على ليلتين من مكة، أهله كنانة، وأوديته تصب في البحر، قال سلمى بن المُقْعَد:

ولقد نزعنا من مجالس نخلة فنجيز من حُتْنٍ بياض أَلَمَلَمَا

وفي ١٣٩٨/٢ قال: «يللم - بفتح أوله وثانيه - جبل على ليلتين من مكة، من جبال تهامة، وأهل كنانة، تنحدر أوديته إلى البحر. وهو في طريق اليمن إلى مكة، وهو مِيقَات من حج من هناك. ويقال: ألملم - بالهمز - وهو الأصل، والياء بدل من الهمزة، - وقد تقدم ذلك في حرف الهمزة -، وقال طُفيل:

وسلهبة تنضو الجياد كأنها رداة تدلّت من فروع يللم
وقال ابن مُقبل:

تراعي عنوداً في الريا وكأنها سهيل بدا في عارضٍ من يللم
وقال الهمداني في (صفة جزيرة العرب): ص ٣٢٦: «ويللم: مِيقَات أهل تهامة. وجاء في بعض الحديث: ألملم، مكان الياء همزة، قال طُفيل:

وسلهبة تنضو الجياد كأنها رداة تدلت من فروع يللم
وقال: لملم أيضاً».

وقال ياقوت في (معجم البلدان) - ٤٤١/٥ -: «يللم: ويقال: ألملم - والململم المجموع -: موضع على ليلتين من مكة، وهو مِيقَات أهل اليمن، وفيه مسجد معاذ بن جبل. وقال المرزوقي: هو جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث. وقيل: هو وادٍ هناك. قال أبو دهب:

فما نام من راعٍ ولا ارتد سامرٌ من الحي حتى جاوزت بي يللم
وقال البلادي في (معجم معالم الحجاز) - ٢٨/١٠ - ٢٩ -: «يللم - ياء مثناة

تحت، مفتوحة، وتكرير اللام والميم -: وادٍ فحلٍ من أودية الحجاز التهامية يأخذ أعلى مساقط مياهه من شفا بني سفيان، على قرابة (٣٠) كيلاً جنوب غربي الطائف، ثم يندفع غرباً في انحدار عميق بين صلاهيج^(١) جبال فيمر بالسعدية مِيقَاتُ أهل اليمن على طريق تهامة، على (١٠٠ كيل) جنوب مكّة، فيصب في البحر جنوب جدة على مسافة مرحلتين.

وهو وادٍ متعدد الروافد، منها: حُثْن، ووُدْيَان، وتَصِيل، ونُمار، وشكيل، وغيرها كثير مما يجعل سيله جارفاً.

وبه بعض الأراضي الصالحة للزراعة، ولكن لم تستصلح بعد. ونباته الأراك. وسكانه: في صدره: فَهْم، وبقية بني صاهلة من هُذَيْل، وأسفله: المجادلة من بني شعبة من كنانة.

وروافده الشمالية من ديار هُذَيْل.

فيه مركز حكومي تابع لإمارة الليث، وبه مركز صحي، ومقترح انشاء مدرسة في السعدية، وقد أنشئت، وأنشئت مدرسة بالملاقي حيث الامارة. وإمارته تضم قبيلة فهم فقط.

أما أسافله ففي السعدية امارة تابعة لقائم مقام مكّة.

وقال في المصدر نفسه ص ٢٩: «يللم، ويقال: ألملم، والململم المجموع: موضع على ليلتين من مكّة، وهو مِيقَاتُ أهل اليمن، وفيه مسجد معاذ بن جبل. وقال المرزوقي: هو جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث. وقيل: هو وادٍ هناك، قال أبو دهبيل:

فما نام راعٍ ولا ارتد سامرٌ من الحي حتى جاوزت بي يللمما^(٢)

وقال البكري: من جبال تهامة، وأهله كنانة، تنحدر أوديته إلى البحر، وهو في طريق اليمن إلى مكّة، وهو مِيقَاتُ من حج من هناك، ويقال: ألملم - بالهمزة -

وهو الأصل، والياء بدل من الهمزة - وقد تقدم في حرف الهمزة -، وقال طُفيل:

وسلهبة تنضو الجياد وكأنها سهيل بدا في عارض من يللمما.

وجاء في (المعجم الكبير) - مادة ألملم -: «ألملم (فَعْلَل): جبل من جبال تهامة على ليلتين من مكّة (نحو ٦٠ ك. م)، وهو ميقات أهل اليمن وأهل تهامة في الحج.

وأهله كنانة، وأوديته تصب في البحر».

وفي (محيط المحيط) - مادة لملم -: «ويللم أو ألملم أو يرمم: ميقات أهل اليمن، وهو جبل على مرحلتين من مكّة».

وفي (المصباح المنير) - مادة ألم -: «وألملم: جبل «في» تهامة، على ليلتين من مكّة، وهو ميقات أهل اليمن».

وفي (النهاية) - لابن الأثير -: «يللم: فيه ذكر (يللم) وهو ميقات أهل اليمن، بينه وبين مكّة ليلتان».

وقال الزبيدي في (تاج العروس) - مادة لم -: «ويللم وألملم أو يرموم، الثانية على البدل، ميقات أهل اليمن، للاحرام بالحج، وهو جبل على مرحلتين من مكّة، وقد وردت».

ونسنتج من هذا:

١ - أن الجغرافيين واللغويين القدامى اتبعوا في تحديد موقع (يللم) الطريقة المألوفة لديهم قديماً، وهي اعتبار الوحدة القياسية للمسافة بين منزلين (والمنزل - هنا - يراد به ما تنزله القوافل اثناء قطعها للمسافات) الليلة، ويريدون بها الامتداد المكاني الذي يقطعه السائر في نحو ليلة زمنية.

وقد يطلقون على الليلة باعتبارها وحدة قياسية للمسافة المرحلة - كما رأينا

في نص التاج -.

وتقدر الليلة بالكيلومتر (الوحدة القياسية المتعارفة الآن في بلداننا الإسلامية) بـ (٥٠ كم) - خمسين كيلومتراً - قد تنقص قليلاً، نظراً لاختلاف الطرق التي كانت تسلك قديماً سهولة وحزونة.

٢ - ان يللمل منزل من منازل الطريق بين مكة المكرمة واليمن، ويبعد عن مكة بمرحلتين أو ليلتين، أي: بينه وبين مكة المكرمة حوالي (١٠٠ كم) - مئة كيلومتر -.

وقدّرت المسافة في بعض المناسك - أمثال: منسك الشيخ محمد طاهر الخاقاني ومنسك الشهيد الصدر ومنسك السيد الكلبيگاني - بـ (٩٤ كم) - أربعة وتسعين كيلومتراً.

وهنا لا بدّ من التنبيه علماً أن لليمن إلى مكة المكرمة ثلاثة طرق، هي:

- ١ - طريق تهامة، وهو الذي يمر بيلملم.
- ٢ - طريق صنعاء - صعدة، ويمر ببيشة فوادي تربة فقرن المنازل فكة.
- ٣ - طريق حضرموت - نجران، ويلتقي مع الطريق الثاني بقرن تليث، فيمر أيضاً بقرن المنازل.

فالطريق المقصود هنا هو طريق تهامة.

ومنازله - كما في (مناسك) الحربي ص ٦٤٣ - هي: صنعاء - جازان - الليث - يلملم - مكة.

وعليه تكون النتيجة: إن لمعرفة موقع يلملم أمارتين هما:

- أ - وقوعه على طريق اليمن - مكة التهامي.
- ب - وعلى بُعد مرحلتين أو ليلتين من مكة.

وقد قمت في يوم الأحد ١٤٠٩/٦/١٥ هـ الموافق ١٩٨٩/١/٢٧ م برحلة استطلاعية بغية إجراء دراسة ميدانية للموقع الراهن.

غادرت جدة الساعة الثامنة صباحاً بسيارة (جيب تويوتا)، وكان معي

ابناني معاد وفؤاد وابنا عمتهما وهما السيدان حسن وحسين الخليفة، وسلطنا من مكة المكرمة الطريق الساحلي الذي يعرف بطريق الليث، وطريق اليمن الساحلي. وأهم المدن التي يمر بها الطريق، هي: مكة المكرمة - القنفذة - جيزان - حرض (وهو جمر ك الحدود السعودية) - اليمن.

وبعد ١٠٠ كم من مكة تقع على 'يمين الطريق محطة بنزين تعرف بـ (محطة الطفيل) - بفتح الطاء -، ويقابلها على 'يسرة الطريق مسجد حديث من إنشاء الحكومة السعودية للأحرام منه باعتباره محاذياً للميقات، إلا أنه كان مغلقاً ومهملاً حال وصولنا إليه؛ لعزوف الحجاج عن الأحرام منه بسبب عدم تيقنهم محاذاته للميقات.

وبعد ١١٠ كم من مكة وعلى 'يمين الطريق أيضاً هناك محطة تسمى (محطة المجيرمة)، وتحاذي هذه المحطة مركز السعدية الآتي ذكره بعد قليل.

وبعد ١٢٦ كم من مكة على 'يسار الطريق محطة ثالثة معروفة بـ (محطة الميقات) لأنها تحاذي ميقات يللم، وقد أشير إلى هذا في لوحة منصوبة على حافة الطريق، وفيها مسجد من الطين رجع بناؤه إلى عهد قريب، وآخر من البناء الجاهز من إنشاء الحكومة السعودية، وحمامات بدائية مصنوعة من الخشب العادي لاغتسال الحجاج، ينقل إليها الماء يدوياً من صهاريج من الصفيح قريبة من المقهى، وفيها أكثر من مقهى وأكثر من بقالة لبيع المواد الغذائية وملابس الأحرام، وأكثر من مطعم، وكلها من النوع الشعبي البدوي.

وعندما وصلنا إلى محطة الطفيل المذكورة في الساعة العاشرة قبل الظهر انحدرنا يسرة الطريق العام من منعطف قبيل المسجد المغلق - المشار إليه - في طريق ترابية ممهدة تمهيداً لسيروا.

وسار بنا هذا الطريق آخذاً إلى اليمن حتى صب - بعد مسافة قصيرة - في وادي يللم.

وبعد أن قطعنا حوالى ٢٥ كم من هذا الطريق وصلنا إلى مركز (السعدية).
ورأينا في هذا المركز على حافة الوادي اليمنى بستاناً لأحد أهالي مكة كما قال
لنا شخص كان يستقي الماء هناك.

وعلى مقربة من حافته اليسرى رأينا بئراً عميقة وقديمة، عليها مضخة
كهربائية تنقل الماء إلى خزان منصوب على حافة الوادي اليسرى، وفي داخل البئر
على الجهة المقابلة للقبلة صخرة ملصقة في جدارها كتب عليها العبارة التالية:
«هذه بئر العلي سلطان الهند ذي الإجلال محمد علي خان رحمه الله. صلى الله على
محمد وآله. سنة ١٢١١هـ».

وعلى حافة الوادي اليسرى قريباً من البئر مسجد حديث ومدرسة
ومستوصف، وهي من منشآت الحكومة السعودية، وبقالة وورشنة لإصلاح
السيارات.

وبعد بئر السعدية بحوالى كيلوين بئر أخرى مندثرة، وبالقرب منها على
حافة الوادي اليسرى قلعة حربية صغيرة، تشبه تماماً في تصميمها العام
وأحجارها وألوانها محطة قطار الحجاز بالمدينة المنورة، كتب على إحدى
أحجارها: «٩٩١ محمد علي پركسحاي (?)...».

ودلفنا إلى يللم مع الوادي، وبعد مسافة غير قليلة ضللنا الطريق خارجين
من الوادي إلى حرة على مرتفع حافته اليسرى، ثم وبعد السؤال من رعاة هناك
اهتدينا إلى الطريق وهبطنا الوادي ثانية، حتى انتهى بنا بعد خمسة وعشرين
كيلومتراً من السعدية، إلى الوديان، وهو مركز يللم.

وفيه محطة بنزين وعدة بقالات ومطعمان ومقهى ومسجد حديث من إنشاء
الحكومة السعودية سنة ١٤٠٢هـ، ومدرسة للبنات وأخرى للبنين ومركز
حكومي للإمارة، مكتوب على لوحته: (مركز إمارة يللم التابعة لإمارة الليث)،
وإمارة الليث تتبع إمارة مكة المكرمة.

وفيه أيضاً بعض الورش لاصلاح السيارات ولصناعة الأبواب والشبابيك الحديدية، وورش نجارة.

كما أن فيه بيوتاً قليلة بدوية المادة والبناء.

ويشرف على المركز في شرقي جنوبه جبل يللمم، ويسميه أبناء الوادي (يللمم) و(الوعرة)^(٣).

وقفنا بتصوير الجبل وبعض المرافق كالمسجد والمستوصف ومدرسة البنين.

وكان وصولنا إليه في الساعة الثانية عشرة قبيل الظهر بنصف ساعة.

وبعد أن تناولنا الغداء في أحد مطعميه، عدنا يضمننا بطن الوادي، الذي مررنا فيه على كثير من شجر السُمُر والأراك.

ورأينا في جزء منه عين تنز الماء نزاً، ويسيل منها إلى مسافة لا تقل عن أربعة أو خمسة كيلومترات وسط نهر صغير.

وشاهدنا في أكثر من موضع في الوادي، وفي الحرار على حافتيه محارق لصنع الفحم من أخشاب شجر الوادي، يعمل فيها سكان الوادي، وهي على الطريقة البدائية: حفرة صغيرة لا تزيد على مترين في ثلاثة أمتار، يطرح فيها الخشب ويغطى بشيء من الأعشاب اليابسة، ثم يلقى عليه قليل من النفط لإشعال النار، وتغلق الحفرة بالصفيح، ويستمر الإحراق نهائياً كاملاً.

وابتعنا كيساً كبيراً من الفحم بخمسين ريالاً للاستعمال المنزلي.

وصلينا الظهر في مسجد السعدية، ووصلنا إلى جدة الساعة الرابعة عصراً، والحمد لله على التوفيق والسلامة.

ولا يفوتني أن أشير إلى أن سكان الوادي من جهة يللمم قبيلة (فَهْم)، ومن جهة السعدية قبيلة (الجحادة).

(نتائج الاستطلاع):

١- أن وادي يللمم يبدأ من سفح جبل يللمم ضيقاً ثم يتسع شيئاً فشيئاً حتى

يتلاشئ بعد السعدية وقبيل الطريق الساحلي العام، ليلتقي مع أودية أخرى تصب جميعها في البحر الأحمر.

٢- أن قمة جبل يللم تشبه في شكلها الاسطواناني قمة جبل النور بمكة المكرمة.

٣- لم نهتد إلى رؤية أثر من بقايا طريق اليمن القديم المار بيللم مباشرة، الذي ذكره غير واحد من الجغرافيين والمؤرخين، ومنهم الحربي في (المناسك) - كما تقدم -.

وممن ذكره الهمداني في (صفة جزيرة العرب) ص ٣٤١ قال: «محجة صنعاء إلى مكة - طريقة تهامة: من صنعاء: صليت من البون ثم الموبد ثم أسفل العرقة وأخرف ثم الصرجة ثم رأس الشقيقة ثم حرض ثم الخصوف من بلد حكم ثم البحر ثم عثر ثم بيض ثم زنيف ثم ضنكان ثم المعقد ثم حكي ثم الجو ثم الجوينية من قنونا وتسمى القننة ثم دوفة وهي للعبيدين من بقايا جرهم ثم إلى السرين ثم المعجز ثم الخيال ثم إلى يللم ثم ملكان ثم مكة. هذه طريق الساحل. والمحجة القديمة إلى حلي العليا وتسمى حلية، وإليها ينسب أسود حلية، وهي التي يعني الشنفرى بقوله:

بريحانة من بطن حلية نورث لها أرج من حولها غير منست

ثم إلى عشم ثم على الليث ومركوب إلى يللم».

٤- رأينا آثاراً تدل على أن طريق الحاج كان يمر بالسعدية - التي هي محاذية ليللم على بعد ٢٥ كم - منها: اصلاح بئرها، والبئر الأخرى الواقعة قريباً منها، والقلعة الحربية.

ويستنتج من نسبة إنشاء بئر السعدية والقلعة بعدها إلى الهنود أن حجاج الهند كانوا يمرون من هنا.

ويؤيد هذا ما جاء في محاضرة للاستاذ حسن بن ابراهيم الفقيه عميد الكلية المتوسطة بالقنفذة، التي ألقاها في قاعة المسرح بمقر قيادة سلاح الحدود بالقنفذة، ونشر عدد الأربعاء الأسبوعي من جريدة (المدينة) - التي تصدر بجدة - تعريفاً لها ومقتطفات منها، بتاريخ ٢٣ رجب سنة ١٤٠٩ هـ، وعنوانها: (القنفذة مدينة قديمة يعود تاريخها إلى القرن الثامن الهجري)، فقد جاء فيها: «وتسجل بعض الوثائق التاريخية استخدام مينائها (ميناء القنفذة) باباً لمكة المكرمة يدخل عن طريقه حجاج جنوب الجزيرة العربية وحجاج جنوب شرق آسيا وخاصة حجاج الهند».

ولعل ما جاء في (كتاب الفقه على المذاهب الأربعة) - ١/٦٤٠ - من أن يللملم ميقات لأهل اليمن والهند، يشير إلى هذا أيضاً ويؤكدده. ويعني هذا أن الطريق القديم المار بيللملم مباشرة تحول إلى طريق السعدية، ثم تحول إلى الطريق الساحلي الحاضر. وبين طريق يللملم الراهن ٢٥ كم، فيكون بين موضع المحاذاة في الطريق الراهن وجبل يللملم ٥٠ كم.

ومن أشار إلى اتخاذ حجاج اليمن موضع السعدية محرماً المؤرخ التركي أيوب صبري باشا في كتابه (مرآة جزيرة العرب) - ٢/٢٤٦ - ترجمة الدكتور أحمد فؤاد متولي والدكتور الصفصافي أحمد المرسي، فقد جاء فيه تحت عنوان: (بداية المحمل اليمني وانقطاعه): «بدأ الوزير مصطفى باشا والي اليمن ينظم موكب المحمل الشريف باسم محمل صنعاء اليمن منذ سنة ٩٦٣ هـ بعد الفرمان الصادر بهذا الخصوص، والذي يسمح له بذلك، وعند وصول المحمل المذكور إلى مكة المكرمة كان المرحوم الشريف حسن يستقبله في (بركة ماجن) ثم يدخل المدينة.

تتحرك القوافل من (جبس) وتتجه نحو زبيد وتبقى في موقع (المخا) الواقع في الجنوب من الموقع السابق.

وتتحرك القافلة من زبيد متجهة نحو مرحلة (رفع) ومنها إلى (بيت العقبة الصغير) ومن هناك إلى (قطيع) ومنها إلى (المنصورية) ثم قلعة (فراوع) ومنها إلى (غاغية) ثم تنزل القوافل في (بيت الفقيه الكبير). وأحياناً يسلك حجاج صنعاء طريق بلاد (حباب وطويلة وبلاد بني الحياط وبلاد بني الأهلية) ثم يواصلون سيرهم في الطريق المعتاد. وتتجه القوافل التي ترد من أحد هذين الطريقين من بيت فقيه إلى (صعلب) ومنها إلى (دومة)، ومن هناك إلى (حيوان) وبعدها إلى (عالية)، ومنها إلى (أبو عريش) ثم (سلامة)، ومنها إلى (ربيش) ومن هناك إلى (نماو) ومن نماو إلى (عتود) ومنها إلى (شفيق) ثم (أبيار)، ومن هناك إلى (دهيان) حيث تحط القوافل رحالها تستريح وتتزود بزاد الطريق.

وتكثر الأشجار المسماة (شجر المقل) في أراضي مرحلة دهيان هذه. وتدخل قوافل الحج التي تغادر دهيان إلى منزل (بركة) التي من جملة آثار عمرو بن منصور من ملوك بني رسول. ثم تتحرك القوافل نحو (شفق)، ومنها تعاود سيرها حتى تنزل في استراحة (قنوتا)، وهذه الاستراحة في وادٍ مياهاه وفيرة، وله اسم آخر هو (الواديين). وتصل القوافل التي تغادر مرحلة قنوتا إلى (ليثة) [= الليث]، ثم منزل (هصم) المشهور بكثرة مائه، ثم تصل مرحلة (سعدية) التي تعد ميقات سكان تهامة اليمن.

وتعتبر مرحلة سعدية هذه من أكثر المراحل ماءً، وتبعد عن منزل (يللم) ثمانية عشر ميلاً.

٥- أن ما يعرف الآن بمحطة الميقات، والتي هي محرم الحاج في عصرنا هذا، لا تحاذي السعدية، ولكن بالإمكان أن تحاذي يللم لانعطاف الوادي. والمحطة التي تليها والتي تعرف بمحطة المجيرمة تحاذي السعدية، ولأنها تحاذي

السعدية تحاذي يللم أيضاً .

أما محطة الطفيل فتحاذي السعدية ويللم معاً ، وقد أنشأت الحكومة السعودية فيها مسجداً ليكون المحرم المحاذي ، ولكن عزوف الحاج اليماني عنه واستمراره على الإحرام من محطة الميقات ، استدعى الحكومة غلقه والإعراض عنه .

يللم حديثاً:

ورد توقيت (يللم) محرماً في الأحاديث التي تكفلت بذكر المواقيت الخمسة ، وهي أمثال :

- صحيح معاوية بن عمار عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : قال : «من تمام الحج والعمرة أن تحرم من المواقيت التي وقتها رسول الله صلى الله عليه وآله ، لا تجاوزها إلا وأنت محرم ، فإنه وقت لأهل العراق - ولم يكن يومئذ عراق - بطن العقيق من قبل أهل العراق ، ووقت لأهل اليمن يللم ، ووقت لأهل الطائف قرن المنازل ، ووقت لأهل المغرب الجحفة - وهي مهبة - ووقت لأهل المدينة ذا الحليفة ، ومن كان منزله خلف هذه المواقيت من ما يلي مكة فوقته منزله» ^(٤) .

- حسن الحلبي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : «الإحرام من مواقيت خمسة ، وقتها رسول الله صلى الله عليه وآله ، لا ينبغي لحاج ولا لمعتمر أن يحرم قبلها ولا بعدها .

وقت لأهل المدينة ذا الحليفة وهو مسجد الشجرة ، يصلى فيه ويفرض الحج ، ووقت لأهل الشام الجحفة ، ووقت لأهل نجد العقيق ، ووقت لأهل الطائف قرن المنازل ، ووقت لأهل اليمن يللم ، ولا ينبغي لأحد أن يرغب عن مواقيت رسول الله صلى الله عليه وآله» ^(٥) .

وهذين الحديثين الشريفين وأمثالهما احتج فقهاؤنا على مشروعية توقيت يللم محرماً ، وشرعية الإحرام منه .

وهناك أحاديث أخرى ذكر فيها أن وقت أهل اليمن هو قرن المنازل ، كالذي

رواه عبدالله بن جعفر في (قرب الإسناد) عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن ابن محبوب عن علي بن رئاب، قال: سألت أبا عبدالله (الصادق) عليه السلام عن الأوقات التي وقتها رسول الله صلى الله عليه وآله للناس، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وقت لأهل المدينة ذا الحليفة وهي الشجرة، ووقت لأهل الشام الجحفة، ووقت لأهل اليمن قرن المنازل، ولأهل نجد العقيق»^(٦).

والجمع بين الطائفتين من أحاديث التوقيت لأهل اليمن، هو أن الأحاديث التي ذكر فيها أن يللم هو وقت أهل اليمن أريد بها من ير من أهل اليمن على طريق تهامة - وهو الطريق الساحلي - والأول من الطرق الثلاثة التي ذكرتها آنفاً نقلاً عن (مناسك الحربي).

أما الأحاديث التي ذكر فيها أن مِيقَاتِ أهل اليمن هو قرن المنازل، فأريد بها من يسلك من أهل اليمن أحد الطريقين الآخرين اللذين يمران بقرن المنازل، وهما: طريق صنعاء - صعدة، وطريق حضرموت - نجران، أو غيرهما من الطرق المارة بالطائف.

وبهذا تكون الأحاديث بمجموعتها قد غطت جميع الطرق من اليمن إلى مكة المكرمة، التي كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أو في العصر الإسلامي الأول وما بعده حتى عصرنا هذا.

يللمم فقهياً:

واستناداً إلى النصوص الشرعية المتقدمة وأمثالها أفتى فقهاؤنا بمشروعية اعتبار يللمم محرماً، وبشرعية الإحرام منه، ولا خلاف بينهم في ذلك.

وقد اختلفت عباراتهم في التعبير عن ذلك بين مطلق ومقيد، ومنها: - ما جاء في (المقنع) و(الهداية) للصدوق و(النهاية) و(الجملة) للطوسي و(الشرائع) للمحقق: «ولأهل اليمن يللمم».

- وفي (المقنعة) للمفيد: «ووقت لأهل اليمن يللمم، وهي مِيقَاتُهُمْ ومِيقَاتُ كُلِّ

- من صحبهم من الحاج في طريقهم ومرّ عليه» .
- وفي (الجميل) للمرتضى و(الكافي) لابن الصلاح و(المراسم) لسأار و(الجامع) لابن سعيد: «وميقات أهل اليمن يللملم» .
- وفي (الاصباح) للصهرشتي و(الغنية) لابن زهرة: «ولن حجّ على طريق اليمن يللملم» .
- وفي (المهذب) لابن البراج: «ويللملم وذلك ميقات أهل اليمن ومن حجّ على طريقهم» .
- وفي (السرائر) لابن إدريس: «ووقت لأهل اليمن جبلاً يقال له يللملم، ويقال ألملم» .
- وفي (الإشارة) لابن أبي الفضل: «أو يللملم ويختص باليمنيين ومن نحا نحوهم» .
- وفي (الوسيلة) لابن حمزة: «والرابع ميقات أهل اليمن وهو يللملم» .
- وفي (القواعد) للعلامة و(الابتهاج) لآل عصفور: «ولليمن جبل يقال له يللملم» .
- وفي (اللمعة) للشهيد: «ويللملم لليمن»^(٧) .
- وفي (الهداية) لفتاوى الشيخ يوسف البحراني: «ويللملم لأهل اليمن ومن والاهم» .
- وفي (العروة) لليزدي: «الرابع يللملم وهو لأهل اليمن» .
- وفي (المنهاج) للحكيم: «الخامس يللملم وهو ميقات أهل اليمن ومن عبر على طريقهم إلى مكة من أهل الآفاق الآخر» .
- وفي (المنهج) للخنيزي: «ويللملم لأهل اليمن» .
- وفي (المناسك) للخوائي: «الرابع يللملم وهو ميقات من أراد الحج عن طريق اليمن» .

- وفي (الموجز) للصدر: «الرابع يللم» وهو جبل من جبال تهامة، ويقال إن بعده عن مكة يقدر بأربعة وتسعين كيلومتراً».

- وفي (الرسالة) للخاقاني: «المِيقَاتُ الرابع يللم وهو مِيقَاتُ أهل اليمن وكل من جاء على طريق يللم وجب عليه الإحرام منه، ويبعد هذا المِيقَاتُ عن مكة بأربعة وتسعين كيلومتراً».

- وفي (المناسك) للكلبيگاني: «خامساً يللم وهو جبل من جبال تهامة، ويبعد عن مكة المكرمة أربعة وتسعين كيلومتراً تقريباً، وهو مِيقَاتُ أهل اليمن ومن يمر على طريقهم إلى مكة من أهل الآفاق والأقطار والأمصار الأخرى»^(٨).
أطلت بذكر الفتاوى لأئمة على شيء مهم هنا، وهو أن جميع هؤلاء المفتين قصرُوا مِيقَاتُ أهل اليمن على يللم، والأمر - كما رأينا في النصوص الشرعية من الروايات المذكورة في أعلاه وأمثالها - ليس كذلك، لأن لليمن طرقاً أخرى لا تمر على يللم، وإنما تسلك إلى الطائف حيث يكون المِيقَاتُ قرن المنازل، والمحرم المحاذي وادي محرم.

ولأن الفتاوى - عادة - يفتى بها ليعمل المقلد على وفقها، كان على المفتي تعرف طرق اليمن أولاً والمنازل التي تمر بها إلى مكة، ثم الإفتاء في ضوء هذا. فكان الذي ينبغي أن يعبر به للافتاء أن يقال: (يللم: مِيقَاتُ من يسلك طريق اليمن التهامي (أو الساحلي) ماراً به - سواء كان من أهل اليمن أو تهامة أو غيرهما).

وليس هذا الأمر من الإطلاق في التعبير قاصراً على فقهاء الإمامية، فقد رأيت فيما لدي من كتب الفقه السني ما يشارك كتبنا الفقهية في هذا، ومنه:
- ما جاء في (المحلى) لابن حزم ٧/٧٠: «ولمن جاء على طريق اليمن منها أو من جميع البلاد يللم، وهو جنوب مكة، ومنه إلى مكة ثلاثون ميلاً».
- وفي (الروض المربع) للبهوتي: «ومِيقَاتُ أهل اليمن يللم، بينه وبين مكة

ليلتان».

- وفي (كتاب الفقه على المذاهب الأربعة) ٦٤٠/١: «والمِيقَاتُ لأهل اليمن والهند يللملم - بفتح اللامين وسكون الميم بينهما - وهو جبل من جبال تهامة على مرحلتين من مكة».

- وفي (فقه السنة) لسيد سابق: «وَمِيقَاتُ أَهْلِ الْيَمَنِ يَلْمَلَمُ، جَبَلٌ يَقَعُ جَنُوبَ مَكَّةَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ٥٤ كِيلُومِتْرًا».

- وفي (التحقيق والإيضاح) لابن باز: «الرابع يللملم وهو مِيقَاتُ أَهْلِ الْيَمَنِ». نعم، يستثنى من هذه الملاحظة الإمام الشافعي رحمته الله فقد تنبه لذلك، وكانت عباراته وافية بالمطلوب، وشاملة لطرق اليمن جميعها.

وقد يرجع هذا إلى أنه ابن مكة، فهو أعرف من سواه بالطرق المؤدية إليها، قال في (الأم) ١٥٢/١ - ١٥٣: «وان قوله (يهل أهل المدينة من ذي الحليفة) إنما هو لأنهم يخرجون من بلادهم وقد يكون ذو الحليفة طريقهم وأول مِيقَاتٍ يمرون به. وقوله: (وأهل الشام من الجحفة) لأنهم يخرجون من بلادهم والجحفة طريقهم وأول مِيقَاتٍ يمرون به، ليست المدينة ولا ذو الحليفة طريقهم، إلا أن يعرجوا إليها.

وكذلك قوله في أهل نجد واليمن، لأن كل واحد منهم خارج من بلده، وكذلك أول مِيقَاتٍ يمرون به.

وفيه معنى آخر أن أهل نجد اليمن يمرون بقرن، فلما كانت طريقهم، ولم يكلفوا أن يأتوا يللملم، وأن مِيقَاتٍ يَلْمَلَمُ لأهل غور اليمن وتهامتها ممن هي طريقهم».

- وهنا ملاحظة ثانية هي أن تقدير المسافة بين يللملم ومكة بـ (٥٤ كم) أو

(٩٤ كم) لا تصدق على الطريق السالك بينهما في عصرنا هذا، وإنما المراد بها

الطريق القديم الذي يمر بيللملم مباشرة قبل اندثاره.

ولأن المناسك والكتب الفقهية التي ذكرت فيها هذه التقديرات لفقهاء

معاصرين كان ينبغي لهم تقدير المسافة وفق واقعها الحاضر .
والواقع الحاضر هو أن المسافة بين مكّة المكرّمة ومن موضع المحاذاة إلى جبل
يلملم في مركز يلملم (الوّدْيَان) حوالى ٥٠ كم .
ولهذا لا بدّ من ذكر الطرق الراهنة السالكة إلى مكّة من اليمن وتهامة؛ لأضعها
بين يدي الفقهاء الأجلاء للإفادة منها في مجال الإفتاء ، وهي :

- ١ - اليمن - جيزان - القنفذة -
قرن المنازل (السييل الكبير) مكّة
المخواة - الباحة - الطائف
الليث - مفرق المضيليف
وادي محرم
محاذاة يلملم - مكّة
- ٢ - اليمن - جيزان - محايل
قرن المنازل (السييل الكبير) - مكّة
المخواة - الباحة - الطائف
وادي محرم - مكّة
المضيليف - محاذاة يلملم - مكّة
- ٣ - اليمن - جيزان - أبها
قرن المنازل (السييل الكبير) - مكّة
المخواة - الباحة - الطائف
وادي محرم - مكّة
محايل
قرن (السييل) - مكّة
وادي محرم - مكّة
المضيليف - محاذاة يلملم - مكّة

وبعد هذه التطوافة العلمية لا بدّ من التلميح للترويج بتطوافة أدبية نذكر فيها
بعض الشعر العربي ورد فيه ذكر يلملم ، فقد تغنى الشعراء العرب به مثله مثل المعالم

والمعاهد العربية الأخرى... ومنه:

- قول أبي دَهْبَل وهب بن زمعة الجمحي (ت ٦٣هـ) يصف ناقه له «لم يكن في زمانها أسير منها ولا أحسن»^(٩):

أصات المنادي للصلاة وأعتما	خرجتُ بها من بطن مكّة بعدما
من الليل حتى جاوزتُ بي يللمما	فما نام من راع ولا ارتد سامر
بقليبٍ نخلاً مشرفاً ومخيماً	وما ذرّ قرن الشمس حتى تبينت
تبادر بالإصباح نهياً مقسماً	ومرّت بطن الليث تهوي كأنها
جناحيه بالبزواء ورداً وأدهما	وجازت على البزواء والليل كاسر
وأصبح وادي البرك غيثاً مديماً	فقلت لها قد تعت غير ذميمة

- قول سلمى بن المقعد:

ولقد نزعنا من مجالس نخلة	فنجيزٌ من حُثْنٍ بياضٍ أَلَمَلما
--------------------------	----------------------------------

- قول طُفَيْل:

وسلهبة تنضو الجياد كأنها	رداة تدلت من صخور يللمم
--------------------------	-------------------------

- قول ابن مُقْبِل:

تراعي غوداً في الرواة كأنها	سهيل بدا في عارض من يللمما
-----------------------------	----------------------------

- قول السيد جعفر الحلي:

والليل يشهد لي بأني ساهر	إن طاب للناس الرقاد وهوموا
من قرحة لو أنه بيلملم	نسفت جوانبه وساخ يللمم

- وقول شاعر الحجازيات الشريف الرضي من قصيدة له في رثاء والده

الحسين الموسوي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ والتي مطلعها:

وسمتك حالية الربيع المرهم وسقتك ساقية الغمام المرزم
ملاً الزمان منائحاً وجرائحاً خَبَطاً ببؤسي في الرجال وأنعم
واستخدم الأيام في أوطاره فليفن أبعد غاية المستخدم
اليوم أغمدتُ المهند في الثرى ودفنتُ هَضْبَ متالعٍ ويللمم
- وقوله الآخر:

إني وإن ضرب الحجاب بطوده أو حال دونك يذبل ويللمم
لأراك في مرآة جودك مثلما يلقي العيان الناظر المتوسم

- ومن قصيدة يهني بها الوزير أبا منصور محمد بن الحسن بالمهرجان
سنة ٣٧٨ هـ:

إلى كم تصبّاني الغواني وبينها وبينى عفاف مثل طود يللمم

الهوامش:

- (١) صلاهيج: جمع صَلَهِج وهي الصخرة العظيمة.
- (٢) إلى هنا - ممّا ذكره البلادي - هو نصّ عبارة ياقوت المنقولة في أعلاه، ولا أدري لماذا لم يُشر البلادي إلى ذلك؟
- (٣) يقال (جبل واعر) لصلابة وحزونة مرتفاه، ولعل التسمية أخذت من هذا.
- (٤) و(٥) و(٦) الوسائل: الباب الأول من اليواقيت
- (٧) أنظر: مجموعة (الحج) اعداد الشيخ علي اصغر مرواريد ط . ١ (سنة ١٤٠٦ هـ).
- (٨) لم أذكر أرقام الصفحات من هذه الكتب المنقول عنها؛ لأن موضوع المنقولات معلوم وهو (المواقيت).
- (٩) الشعر والشعراء ٣٩٠، ط . ابريل ليدن ١٩٠٢ م.

شروط حج المرأة في بحث فقهي مقارن

حسن محمد

لوجوب فريضة الحج على كل من الرجل والمرأة شروط أربعة ذكرها الفقهاء وهي: البلوغ والعقل والحرية، والاستطاعة. وهذه الشروط عليها إجماع علماء الإسلام من كلا الفريقين، وقامت عليها أدلتهم المفصلة. فمن الكتاب الكريم ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١) ومن السنة ذكر كلا الفريقين روايات من طرقه الخاصة على ذلك. كما اتفقت كلمتهم على أنه لا يشترط إذن الزوج للزوجة في الحج الواجب كما لا يجوز له منعها عنه لولا أن علق بعض العامة - كما سنرى - وجوب الحج على إذن الزوج. هذا كله كان محل اتفاق بينهم، إلا أن الخلاف وقع بينهم في شرطين آخرين لوجوب الحج يختصان بالمرأة، وهذان الشرطان هما:

الشرط الأول: أن يكون معها زوجها أو محرم لها أو نسوة ثقات.

الشرط الثاني: ألا تكون معتدة عن طلاق أو وفاة.

وقد ترتبت على ذلك الخلاف بين فقهاء المسلمين أقوال متعددة تبعاً لأدلتها

نوجزها في هذه المقالة :

الشرط الأول

أقوال فقهاء الفرق الإسلامية:

١ - الإمامية: إن ما ذهب إليه فقهاء الإمامية هو أنه ليس هناك فرق في وجوب الحج بين الذكر والانثى والخنثى بعد حصول سببه وهو الاستطاعة. فلا يشترط إذن الزوج للزوجة في الحج إذا ما توفرت لها الاستطاعة. كما لا يشترط لوجوب الحج عليها وجود الزوج أو المحرم لها ويكفي أمن السلامة، وعدم الخوف عليها إذا حجت وحدها بدون زوج أو محرم^(٢).

١ - إذن الزوج:

لا يشترط إذن الزوج للزوجة في الحج إذا ما توفرت لها الاستطاعة، ولا يجوز له منعها منه، كما أن منعه ليس معيقاً لسفرها، هذا في الحج الواجب، وكذا في الحج النذري ونحوه، إذا كان مضيئاً، وفي المندوب يشترط إذنه، وفي الحج الموسع قبل تضييقه على الأقوى، وكذا في حجة الإسلام له منعها من الخروج مع أول الرفقة مع وجود أخرى قبل تضييق الوقت^(٣). وهذا ما عليه فقهاء الإمامية، وإن كان هناك تأمل في الحج النذري.

الروايات:

- عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن امرأة لم تحج ولها زوج، وأبى أن يأذن لها في الحج، فغاب زوجها، فهل لها أن تحج؟ قال: لا طاعة له عليها في حجة الإسلام^(٤).

- عن معاوية بن وهب، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: امرأة لها زوج فأبى أن يأذن لها في الحج، ولم تحج حجة الإسلام، فغاب عنها زوجها وقد نهاها أن تحج. فقال: لا طاعة له عليها في حجة الإسلام ولا كرامة، لتحج إن شاءت^(٥).

- عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن امرأة لها زوج وهي صرورة، ولا يأذن لها في الحج.

قال: تحجّ وإن لم يأذن لها^(٦).

- وعن الصادق عليه السلام قال: تحجّ وإن رغم أنفه^(٧).

- وفي رواية أخرى: قال عليه السلام: ليس للزوج منعها من حجة الإسلام، وإن خالفته وخرجت لم يكن عليها حرج^(٨).

- وقال عليه السلام: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وأيضاً: لا تسخطوا الله برضا أحد من خلقه، ولا تتقربوا إلى الناس بتباعد من الله. وعن علي عليه السلام قال: لا دين لمن دان بطاعة مخلوق في معصية الخالق^(٩).

وفي هذا الأمر قال بعض الفقهاء: إنّ ترك الواجب معصية ولا ريب في ذلك، فكيف يكون للزوج الحق في أن يبطل ما صار واجباً بحق غيره وهو لا يستطيع إبطاله بحق نفسه؟ ثمّ إن المولى - سبحانه وتعالى - يعطي سلطنة للآخرين فيما لا يتعارض وسلطنته. والواجبات المفروضة جزء من سلطنته فكيف يمنع ما يعارضها ويناقضها إلّا في حالة التخلي عنها وهذا لا دليل عليه؟!

هذا فيما إذا وجبت عليها حجة الإسلام، وأما فيما إذا تعلقت ذمتها بحج وجب بالنذر ونحوه. فأيضاً ليس له الحق في منعها منه إذا كان مضيّقاً لمراعاة حق الله الذي ترتب عليها بالنذر ولقوله عليه السلام: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

فهذا الحديث بل هذه الأحاديث حاكمة على أدلة وجوب طاعة الزوج - وإن كان هناك تأمل في الحج الواجب بالنذر وتفصيل ممّا دعا إلى التوقف نعرض عنه خوف الإطالة^(١٠) - والنظر إلى هذه الأحاديث يدلنا على أن موضوع حج المرأة التي استقرّ عليها بعد استطاعتها أمر ليس للزوج منعها عنه.

أما في حالة عدم استطاعتها فإن الحج غير واجب عليها أي هو مندوب وبالتالي لا بدّها لها من الحصول على إذن الزوج وله أن يمنعها من هذا الحج وليس في

هذا معصية للخالق؛ لأن المعصية تتحقق إذا ما كان هناك وجوبٌ قد وقع، ومنعٌ من الزوج قد حصل. كما أن للزوج أن يمنعها إذا ما كان الواجب موسعاً لا مضيقاً انطلاقاً من «ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه» وقد خرج من هذا مورد التضيق فقط، أي إذا كان واجب الحج عليها مضيقاً، فلها أن تخرج من بيتها، وليس له منعها، ففي حالة السعة والحج المندوب ليس في منعه لها معصية، ولا يترتب عليه أي أثر من ذلك، فحق الزوج واجب ولا يفوت بما ليس بواجب.

- عن اسحاق بن عمار، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن المرأة الموسرة قد حَبَّت حجة الإسلام، تقول لزوجها: أحجني من مالي، أله أن يمنعها من ذلك؟ قال: نعم، ويقول لها: حقِّي عليك أعظم من حقك عليّ في هذا^(١١).

٢ - الزوج، المحرم، الثقات:

ولأهميّة التعرّف على المحرم لغةً وشرعاً نقول:

حَرَمُ الشيء، يُحَرَّمُ حرمةً: امتنع، ويقال حُرِمَ عليه كذا، أي امتنع عليه فعله... وحَرَّمَ الشيء عليه أو على غيره تحريماً جعله حراماً... الحرام: الممنوع من فعله...

وفي مفردات الراغب: حرم: الحرام: الممنوع منه إنما بتسخير إلهي وإما بمنع قهري، وإما بمنع من جهة العقل، أو من جهة الشرع، أو من جهة من يرتسم أمره...

المَحْرَمُ: ذو الحرمة جمعها محارم. والمحَرَّم من النساء والرجال: هو الذي يُحَرَّم التزوُّج به لرحمه وقربته. والمحَرَّم: الحَرَامُ ويقال: هو ذو مُحَرَّمٍ منها إذا لم يحلّ له نكاحها...

ومن ذلك: الرَّحِمُ المحَرَّمُ: هو القريب الذي حَرَّمَ نكاحه أبداً.

وحريم الرجل: ما يدافع عنه ويحميه، ومنه سميت نساء الرجل بالحريم أو أهله.

ومن ذلك سميت المرأة بالحُرمة. والحُرمة، حرمة الرجل وأصله وجمعها حُرُمٌ^(١٢)...

والمحرم ما حرّم الله تعالى، ومن ضمن ما حرم الله تعالى النساء اللاتي حرم على الرجال نكاحهنّ أو تحريم العقد عليهنّ لأنه حقيقة فيه... أي يمتنع نكاحهنّ ولهذا بينت الآية ٢٣ من سورة النساء ما حرم على الرجال من النساء أي ما امتنع: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهنّ فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن يجمعوا بين الأختين...﴾^(١٣).

فالآية - بعد تقدير المضاف أي نكاح أمهاتكم لاستحالة تحريم الذوات - بيّنت المحرمات من النساء، نسباً أو سبباً «رضاعة ومصاهرة» على تفصيل ذكر في هذه المسألة في كتب التفسير والفقه. إضافة إلى زوجة الأب على تفسير «ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء...»^(١٤) فهي من المحارم، فيجوز للمرأة السفر مع محرّمها بالنسب والسبب، هذا وإن ضابط المحرم عند الفقهاء هو من حرم عليه نكاحها على التأييد بسبب مباح لحرمتها بنسب أو سبب وبالتالي يجوز لها أن تسافر مع كل واحد من هؤلاء باعتبارها المحرم.

وقد عثرتُ على رأي للحنابلة، يجعلون فيه الزوج من المحارم قال الحنابلة: المحرم الذي يشترط للسفر مع المرأة للحج يشمل زوجها ومن تحرم عليه على التأييد بنسب كأبيها، أو الرضاع كأخيها من الرضاعة، أو المصاهرة كأبي زوجها وابن زوجها. ودخل الزوج في مفهوم المحرم هنا مع كونه يحلّ لها وتحلّ له؛ لحصول المقصود بسفره معها وهو حفظها وصيانتها. فقد جعلوا الزوج من المحارم لأنه يؤدي الفرض نفسه الذي يؤديه المحرم في

سفرها من أمن وسلامة ورعاية، وقد استدلووا على مدعاهم هذا بالحديث الذي أخرجه البخاري عن ابن عباس أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ولا يخلون رجل بامرأة إلا معها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، فقام رجل وقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجةً وإنني أكتتب في غزوة كذا وكذا. قال ﷺ: فانطلق واحجج مع امرأتك».

وجه الدلالة بهذا الحديث أن الزوج داخل في مفهوم المحرم هنا أو قائم مقامه. أقول: ولا أرى ضرورة لهذا الدمج بين المحرم والزوجة خاصة بعد أن فرقت روايات أخرى بينهما كالحديث التالي: «لا تسافر المرأة يومين من الدهر إلا ومعها ذو محرم منها أو زوجها» وكالحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا معها أبوها أو ابنها أو زوجها أو ذو محرم منها» فالمقصود بهذا أن الذي يجوز للمرأة مرافقته في سفرها والذي هو شرط لوجوب الحج عليها هو الزوج ومن هو محرم عليها على التأييد. وأما بالنسبة للحديث الأول، فبما أنها سافرت وليس معها محرم، أمره الرسول بالذهاب مع زوجته، وليس معنى هذا أنه محرم. كما ليس هناك من دليل على أننا إذا اطلقنا كلمة محرم فإن هذا الإطلاق يشمل الزوج ومن يحرم عليها على التأييد.

وقد ذكر الزوج في أحاديث أخرى صراحة بجانب المحرم مما يدل على التفريق بينهما.

ثم إننا إذا عدنا إلى العرف واستعمالاته فإنه يميز بين اللفظتين، ويقول هذا زوج لها وهذا محرم.

هذا إضافة إلى الجانب اللغوي لكلمة محرم الذي يعني فيما يعنيه من معاني «امتنع» أي امتنع عليه نكاحها وليس هذا حال الزوج... وقد عرفت الحنفية المحرم بأنه هو الذي لا يحل له زواجها بسبب النسب أو المصاهرة أو الرضاع.

كما أننا ذكرنا أن المحرم من حرم عليه نكاحها على وجه التأبيد أي حرمة أبدية، فلا يشمل الملاءن بالنسبة لزوجته التي لا عنها، فإن تحريمها عليه بعد اللعان والتفريق بينهما فرقة مؤبدة إنما هو تحريم على وجه العقوبة والتغليظ وليس لحرمتها، فلا يكون الملاءن حراماً لها^(١٥).

أما شروط المحرم فهي أن يكون: مسلماً بالغاً، عاقلاً، قادراً. أما وظيفته: فهي حفظ المرأة بتوفير الأمن والسلامة لها، وهذا لا يحصل إذا كان المحرم صبيّاً أو مجنوناً أو مريضاً أو عاجزاً عن تلك المهمة المناطة به.

أقوال فقهاء الفرق الإسلامية:

١ - الإمامية: لا تتوقف استطاعة المرأة لأداء فريضة الحج ووجوب هذه الفريضة على وجود المحرم. هذا ما نراه في الروايات ثم في أقوال فقهاء الإمامية.

الروايات

عن صفوان الجمال قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قد عرفتني بعلمي، تأتيني المرأة أعرفها بإسلامها وحبها إياكم، وولايتها لكم ليس لها محرم، قال: إذا جاءت المرأة المسلمة فاحملها، فإن المؤمن محرم المؤمنة، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.

عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام في المرأة تريد الحج ليس معها محرم، هل يصلح لها الحج؟ فقال: نعم، إذا كانت مأمونة.

وفي رواية: عن المرأة تحج إلى مكة بغير ولي؟ فقال: لا بأس، تخرج مع قوم ثقات.

وفي رواية أخرى: ... إن كانت مأمونة تحج مع أخيها المسلم.

وفي رواية: ... إذا كانت مأمونة ولم تقدر على محرم فلا بأس بذلك.

... لا بأس أن تحج المرأة الصرورة مع قوم صالحين إذا لم يكن لها محرم

ولا زوج^(١٦).

أقوال الفقهاء:

نذكر الآن شيئاً مما قاله بعض فقهاء الإمامية :
يقول السيد الإمام: لا يشترط وجود المحرم في حج المرأة إذا كانت مأمونة على نفسها وبضعها، كانت ذات بعل أو لا،... (١٧)
«وليس المحرم شرطاً في وجوب الحج عليها مع الاستغناء عنه عند علمائنا» (١٨) وعن الجواهر:

فلا يشترط حينئذ في وجوب الحج وجود المحرم في النساء مع عدم الحاجة إليه، بل يكفي غلبة ظنها بالسلامة على نفسها وبضعها للرفقة مع ثقات، وكونها مأمونة أو غير ذلك بلا خلاف أجده فيه بيننا؛ لصدق الاستطاعة بعد جواز خروجها مع عدم الخوف نصّاً وفتوى بدونه (١٩).

ويمكن استفادة ذلك كله من لسان الروايات حيث إن ما يظهر منها ومن أقوال الفقهاء أن الغرض من استصحاب الزوج أو المحرم أو من تثق بدينه هو السلامة والأمن، فإذا ما توفر لها هذان العنصران فلا حاجة ولا ضرورة لرفقة الزوج أو المحرم؛ لأن رفقتها إنما تُطلب لتوفير السلامة لها، وها هي قد توفرت لها. لاحظ التعليل الوارد في أقوال الفقهاء لا يشترط وجود المحرم في حج المرأة إذا كانت مأمونة على نفسها وبضعها، وقد ورد هذا التعليل في لسان جملة من الروايات والأخبار:

ففي صحيح ابن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام: «المرأة تريد الحج وليس معها محرم، هل يصلح لها الحج؟ فقال عليه السلام: نعم، إذا كانت مأمونة». أو (.. امرأة تحج بغير ولي فقال: لا بأس تخرج مع قوم ثقات).

ولا فرق بين كونها ذات بعل أم لا وذلك لوجود شرط الوجوب وهو الاستطاعة ولدلالة الأخبار الكثيرة عليه (٢٠)، وفي صحيح ابن عمار عنه عليه السلام: «عن المرأة تحج بغير ولي؟ قال عليه السلام: لا بأس. وإن كان لها زوج أو أخ أو ابن أخ فأبوا أن

يجحوا بها، وليس لهم سعة فلا ينبغي لها أن تقعد، ولا ينبغي لهم أن يمنعوها»
وظهوره في عدم الفرق بين من لها زوج ومن لا زوج لها ممّا لا ينكر.
هذا في حالة كونها آمنة فعليها أن تخرج للحج وليس لهم منعها.
وأما في حالة كونها غير آمنة فيجب عليها حينئذٍ استصحاب المحرم لو قبل
الرفقة ولو بالإجرة، مع تمكنها منها، ومع عدم قدرتها لا تكون مستطية، لكون
ذلك من مؤن الحج، فع التمكن منها يجب، ومع العدم لا وجه للوجوب.
يقول السيد الإمام: ... ومع عدم الأمن يجب عليها استصحاب محرم أو من
تثق به ولو بالإجرة، ومع العدم لا تكون مستطية ولو وجد ولم تتمكن من إجراته
لم تكن مستطية... (٢١)

ويقول صاحب الجواهر: نعم، لو توقف حجّها عليه للخوف بدونه، اعتبر
حينئذٍ، وإن لم يجب عليه الإجابة، ولو اقترح إجرة أو نحوها وجب عليها مع
استطاعتها لذلك، وإن كان أزيد من إجرة المثل، وإلا لم يجب الحجّ عليها، ضرورة
كونه كغيره حينئذٍ من المقدمات التي فرض توقف الحج عليها.
بعد هذا يمكن القول: إنه لا وجه لاختصاص الحكم بالزوج أو بالمحرم بعد أن
عرفنا أن الواجب على المرأة المستطية استصحاب من تثق به لسلامتها وأمنها ولو
لم يكن زوجاً أو محرماً: «تخرج مع قوم ثقات» بل يجب عليها الحج إذا كانت
مأمونة، «تحج بغير محرم إذا كانت مأمونة».

وعن صفوان الجمال، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قد عرفتني بعلمي، تأتيني
المرأة أعرفها بإسلامها وحبّها إياكم، ولايتها لكم، ليس لها محرم، قال: إذا جاءت
المرأة المسلمة فاحملها، فإن المؤمن محرم المؤمنة، ثم تلا هذه الآية: ﴿والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ (٢٢).

وهذا ما استفاده الشيخ في النهاية: وينبغي أن لا تخرج إلا مع ذي محرم لها من
أب أو أخ أو عم أو خال، فإن لم يكن لها أحد ممن ذكرناه، جاز لها أن تخرج مع من

تثق بدينه من المؤمنين .

فإذا كانت مأونةً يجب عليها إذن أن تؤدي فريضة الحج ومناسكها التي علقت على الأمان، أما إذا لم تكن كذلك فيجب على المرأة أن تبذل وسعها لاستصحاب من تستطيع معه أن تكون سالمة آمنة مطمئنة غير خائفة ولو بأن تستأجر محرماً، وإنما يجب ذلك عليها من جهة كون الامتثال أي امتثال الفريضة متوقفاً عليه لخطورة وأهمية حفظ العرض والفرج والنفس، ويكون ذلك من قبيل مقدمة الواجب التي يجب عليها تحصيلها، اللهم إلا أن يترتب على سعيها ذلك ذلة لها أو يشقّ عليها فعند ذلك يسقط وجوب الحج عليها لقاعدة نفي العسر والحرج وقد لا يجب عليها الحج من أول الأمر، ولا يلزم عليها تحمل السفر المستلزم للخطر بل ربما يكون السفر أو الخروج من الدار محرماً، فالاستطاعة حينئذ غير حاصلة (٢٣).

أما إذا كان وجوب الحج أو الاستطاعة معلقاً على وجود المحرم، ولأن تحصيل الاستطاعة ليس واجباً عليها، فبالتالي لا يجب عليها بذل جهدها لتحصيل المحرم.

نعم قد ينتقل عملها إلى الاستنابة .

الاستنابة: في البداية لابدّ من ملاحظة ما يلي :

أولاً: إطلاق أدلة التكليف توجب على المكلف الحي أداء ما كلف به بنفسه وبمباشرته له . ﴿ولله على الناس حج البيت...﴾.

ثانياً: أن فعل الشخص الآخر خارج عن قدرة ذلك المكلف؛ لهذا فالاستنابة وهي فعل الغير تحتاج إلى دليل آخر .

ثالثاً: ولو وجد الدليل واستتاب المكلف، فسقوط التكليف بفعل النائب هذا يحتاج أيضاً إلى دليل آخر .

فالاستنابة إذن خلاف الأصل، إلا أن النيابة عن الحي في الحج - شريطة

استطاعته أولاً. وشريطة وجود العسر والحرَج والضرر ثانياً. وثالثاً عدم علم المكلف بارتفاع ذلك العسر والحرَج والضرر، أو عدم علمه بحصول الأمن والسلامة في السنوات اللاحقة - خرجت النياية عن الحي في الحج عن الأصل للروايات الخاصة وبالتالي فلا إشكال فيها. هذا ملخص ما ذكره بعض الفقهاء عند تعرضهم لمسألة الاستنابة.

فالمرأة التي وجب عليها الحج ولم يتوفر لها الأمان والسلامة وحفظ الفرج والعرض فيجب - على قول - عليها الاستنابة في هذه الحالة.

تقول الروايات:

محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي عليه السلام يقول: لو أن رجلاً أراد الحج فعرض له مرض، أو خالطه سقم فلم يستطع الخروج فليجهز رجلاً من ماله ثم ليبعثه مكانه.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: ... وإن كان موسراً وحال بينه وبين الحج مرض أو حصر أو أمر يعذره الله تعالى فيه فإن عليه أن يحج عنه من ماله ضرورة لا مال له.

... وعن الإمام أبي جعفر عليه السلام عن أبيه أن علياً عليه السلام قال لرجل كبير لم يحج قط: إن شئت أن تجهز رجلاً ثم ابعثه يحج عنك ...

وفي رواية أخرى: إن شئت فجهز رجلاً ثم ابعثه يحج عنك.

وعلى ضوء هذه الروايات التي ذكرنا قسماً منها اختلفت آراء الفقهاء بين وجوب الاستنابة واستحبابها، فالذي ذهب إلى الوجوب كان ذلك مستنداً إلى ظاهر الروايات التي تدل على الوجوب، في حين استند الفريق الثاني في ذهابه إلى الاستحباب إلى أن بجانب هذه الروايات روايات أخرى تعلق الأمر فيها على المشيئة وبالتالي فهي لا تدل على الوجوب بل على عدمه، فرفعوا اليد عن الأدلة الظاهرة في الوجوب وحملوا المسألة (الاستنابة) على الاستحباب.

وهنا يمكن أن يرد السؤال التالي: إذا كانت الاستنابة مستحبةً عليها وبالتالي لها الحق في عدم الاستنابة، فهل تحج مع الحرج وعدم السلامة أم أنها لا تحج، علماً بأن وجوب الحج عند الإمامية مبني على الفور لا التراخي الذي يعمل به عند بعض المذاهب الأخرى، فيؤجل الحج حتى يتوفر عنصر السلامة والأمان؟ وهذا ما أجاب عنه البحث الفقهي في كون عنصر الأمن والسلامة إن كانا جزءاً من الوجوب والاستطاعة فلا يجب عليها السعي لتحصيل الاستطاعة؛ لأن تحصيلها ليس بواجب، وبالتالي تكون غير مستطاعة فلا حج عليها. وإن كان الأمن والسلامة من المقدمات للواجب فعلها تحصيلها أو تحصيل ما يؤدي إليها إلا إذا ترتب عليها في ذلك مهانة وخرج فيسقط وجوب الحج عليها لقاعدة نفي العسر والحرج.

أما إذا حجت مع عدم توفر عنصري الأمن والسلامة صحَّ حجّها على تفصيل بأن جعل وصولها الميقات هو الحدّ الفاصل للصحة وعدم الصحة، وخلاصته: أن حالة الخوف الحاصل وعدم الأمن إن كان قبل الميقات - وهما هي قد وصلت الميقات - فقد أجزأ عملها عن حجة الإسلام بعكس ما لو كان الخوف وعدم الأمن قد حصل بعد الميقات ففي صحة حجّها إشكال وإن ذهب صاحب العروة الوثقى إلى اقوائية الصحة.

وتوضيح ذلك كما ذكر السيد الخوئي: إن الخوف الحاصل قد يكون في خصوص الطريق قبل الوصول إلى الميقات، وقد يكون من الميقات وما بعده، فإن كان على النحو الأول فلا ريب في الحكم بالصحة، لاقتران جميع الأعمال بالشرائط المعتبرة كالأمن وعدم الخوف، والمفروض زوال الخوف بالوصول إلى الميقات. نعم لا يجب عليها الحج من أول الأمر، ولا يلزم عليها تحمل السفر المستلزم للخطر، بل ربما يكون السفر أو الخروج من الدار محرماً فالاستطاعة حينئذ غير حاصلة. وأما لو تحملت السفر المستلزم للخوف، وزوال الخوف عند الميقات، فقد

حصلت الاستطاعة هناك ويجب عليها الحج وصحَّ حجّها، لعدم خلل في أفعاله وأجزائه.

وإن كان على النحو الثاني، وكان الخوف وعدم الأمن حصلًا من الميقات وما بعده، فقد استشكل البعض في صحة حجها، وصرّح بعض آخر بعدم اجزائه، بينما ذهب ثالث إلى تفصيل انتهى به إلى أن العبرة في الحكم بالصحة بالأمن الواقعي، والأمن الحاصل لها طريق إلى الواقع مستدلاً بصحيح معاوية بن عمار: (عن المرأة تحجّ إلى مكّة بغير ولي، فقال: لا بأس تخرج مع قوم ثقات) حيث علق وجوب الحج عليها بكون القوم ثقات، ومن المعلوم أن الوثوق طريق إلى الواقع لا أنه مأخوذ في الحكم^(٢٤).

بعد ذلك نتقل إلى معرفة آراء الفرق الإسلامية الأخرى:

✽ الشافعية: لهم رأيان:

الأول: وهو المشهور عندهم وعليه جمهورهم وهو المستفاد ممّا عندهم من نصوص وروايات، والقائل بعدم وجوب الحج عليها إلا إذا كانت برفقة محرم لها أو زوج أو نسوة ثقات وإلا لم يلزمها الحج؛ لأن الشرط لوجوب هذه الفريضة عليها عند أصحاب هذا الرأي هو حصول الأمن لها والسلامة على نفسها، وهذا ما يتوفر لها بالزوج أو المحرم أو وجود نسوة يتصفن بالثقة والعدالة ولو وجدت امرأة واحدة وإن كانت ثقة فلا يجب عليها الحج، ولكن يجوز لها الحج معها.

الثاني: في حين ذهب فريق منهم إلى رأي آخر يختلف عن الأول كثيراً في مسألة الجواز والوجوب.

حيث يقول: يلزمها الحج بوجود نسوة ثقات أو امرأة واحدة ثقة، وقد يكثر الأمن ولا تحتاج إلى أحد بل تسير وحدها في جملة القافلة، وتكون آمنة.

وقد اختلفوا أيضاً في خروجها لحج التطوع وسفر الزيارة والتجارة ونحو ذلك من الأسفار التي ليست واجبة، فقال بعضهم: يجوز لها الخروج فيها مع نسوة

ثقات كحجة الإسلام، وقال الجمهور: لا يجوز إلا مع زوج أو محرم، يقول النووي: وهذا هو الصحيح للأحاديث الصحيحة.

وأما بخصوص إذن الزوج فقد نقل في مغني المحتاج أن الشافعية قالت: ليس للمرأة حج التطوع إلا بإذن زوجها، وكذا الحج الفريضة في الأصح في المذهب (٢٥). وهذا بخلاف ما نقله بعض من أنهم (فقهاء المذاهب الإسلامية) اتفقوا على أنه لا يشترط إذن الزوج للزوجة في الحج الواجب (٢٦).

* المالكية: قالت: يشترط لوجوب الحج على المرأة أن تجد محرماً من محارمها يسافر معها للحج، أو يخرج معها زوجها إن كانت ذات زوج، ويقوم مقام المحرم الرفقة المأمونة في سفر الفرض فقط. والرفقة المأمونة قد تكون من النساء فقط، أو من الرجال فقط، أو من مجموع الجنسين (٢٧).

قال الدسوقي في حاشيته: ... في حق المرأة أن تجد محرماً من محارمها يسافر معها أو زوجاً لقول رسول الله ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر يوماً وليلة إلا ومعه محرم...» (٢٨).

* الظاهرية: قالت: المرأة التي لا زوج لها ولا ذا محرم يحج معها فإنها تحج ولا شيء عليها، فإن كان لها زوج ففرض عليه أن يحج معها، فإن لم يفعل فهو عاصٍ لله تعالى، وتحج من دونه وليس له منعها من حج الفرض، ولكن له منعها من حج التطوع. فقد قال ابن حزم في الفقه الظاهري: ... وليس له منعها في فرض، وله منعها من حج التطوع (٢٩) وقد احتج ابن حزم وغيره من الظاهرية بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾. فالحج واجب في هذه الآية ولم يشترط أو يعلق هذا الواجب على وجود المحرم أو الزوج، فحال المرأة حال جميع المسلمين في أن الحج واجب على من توفرت الاستطاعة عنده وهو ما يتفق مع رأي الإمامية.

أما موقفهم إزاء الأحاديث الناهية عن سفر المرأة إلا مع محرم أو زوج، فقد

عدوها أحاديث عامة لكل سفر إلا السفر الواجب، وبما أن سفر الحج واجب فقد استثني من نواهي السفر المذكورة.

ولم ينجو قول ابن حزم من الرد عليه بأن يقال: إن اشتراط المحرم أو الزوج لا يتعارض مع الآية المذكورة. لأن وجودهما من جملة الاستطاعة المطلوبة لوجوب الحج. ولم تكن الاستطاعة متوقفة فقط على وجود الزاد والراحلة دون الشروط الأخرى التي منها وجود الزوج أو المحرم للمرأة.

ويواصل صاحب هذا القول كلامه بقوله: لأننا نقول: إن أحاديث النهي عن سفر المرأة إلا مع زوج أو محرم تضمنت اشتراط وجود الزوج أو المحرم مع وجود الزاد والراحلة بالنسبة لسفر الحج، وهذه الزيادة غير منافية لشرط الزاد والراحلة فيتعين قبولها... (٣٠)

* الزيدية: قالت: وجود المحرم للمرأة هو شرط أداء لحجها، وليس هو شرط وجوب، كما أن هذا هو في حق الشابة، أما في حق العجوز فليس بشرط، فيجوز لها الخروج إلى الحج مع نساء ثقات أو مع غيرهن (٣١). كما جعلوا اجرة المحرم جزءاً من الاستطاعة، ويلزمها المحرم إذا كانت المسافة بريداً (٣٢) فصاعداً أو ثلاثة أيام فصاعداً (٣٣).

* الحنابلة: قالوا: لا يجب الحج على المرأة التي لا محرم لها ولا زوج، وقد نصّ على ذلك الإمام أحمد، فقد قال أبو داود، قلت لأحمد: امرأة موسرة لم يكن لها محرم، هل يجب عليها الحج؟ قال: لا، وقال المحرم من السبيل. وعنه أن المَحْرَم لحفظها، فهو كامن الطريق، وإمكان المسير.

وعن أحمد أيضاً: أن المحرم من شرائط الأداء لا الوجوب، وعلى هذا من فاتها الحج بعد إكمال شرائط الوجوب بموت أو بمرض لا شفاء منه أخرج من مالها ما يحج به عنها. ولكن المذهب عند الحنابلة هو الأول، أي أن وجود المحرم - أو الزوج - من شرائط الوجوب واحتجوا لمذهبهم بجملة من الأحاديث التي منها:

الدارقطني بإسناده عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحجن امرأة إلا ومعها ذو محرم»..

ولأنها لا يمكنها الحج بلا محرم، فإذا امتنع من الحج معها - مع أن نفقته عليها لأنها كالراحلة - فهي كمن لا محرم لها وبالتالي لا تحج^(٣٤).

أما في مسألة إذن الزوج فقد ذهبوا إلى أنه يستحب للمرأة أن تستأذن زوجها في حجة الفريضة، فإن أذن لها فيها، وإلا خرجت بغير إذنه إذا وجدت المحرم، أما في حج التطوع فلا بد من إذنه.

قال ابن المنذر: أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم أنه له منعها من الخروج في حج التطوع، وذلك لأن حق الزوج عليها واجب، فليس لها تفويته بما ليس بواجب^(٣٥).

ومعنى هذا أن لها تفويت حقه بواجب وهو حجة الإسلام.

* الاباضية:

وملخص ما ذهبوا إليه أن المرأة تحج مع زوج أو محرم، فإن منعها زوجها أو أبوها وكانت مستطية لم يلزمها الحج.

فإن لم تجد زوجاً أو محرماً فلها أن تسافر مع ثقات يمنعونها من الضرر كمنعهم أنفسهم وإن لم تجد فلها أن تستأجر، وإلا سقط عنها الحج^(٣٦).

* الحنفية: قالت: - بعد أن قسموا الاستطاعة إلى أنواع ثلاثة: البدنية والمالية والأمنية وجعلت سلامة المرأة من النوع الثالث - يشترط لحج المرأة أن يكون معها زوجها أو محرم لها، فإن لم يوجد أحدهما لا يجب عليها الحج فبعد أن ميزوا بين شروط وجوب الحج عندهم وشروط الأداء لانهم يفرقون بين الوجوب وبين الأداء ذكروا شروطاً أربعة للأداء كان ثالثها: وجود زوج أو محرم للمرأة، لا فرق بين أن تكون المرأة شابة أو عجوزاً إذا كان بينها وبين مكة ثلاثة أيام فأكثر؛ أما إذا كانت المسافة أقل من ذلك، فيجب عليها أداء الحج وإن لم يكن

معها محرم ولا زوج؛ والمحرم هو الذي لا يحل له زواجها بسبب النسب؛ أو المصاهرة أو الرضاع. هذا وإن ابن عابدين في الوقت الذي عدّ أمن الطريق والمحرم من شروط الاداء، فقد عدّها الكاساني من شروط الوجوب وقال: ... ولأنها إذا لم يكن معها زوج أو محرم لا يؤمن عليها، إذ النساء لحم على وضم (الوضم ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب وحصير...) إلا ما ذبّ عنه.

وقال أيضاً في خصوص قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ هذه الآية لا تتناول النساء حال عدم الزوج أو المحرم؛ لأن المرأة لا تقدر على الركوب والنزول بنفسها، فتحتاج إلى من يركبها، وينزلها، ولا يجوز ذلك لغير الزوج والمحرم فلم تكن مستطوعة في هذه الحالة فلا يتناولها النص... (٣٧) وقد ذكر في البدائع أنهم قالوا: لها أن تخرج مع المحرم في حجة الفريضة من غير إذن زوجها إذا وجدت المحرم مع وجود الزاد والراحلة لها وله، فقد استطاعت إلى حج البيت سبيلاً فوجب عليها الحج، وإذا قيل: إن حق الزوج في الاستمتاع بها يفوت بخروجها، فيجب أخذ إذنه، فإن أذن خرجت، وإن أبى لم تخرج؛ لأن الحج على التراخي لا على الفور، فإننا نقول: إن منافع الزوجة والاستمتاع بها من قبل زوجها مستثناة من حق الزوج فيها في أوقات أداء الزوجة الفرائض كما في الصلوات الخمس وصوم رمضان، فكذلك في حج الفريضة بخلاف حج التطوع إذا منعها فعليها الامتناع (٣٨).

أقول: وفرق كبير بين الصلاة والصوم التي تكون على مقربة من زوجها وبين فريضة تتطلب سفرًا طويلاً وغياباً لأيام وليالي، فالقياس على الصلاة والصيام لا أظنه ينهض دليلاً على ما ذهبوا إليه من استثناء.

وذكروا للمحرم شروطاً فقالوا: ويشترط فيه أن يكون مأموماً عاقلاً بالغاً، ولا يشترط كونه مسلماً.

واحتجوا بجملة أحاديث، كما احتجوا بأن حجّها بدون المحرم أو الزوج

يعرضها للفتنة وهذا ضرر بها، والضرر مرفوع شرعاً^(٣٩).

الأدلة:

إن الذين اشترطوا وجود الزوج أو المحرم للمرأة لوجوب الحج عليها، احتجوا بالأحاديث الصحيحة الثابتة عندهم التي تدل على ما ذهبوا إليه، التي منها:

* أخرج الإمام البخاري عن ابن عباس: «لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم. فقال رجل: يا رسول الله إني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا، وامرأتي تريد الحج، فقال ﷺ: اخرج معها»^(٤٠).

* وأخرج عبدالرزاق وغيره عن ابن عيينة عن عكرمة عن النبي ﷺ: «ولا تحج امرأة إلا ومعها محرم»^(٤١).

* وأخرج الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ: «نهى أن تسافر المرأة مسيرة يومين إلا ومعها زوجها أو ذو رحم...»^(٤٢).

* وعن نافع عن عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ قال: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة ثلاث ليالٍ إلا ومعها ذو محرم.

في حين احتج القائلون: بأن للمرأة أن تحج وحدها، ولا يشترط لوجوب الحج عليها وأداءه وجود الزوج أو المحرم بهذه الأدلة:

١- الآية ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فالحج في هذه الآية لم يعلق وجوبه إلا على الاستطاعة.

٢- حديث عدي بن حاتم الذي قال فيه: «بيننا أنا عند رسول الله ﷺ إذا أتاه رجل فشكا إليه الفاقة. ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال ﷺ: يا عدي، هل رأيت الحيرة؟ قال عدي: لم أرها وقد أنبت عنها. قال ﷺ: فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحداً إلا الله، قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف

إلا الله...» (٤٣).

فبعض فقهاء العامة أخذوا بهذا الحديث واستدلوا به على جواز سفر المرأة وحدها. في حين ذهب بعض آخر منهم إلى أن هذا الحديث لا ينفعنا في مسألة جواز سفر المرأة وحدها فضلاً عن وجوبه، لأنه أمر مستقبلي أخبر به الرسول وأنه سيقع هذا لا غير فهو من النبؤات المستقبلية، وبالتالي لا يصمد هذا الحديث أمام الأحاديث الناهية عن سفر المرأة وحدها (٤٤).

وقد ردّ هذا بأن هذا الخبر ورد عن الرسول ﷺ ولم يستنكره أو يعبر عن استيائه بل هي حالة ممدوحة (... حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله) ولأنها مبعث على السرور والمدح فيمكن أن تدل على جواز سفرها...

٣- القياس: فقد اتخذ هذا الفريق ممن أسلمت في دار الحرب، وأن لها الحق في أن تخرج إلى دار الإسلام وحدها. وليس هذا فقط بل الأسيرة المسلمة إذا تخلصت من أسر الكفار، فإن لها الخروج إلى دار الإسلام وحدها. اتخذ من ذلك دليلاً على أنه يجوز للمرأة إذن أن تخرج وحدها إلى الحج قياساً على جواز خروجها وحدها إلى دار الإسلام.

ويرد عليه أنه قياس مع الفارق؛ لأن خروج المرأة المسلمة وحدها إلى دار الإسلام في هاتين الحالتين هو خروج للضرورة، فلا يصح أن يقاس عليه خروج المسلمة للحج في حال السعة والاختيار.

وقد اضاف هذا الفريق في رده قائلاً: إن الفقهاء اختلفوا في الحج هل هو على الفور أو على التراخي؟

فإن قلنا بالتراخي فمما يجعل سفرها حتى يوجد المحرم أو الزوج أولى من سفرها وحدها.

ثم إن الأسيرة ومن أسلمت في دار الحرب، إنما تدفعان بخروجها وحيدتين ضرر بقائهما بين الكفار بتعرضهما للفتنة أو الاعتداء على عرضهما فجاز لكل

واحدة منها دفع هذا الضرر بتحمل ضرر السفر لو حدها، وهو ضرر مظنون وليس هو مثل ضرر بقائهما في دار الكفر...
أما في السفر إلى الحج وحدها ففيه ضرر محتمل تتحملة المرأة دون دفع أي ضرر أصلاً^(٤٥).

وفرق القاضي في مسألة الهجرة ومسألة الحج قائلاً: واتفق العلماء على أنه ليس لها أن تخرج في غير الحج والعمرة إلا مع ذي محرم إلا الهجرة من دار الحرب فاتفقوا أن عليها أن تهجر منها إلى دار الإسلام وإن لم يكن معها محرم. والفرق بينهما أن إقامتها في دار الكفر حرام إذا لم تستطع إظهار الدين، وتخشى على دينها ونفسها، وليس كذلك التأخر عن الحج فإنهم اختلفوا في الحج هل هو على الفور أم على التراخي؟ وقد ذهبوا إلى التراخي وبالتالي يصح لها تأخير الحج. وفي رواية للدارقطني عن أبي أمامة مرفوعاً: (لا تسافر المرأة سفرَ ثلاثة أيام أو تحجَّ إلا ومعه زوجها أو لا تحجَّ امرأة إلا ومعه زوجها)^(٤٦) و«لا تسافر المرأة ثلاثة إلا ومعه ذو محرم»^(٤٧) واحتج ابن حزم لمذهبه بحديث أبي معبد عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب ويقول: «لا يَخْلُونَ رجلٌ بامرأةٍ ولا تُسافر امرأةٌ إلا مع ذي محرم. فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجةً وإني اكتتبْتُ في غزوةٍ كذا أو كذا. فقال ﷺ: انطلق فاحجُجْ مع امرأتك»^(٤٨). وقد استدلل ابن حزم بهذا: لأن نهيهِ عليه الصلاة والسلام عن أن تسافر امرأة إلا مع ذي محرم - وقع - أي وقع سفر المرأة بدونه - ثم سأل الرجل عن امرأته التي خرجت حاجةً لا مع ذي محرم، ولا مع زوج، فأمره النبي ﷺ بأن ينطلق فيحجَّ معها، ولم يأمر ﷺ بردها، ولا عاب سفرها إلى الحجِّ دونه ودون ذي محرم. ويمكن هنا ردُّ استدلال ابن حزم بأنه لو لم يكن ذلك - أي وجود المحرم أو الزوج مع المرأة في سفرها - شرطاً لما أمر ﷺ زوجها بالسفر معها وترك الغزو الذي كتب فيه^(٤٩). ولما ورد عن نافع وعن روايات أخرى ذكرها مسلم في (سفر المرأة مع

محرم إلى حج وغيره) (٥٠).

رفقة النساء الثقات:

رفقة النساء الثقات هي الأخرى تقوم مقام الزوج أو المحرم في سفر المرأة للحج هذا ما رآه الإمام البخاري استناداً إلى ما رواه في صحيحه: أن عمر بن الخطاب قد أذن لأزواج النبي ﷺ في آخر حجة حجها، فبعث معهن عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف، ثم كان عثمان بعد عمر بن الخطاب يحج بهن في خلافته أيضاً.

وبعد ذكر هذا يقولون: إن وجه الدلالة بحج أمهات المؤمنين برفقة عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف أن هذا الأمر حصل باتفاق عمر وعثمان وعبدالرحمن ابن عوف ونساء النبي ودون نكير عليهن من غيرهم من الصحابة. ومن هذا كله يستفيدون أيضاً الاجتماع على جواز سفر المرأة للحج برفقة نساء ثقات، لأن أمهات المؤمنين كن ثمانية في سفرهن للحج، وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في شرحه «لصحيح البخاري» من حديث أم معبد الخزاعية، الذي أخرجه ابن سعد، قالت: «رأيت عثمان وعبدالرحمن في خلافة عمر حجاً بنساء النبي ﷺ فنزلن بقديد، فدخلت عليهن وهن ثمان».

وأما المالكية: فيقولون: إن الرفقة المأمونة تقوم مقام الزوج والمحرم ولكن بشرط إن كانت الرفقة نساء فقط أو نساء ورجالاً فنساء النبي ﷺ أكثر من واحدة بدلالة الحديث الآخر عن أم معبد الخزاعية، ولا يستدل على كفاية الرفقة إن كانت رجالاً فقط.

فالمالكية يشترطون إذن لصحة الرفقة وجود نساء أو نساء ورجال ثقات.

الشرط الثاني

أما بالنسبة إلى الشرط الثاني لوجوب الحج على المرأة، وهو ألا تكون معتدة

من طلاق أو وفاة، فنقول:

إن الإمامية ذهبوا إلى أن المطلقة في عدتها الرجعية يجوز لها أن تؤدي حجة الإسلام إذا استطاعت، لأن البينونة في العدة الرجعية لا تحصل إلا بعد انقضاء هذه العدة فحالتها حال الزوجة في عدم كون إذن زوجها شرطاً في استطاعتها أو في وجوب حجة الإسلام عليها وليس له منعها، وأما في الحج المندوب والموسّع فهي تحتاج إلى إذن زوجها وله منعها.

أما البائنة فلها أن تحج حجاً واجباً أو مندوباً مضيئاً أو موسّعاً في عدتها لانقطاع عصمتها من الزوج.

أما التي توفي عنها زوجها، فهي أيضاً لها أن تحج الحج الواجب أو المندوب.. لانتفاء إذن الزوج بانتفاء وجوده.

الروايات

✽ عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: لا تحج المطلقة في عدتها.

فهذه الرواية - وبالنظر الأولى لها - عامة تشمل كل مطلقة وكل صاحبة عدة، ولكن نظراً لانقطاع عصمة المرأة البائنة من زوجها فقد ملكت نفسها بذلك وليس له سلطنة عليها بعد وقوع البينونة تلك وبالتالي فلا تحتاج إلى إذنه، ولا تكثر بمنعه لو حدث، إذا ما أرادت أن تحج حجاً واجباً أو مستحباً..

فعن سعيد بن أبي خلف في المطلقة، قال: سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن شيء من الطلاق، فقال: إذا طلق الرجل امرأة طلاقاً لا يملك فيه الرجعة، فقد بانت منه ساعة طلقها وملك نفسها ولا سبيل له عليها^(٥١).

وكذلك المتوفى عنها زوجها لها أن تحج واجباً كان الحج أو مستحباً في عدتها لانتفاء وجود الزوج بوفاة.

لهذا كله فقد خرجت كل من البائنة والمتوفى عنها زوجها حكماً وموضوعاً

من هذه الرواية وكذلك من الآية التي ستأتي .

بقي عندنا الحالة الثالثة وهي المرأة المطلقة رجعيّاً في عدّتها، التي لا تحصل البينونة فيها إلا بعد انقضاء العدة كما قلنا، لذلك عليها ان تبقى في بيتها وهو بيت الزوجية طيلة فترة العدة لا تُخرج منه ولا تُخرج منه، إلا إذا أتت بفاحشة مبينة كما في الآية التالية: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ﴾ فليس للزوج إخراجها منه مادامت تقضي فترة عدتها من طلاقها الرجعي، وليس لها هي الأخرى أن تُخرج من هذا البيت إلا لضرورة ظاهرة فإن خرجت فقد اثمت كما عن مجمع البيان (٥٢).

وإنما ألزمت بالبقاء في بيت زوجها لا كعقوبة لها ولكن لإعطاء فرصة أخرى لكل من الزوج والزوجة ليراجع كل منهما نفسه، فلعل الحياة الزوجية الطيبة تعود من جديد بينهما ويعيشا بالمعروف ..

وهذه المرأة إذا أرادت أن تؤدي حجاً مستحباً أو موسعاً - فقد جاءت هذه الرواية وغيرها من الروايات لتوضح لنا - أن عليها أن لا تخرج في هذه الحالة من بيتها، ولا بدّ لها من إذن زوجها وإذا منعها ليس لها مخالفته؛ لأن المطلقة الرجعية بحكم الزوجة، وهذا بعكس ما لو استطاعت ووجبت عليها حجة الإسلام، فلها أن تخرج في هذه الحالة من بيتها لتؤدي فريضة الحج فحالتها - لاستمرار عنوان الزوجية عليها - حال الزوجة المستطبعة التي استقر عليها الحج في عدم كون إذن زوجها شرطاً في استطاعتها وفي وجوب الحج عليها، كما ليس له منعها من هذا الحج.

فإذن إضافة الى الاستثناء الوارد في الآية: ﴿.. إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ﴾، يستثنى امرؤ آخر - استناداً الى الروايات - وهو أن تخرج لأداء فريضة الحج التي استقرت عليها بسبب استطاعتها دون الحج المستحب أو الموسع علماً بأن صاحب الوسائل حمل رواية معاوية هذه على أن المراد لا تحج تطوعاً في عدّتها الرجعية

بدون إذن الزوج .

* ... عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام قال : المطلقة تحجّ في عدتها ، وهذه الرواية عامّة أيضاً تشمل الحج سواءً أكان حجاً واجباً أو مستحباً .

* ... عن منصور بن حازم : إن كانت ضرورة حجّت في عدتها ، وإن كانت حجت ، فلا تحج حتى تقضي عدتها .

فهذه الرواية المرسلة ، تدل مع المطلقة تحجّ في عدتها حجة الإسلام دون الحج المندوب .

أما روايات حج المرأة وهي في عدة وفاة زوجها فهي :

* عن داود بن الحصين ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن المتوفى عنها زوجها ، قال : تحجّ وإن كانت في عدتها .

* وعن زرارة ، قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن المرأة التي يتوفى عنها زوجها ، أتحجّ؟ فقال : نعم .

* وعن عبدالله بن بكير ، قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن المتوفى عنها زوجها ، تحجّ في عدتها؟ قال : نعم ، وتخرج وتنتقل من منزل إلى منزل ^(٥٣) .

أما الحنفية فقد اشترطوا لوجوب حج المرأة بأن لا تكون معتدة أيّة عدّة كانت ، سواء أكانت في عدّة طلاق أو في عدة وفاة ... فإذا كانت معتدة وقت خروج أهل بلدها للحج فلا يجب عليها الحج .

دليلهم :

١ - الآية : ﴿وَلَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ فقد نهى الله تعالى المعتدات عن الخروج .

٢ - ولما روي أن عبدالله بن عمر ، وعبدالله بن مسعود ردّا المعتدات من الميقات .

٣ - ولأن الحج يمكن أدائه في وقت آخر ، أما العدة فلا بد من قضائها في وقتها

أي لها وقت مخصوص وهو ما بعد الطلاق أو الوفاة مباشرة، فكان الجمع بين الأمرين أولى بل المتعين.

وأما إذا لزمها العدة بعد خروجها للسفر، فإن كانت العدة من طلاق رجعي، فإن على زوجها أن لا يفارقها؛ لأن الطلاق الرجعي لا يزيل الزوجية، ولكن الأفضل أن يُراجعها زوجها.

وإن كانت العدة من طلاق بائن أو عن وفاة يُنظر: فإن كانت المسافة بينها وبين بلدها أقل من مدة السفر، أي أقل من مسيرة ثلاثة أيام، وإلى مكة مدة السفر، أي: مسيرة ثلاثة أيام، فإنها ترجع إلى بلدها؛ لأنه ليس فيه إنشاء سفر، فصار كأنها في بلدها، وإن كانت المسافة بينها وبين مكة أقل من مدة السفر.

وإن كانت المسافة من الجانبين أقل من مدة السفر فهي بالخيار إن شاءت مضت إلى مكة، وإن شاءت رجعت إلى بلدها.

وإن كان من الجانبين مدة سفره فإن كانت في المصر فليس لها أن تخرج حتى تنقضي عدتها في قول أبي حنيفة، وإن وجدت محرماً.

وعند أبي يوسف ومحمد: لها أن تخرج إذا وجدت محرماً، وليس لها أن تخرج بلا محرم، وإن كان ذلك في المفازة أو في بعض القرى بحيث لا تأمن على نفسها وما لها، فلها أن تمضي فتدخل في موضع الأمن، ثم لا تخرج منه في قول أبي حنيفة سواء وجدت محرماً أو لم تجد، وعند أبي يوسف ومحمد: تخرج إذا وجدت محرماً. هذا هو مذهب الحنفية^(٥٤).

الحنابلة:

وأما عند الحنابلة: لا تخرج إلى الحج في عدة الوفاة نص عليه أحمد، قال: ولها أن تخرج إليه في عدة الطلاق البائن؛ لأن لزوم المنزل والمبيت فيه واجب في عدة الوفاة، وقدم على الحج لأنه يفوت، والطلاق البائن لا يجب فيه ذلك. وإن كانت في عدة طلاق رجعي فإن هذا الطلاق لا يرفع النكاح، فهي

زوجته ما دامت في العدة، وإذا خرجت للحج فتوفي زوجها، فإن كانت قريبة من بلدها رجعت لتعتد في بيتها، وإن كانت بعيدة عن بلدها مضت في سفرها إلى الحج (٥٥).

الهوامش :

- (١) آل عمران: ٩٧.
- (٢) المختصر النافع ص ١٠٣، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ١/١٦١، الشرائع ١/١٦٨، الجواهر ١٧/٣٣٠.
- (٣) تحرير الوسيلة للإمام الخميني (ق) ١/٣٨٤.
- (٤) الوسائل باب: ٥٩ من أبواب وجوب الحج، الحديث ١.
- (٥) الوسائل باب: ٥٩١ من أبواب وجوب الحج، الحديث ٣.
- (٦) الوسائل باب: ٥٩ من أبواب وجوب الحج، الحديث ٤.
- (٧) الوسائل باب: ٥٩ من أبواب وجوب الحج، الحديث ٥.
- (٨) الوسائل باب: ٥٩ من أبواب وجوب الحج، الحديث ٦.
- (٩) انظر الوسائل باب ١١ من أبواب الأمر والنهي من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- (١٠) يراجع براهين الحج للكاشاني ١/٢٥٠ - ٢٥١، وتفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة للشيخ فاضل النكراني ١/٣٢٢ - ٣٢٤.
- (١١) الوسائل ١١، باب: ٩ من أبواب وجوب الحج، الحديث ٢.
- (١٢) انظر المنجد، المختار من صحاح اللغة، المعجم الوسيط، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً.
- (١٣) النساء: ٢٣.
- (١٤) النساء: ٢٢.
- (١٥) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي - الاستطاعة.
- (١٦) انظر وسائل الشيعة ٩ باب ٥٨ من أبواب الحج.

- (١٧) تحرير الوسيلة ٣٨٤/١.
- (١٨) التذكرة، الذخيرة.
- (١٩) الجواهر: ٣٣٠/١٧.
- (٢٠) براهين الحج للكاشاني ٢٥١/١.
- (٢١) تحرير الوسيلة ١/٣٨٤.
- (٢٢) الوسائل الباب: ٥٨، وجوب الحج وشرائطه، الحديث ١،؟؟؟.
- (٢٣) مستند العروة الوثقى: ٢٨٦/١ للسيد الخوئي.
- (٢٤) مستند العروة الوثقى، السيد الخوئي.
- (٢٥) انظر مغني المحتاج: ٤٦٨/١.
- (٢٦) الفقه المقارن، جناتي.
- (٢٧) الشرح الصغير للدردير، حاشية الصاوي ٢٦٣ - ٢٦٤، حاشية الدسوقي ٩/٢ - ١٠.
- (٢٨) الدسوقي في حاشية على الشرح الكبير ٩/٢، وانظر ١٠٧/٧ من موسوعة الفقه الإسلامي.
- (٢٩) المحلى ٤٧/٧، موسوعة الفقه الإسلامي ١٢٢/٧، نيل الأوطار للشوكاني ٣٢٦/٤ باب النهي عن سفر المرأة للحج إلا بمحرم.
- (٣٠) انظر مغني المحتاج ٤٦٨/١.
- (٣١) شرح الأزهاري ٦٥/٢ - ٦٦، موسوعة الفقه الإسلامي ١٢٣/٧، الفقه الإسلامي وأدلته، الاستطاعة.
- (٣٢) البريد: فرسخان.
- (٣٣) موسوعة الفقه الإسلامي ١٢٣/٧ الاستطاعة.
- (٣٤) موسوعة الفقه الإسلامي - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - باب الاستطاعة ١١٩/٧ المغني ٢٣٦/٣ - ٢٣٧، ٢٣٨.
- (٣٥) المغني ٢٤٠/٣.
- (٣٦) موسوعة الفقه الإسلامي، الاستطاعة ١٣٠/٧.
- (٣٧) موسوعة الفقه الإسلامي، الاستطاعة ١٠٢/٧.
- (٣٨) البدائع ١٢٤/٢.
- (٣٩) موسوعة الفقه الإسلامي، الاستطاعة ١٠٣/٧.
- (٤٠) صحيح البخاري بشرح العسقلاني ٧٢/٣.
- (٤١) صحيح البخاري بشرح العسقلاني ٧٥/٤.
- (٤٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٠٦/٩.
- (٤٣) صحيح البخاري - باب علامات النبوة في الإسلام، بشرح العسقلاني ٦١٠/٦ - ٦١١.
- (٤٤) المغني ٢٣٨/٣.

- (٤٥) المغني ٢٣٨/٣.
- (٤٦) انظر الفقه الإسلامي وأدلته ص ٣٦، وعن نيل الأوطار ٤/٤٩١.
- (٤٧) انظر الفقه الإسلامي وأدلته ص ٣٦، متفق عليه عند البخاري ومسلم وأحمد عن ابن عمر، عن نيل الأوطار ٤/٢٩٠، باب النهي عن سفر المرأة للحج... أورد ثلاث روايات عن ابن عباس وابن عمر وعن أبي سعيد وعن أبي هريرة.
- (٤٨) متفق عليه عن ابن عباس، واللفظ لمسلم (سبل السلام ٢/١٨٣).
- (٤٩) المحلى ٤٧/٧ - ٥١، نيل الأوطار للشوكاني ٤/٢٩١ - ٢٩٢.
- (٥٠) صحيح مسلم بشرح النووي ٩/١٠٢ - ١٠٩.
- (٥١) وسائل الشيعة، كتاب الطلاق - أبواب الطلاق/الباب ٢٠.
- (٥٢) مجمع البيان سورة الطلاق الآية ١.
- (٥٣) وسائل الشيعة ١١/١٥٩ باب ٦١.
- (٥٤) الفقه الإسلامي وأدلته ٣/٣٧ للدكتور الزحيلي، والفقه على المذاهب الأربعة، وانظر البدائع ٢/١٢٤.
- (٥٥) انظر المغني ٣/٢٤٠ - ٢٤١.

تحول القبلة ومسجد القبلتين

محمد علي المقدادي

قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز :

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ * قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ * وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ وَإِنْ

فَرِيقًا مِنْهُمْ لِيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْذِبِينَ * وَلِكُلِّ وَجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْنَعِي نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ^(١).

إن تحول القبلة من بيت المقدس^(٢) إلى الكعبة المشرفة من أهم الوقائع التي حدثت في غرب المدينة المنورة، بعد هجرة رسول الله ﷺ إليها من مكة المكرمة، وبعد مضي أكثر من أربع عشرة سنة من أداء الصلاة ودفن الموتي وذبح الذبائح إلى القبلة الأولى ببيت المقدس.

هذه الواقعة حوت مراتب كبيرة من الأمور الدينية والتشريعية والأخلاقية والتربوية والتأريخية، نستعرضها في خمسة محاور وبالله التوفيق.

أولاً: البواعث التي أدت إلى تحويل القبلة.

ثانياً: تفسير الآيات الواردة حول هذا الموضوع.

ثالثاً: الروايات الواردة في شأن نزول تلك الآيات الشريفة.

رابعاً: ما هو السبب لجعل بيت المقدس قبلة أولاً، ثم الكعبة ثانياً؟

خامساً: زمان تحول القبلة ومكانه، وكيفية وقوعه.

١ - البواعث التي أدت إلى تحويل القبلة

لا شك في أن رسول الله ﷺ لم يزل مطيعاً لأوامر الله سبحانه وراضياً بها، ولم يكن في نفسه الشريفة كراهة حتى للحظة واحدة بالنسبة إلى القبلة الأولى، لأن الكراهة لا تجتمع مع الإطاعة، ولكنه كان منتظراً ومتوقفاً لنزول الوحي في أمر

القبلة، كما يشير إليه القرآن الكريم: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ...﴾ (٣) وذلك لبواعث نذكر بعضها:

١ - نقل المفسرون والمؤرخون أن اليهود كانوا يعيرون المسلمين، ويتفاخرون عليهم ويقولون: نحن أقدم منكم زماناً لعبادة الله نحو الصخرة في بيت المقدس، وأنتم أتبعتم قبلتنا، فاغتم رسول الله ﷺ بذلك غمّاً شديداً، كما دلّت عليها الأخبار الواردة من طرق الفريقين، الشيعة والسنة، سنذكرها.

قال العلامة الطباطبائي رحمه الله: إن اليهود كانوا أمة لا يرون لغير المحسوس من عالم الطبيعة أصالة، ولا لغير الحسّ وقعاً، إذا جاءهم حكم من أحكام الله معنوي، قبلوه من غير تكلم عليه، وإذا جاءهم أمر من ربهم صوري متعلق بالمحسوس من الطبيعة كالقتال والهجرة والسجدة وخضوع القول وغيرها، قابلوه بالانكار وقاوموا عليه ودونه أشد المقاومة.

وبالجملة فقد أخبر الله سبحانه عمّا سيعترضون به على تحويل القبلة وعلم رسوله ما ينبغي أن يجابوا ويقطع به قلوبهم.

أمّا اعتراضهم: فهو أن التحول عن قبلة شرعها الله سبحانه للماضين من أنبيائه إلى بيت ما كان به شيء من هذا الشرف الذاتي، ما وجهه؟ فإن كان بأمر من الله، فإن الله هو الذي جعل بيت المقدس قبلة فكيف ينقض حكمه وينسخ ما شرعه، واليهود ما كانت تعتقد النسخ (كما تقدم في آية النسخ)، وإن كان بغير أمر الله ففيه الانحراف عن مستقيم الصراط والخروج من الهداية إلى الضلال، وهو تعالى وإن لم يذكر في كلامه هذا الاعتراض، إلا أن ما أجاب به يلوّح بذلك؟

وأمّا الجواب: فهو إن جعل بيت من البيوت كالكعبة، أو بناء من الأبنية أو الأجسام كبيت المقدس، أو الحجر الواقع فيه قبلة، ليس لاقتضاء ذاتي منه يستحيل التعدي عنه، أو عدم إجابة اقتضائه، حتى يكون البيت المقدس في كونه

قبلة لا يتغيّر حكمه ولا يجوز إلغاؤه، بل جميع الأجسام والأبنية وجميع الجهات التي يمكن أن يتوجه إليه الإنسان في أنها لا تقتضي حكماً ولا يستوجب تشريعاً على السواء، وكلها لله، يحكم فيها ما يشاء، وكيف يشاء، ومتى يشاء، وما حكم به من حكم فهو هداية الناس على حسب ما يريد من صلاحهم وكمالهم الفردي والنوعي، فلا يحكم إلاّ ليهدي به ولا يهدي إلاّ إلى ما هو صراط مستقيم إلى كمال القوم وصلاحهم^(٤).

٢ - قال الزمخشري: كان رسول الله ﷺ يتوقع من ربّه أن يحولّه إلى الكعبة؛ لأنها قبلة أبيه إبراهيم، وأدعى للعرب إلى الإيمان؛ لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم، ولخالفه اليهود، فكان يراعي نزول جبريل عليه السلام والوحي بالتحويل^(٥).

٣ - وذكر أن الباعث للتحويل هو اختبار المسلمين وامتحانهم لاتباع النبي ﷺ بما أمرهم به وما نهاهم عنه، قال الإمام أبو محمد العسكري عليه السلام: إن هوى أهل مكة كان في الكعبة، فأراد الله أن يبين متبع محمد ﷺ من مخالفه، باتباع القبلة التي كرهها، ومحمد ﷺ يأمر بها، ولما كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس، أمرهم بمخالفتها والتوجه إلى الكعبة، ليبين من يوافق محمداً ﷺ فيما يكرهه، فهو مصدقه وموافق... الحديث^(٦).

٤ - وقد ذكر أيضاً، أن الكعبة كانت مشغولة في صدر الإسلام بأصنام المشركين وأوثانهم، وكان السلطان معهم، والإسلام لم يقو بعد بحيث يظهر قهره وقدرته، فهدى الله رسوله إلى استقبال بيت المقدس، لكونه قبلة لليهود، الذين هم أقرب في دينهم من المشركين إلى الإسلام، ثم لما ظهر أمر الإسلام بهجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة، قرب زمان الفتح وتوقع تطهير البيت من أرجاس الأصنام، جاء الأمر بتحويل القبلة^(٧).

وسنذكر مطالب أخرى في المحور الرابع إن شاء الله تعالى.

٢ - تفسير الآيات المباركة حول التحويل

الآيات الواردة في سورة البقرة من رقم ١٤٢ إلى ١٥٠ تحكي واقعة تحويل القبلة، وما هو مربوط بتلك الواقعة من توطين الرسول ﷺ نفسه للجواب عما يثيره اليهود والمشركون حول هذه المسألة، ومن ابتلاء المسلمين، وقبول صلواتهم تجاه القبلة الأولى من قبل الله سبحانه وتعالى، وغيرها من النكات.

وقد ادّعى بعض المفسرين تقدم بعض هذه الآيات على بعضها الآخر ونسخ بعضها بعضاً، قال العلامة الطباطبائي رحمه الله:

الآيات مترتبة متسقة منتظمة في سياقها على ما يعطيه التدبر فيها وهي تنبئ عن جعل الكعبة قبلة للمسلمين، فلا يصغى إلى قول من يقول: إن فيها تقدماً وتأخراً، أو إن فيها ناسخاً ومنسوخاً، وربما رووا فيها شيئاً من الروايات، ولا يعبأ بشيء منها بعد مخالفتها لظاهر الآيات^(٨).

إذا عرفت هذا فلنشرع ببيان ما ورد في تفسير هذه الآيات البيّنات، ولنبدأ بما قاله المفسر المتأله الفيض الكاشاني رحمه الله قال:

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ الذين خفّ أحلامهم أو استمهنوها بالتقليد والإعراض عن النظر، يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين، وفائدة تقديم الإخبار به، توطين النفس وإعداد الجواب ﴿مَا وَلِيُّهُمْ﴾ ما صرفهم ﴿عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ يعني بيت المقدس ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ لا يختص به مكان دون مكان ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو ما يقتضيه الحكمة والمصلحة من التوجه إلى بيت المقدس تارةً، وإلى الكعبة أخرى^(٩).

وقال العلامة الطباطبائي رحمه الله في ذيل هذه الفقرة من الآية الشريفة: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾، اقتصر من بين الجهات بهاتين لكونهما المعينتين لساير الجهات الأصلية والفرعية، كالشمال والجنوب، وما بين كل جهتين من الجهات

الأربعة الأصلية، والمشرق والمغرب جهتان إضافيتان تتعینان بشروق الشمس أو النجوم وغروبها، يعان جميع نقاط الأرض غير نقطتين موهومتين، هما نقطتا الشمال والجنوب الحقيقيتان، ولعل هذا هو الوجه في وضع المشرق والمغرب موضع الجهات.

ثم ذكر ﷺ للفقرة الأخيرة من الآية الشريفة ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ما هذا لفظه: تنكير الصراط، لأن الصراط يختلف باختلاف الأمم في استعداداتها للهداية إلى الكمال والسعادة^(١٠).

قوله تعالى: ﴿... وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ... وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ذكر الزمخشري^(١١) أن رسول الله ﷺ كان يصلي بمكة إلى الكعبة، ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفاً لليهود، ثم حوّل إلى الكعبة ثانياً بعد الهجرة. ثم نقل الزمخشري عن ابن عباس: كانت قبلته بمكة بيت المقدس، إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه.

أقول: إن الزمخشري بعد أن ادّعى ذلك لم يذكر دليلاً للمدّعى بل نقل عن ابن عباس تلك الرواية التي ذكرناها تعارض ما قال ولا تفيده شيئاً.

نعم، بما أن رسول الله كان موحداً ومؤمناً إبراهيمياً وكان عابداً لله سبحانه وتعالى من أوّل عمره إلى آخره فهل صلواته في مكة المكرمة قبل البعثة وبعدها كانت تجاه الكعبة أو بيت المقدس؟ لهذا البحث مجال واسع يتطلب محلاً آخر.

وقال السيد عبد الله شبر^(١٢): وقيل: المراد الكعبة، أي ما رددناك إلى ما كنت عليها إلا لنعلم الثابت من المرتد لأنه صلى الله عليه وآله كان يصلي بمكة إليها.

هذا، ولكن روى الفيض الكاشاني ﷺ في تفسيره الصافي، عن كتاب الاحتجاج أنه: «لما كان رسول الله ﷺ بمكة أمره الله عز وجل أن يتوجه نحو بيت المقدس في صلاته ويجعل الكعبة بينه وبينها إذا أمكن، وإذا لم يمكن استقبال بيت



المقدس كيف كان، وكان رسول الله ﷺ يفعل ذلك طول مقامه بها...» (١٣).
وأنت كما ترى لا يمكن أن يكون مثل هذه الطائفة من الأخبار دليلاً لو فرض
أن الزمخشري وغيره قد استفاد منها، وسياق الآيات الكريمة وظاهرها لا
يساعده، مع أنه نجد غير واحد من المفسرين يخالف هذا الادعاء كالفيض
الكاشاني والعلامة الطباطبائي....

قال في تفسير الميزان: وظاهر الآية أنه دفع لما يختلج في صدور المؤمنين من
تغيير القبلة ونسخها، ومن جهة الصلوات التي صلّوها إلى القبلة، وما شأنها؟
ويظهر من ذلك أن المراد بالقبلة التي كان رسول الله ﷺ عليها، هو بيت المقدس لا
الكعبة، فلا دليل على جعل بيت المقدس قبلة مرتين، وجعل الكعبة قبلة مرتين، إذ
لو كان المراد من القبلة في الآية الكعبة، كان لازم ذلك ما ذكر (١٤).

وفي تفسير آلاء الرحمن: «وما جعلنا القبلة التي كنت عليها» ظاهر قوله
تعالى في الآية التي بعد هذه «فلنولينك قبلة» أنها نزلت قبل تحوله ﷺ إلى الكعبة،
وظاهر السوق أن هذه الآية نزلت قبل تلك، مع أن ظاهر قوله تعالى: «التي كنت
عليها» كنت تتوجه إليها فيما مضى وصرفت عنها، فتشكل هذه الظواهر.

ولأجل ذلك قال بعضهم: إن كان تامة بمعنى أنت عليها. وقال في الكشف:
إن «التي كنت عليها» مفعول ثان لجعلنا، والمقصود من الموصول مكة، أي وما
جعلنا القبلة مكة. وفيه تعقيد ومخالفة للاعتبار مع أن الإشكال المذكور على حاله.
ويرتفع من أصله بأن قوله تعالى: «كنت عليها» لا يختص بما بعد الانصراف عنها
وانقطاع الكون، بل قيل باعتبار الكون الماضي وتوجهه ﷺ إلى البيت المقدس
أشهرًا عديدة من دون نظر إلى الانقطاع نحو: «وكان الله غفوراً رحيمًا» أي: وما
جعلنا بيت المقدس قبلة لك هذه المدة «إلا لنعلم» اللام للعاقبة، والمحصّر إنما هو
باعتبار العاقبة لا حكمة التشريع (١٥).

قوله تعالى: «... إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن

كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم»^(١٦) قال البلاغي رحمه الله في تفسيره: وكبيرة ثقيلة، ومن اللازم أن يكون استقبال بيت المقدس ثقیلاً على قريش والعرب إلا الذين هداهم الله إلى الإيمان برسول الله ﷺ فيعلمون أن ذلك أمر من الله الحكيم «وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم» في الكافي عن ابن أبي عمير الزبيدي عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية: إن الله سمي الصلاة إيماناً. وذكر الصدوق في الفقيه: قال المسلمون: صلاتنا إلى بيت المقدس تضيع يا رسول الله؟ فأنزل ذلك. وذكر أنه أخرج حديثه في كتاب النبوة. وفي رواية العياشي: أنه لما حولت القبلة قالوا: ما حالنا؟ أي في صلاتنا الماضية، وما حال من مضى في صلاتهم إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله: «وما كان الله ليضيع إيمانكم». وفي الدر المنثور عن ابن عباس نحوه وصححه الحاكم^(١٧).

ونقل الطبري في تفسيره عن ابن عباس قال: لما وجه رسول الله ﷺ إلى الكعبة قالوا: كيف بمن مات من إخواننا قبل ذلك وهم يصلون نحو بيت المقدس؟ فأنزل الله جل ثناؤه: «وما كان الله ليضيع إيمانكم» ونقل أيضاً عن أبي إسحاق عن البراء قال: مات على القبلة قبل أن تحول إلى البيت رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى ذكره: «وما كان الله ليضيع إيمانكم»^(١٨). قوله تعالى: «قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضيها فول وجهك شطر المسجد الحرام...».

تقدم سابقاً تفسير هذه الآية الشريفة في المحور الأول من المباحث فراجع. قال علي بن إبراهيم القمي رحمه الله في تفسيره: إن اليهود كانوا يعيرون برسول الله ﷺ ويقولون: أنت تابع لنا، تصلي إلى قبلتنا، فاغتم من ذلك رسول الله ﷺ غمّاً شديداً، وخرج في جوف الليل ينظر في آفاق السماء ينتظر بأمر الله تبارك وتعالى في ذلك، فلما أصبح وحضرت صلاة الظهر كان في مسجد

بني سالم [بني سلمة] ^(١٩) قد صلى بهم الظهر ركعتين، فنزل جبرئيل عليه السلام فأخذ بعضديه فحوّله إلى الكعبة... ^(٢٠).

قال العلامة الطباطبائي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وإن الذين أتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾ وذلك لاشتغال كتابهم على صدق نبوة رسول الله ﷺ أو كون قبلة هذا النبي الصادق هو شطر المسجد الحرام، وأياً ما كان فقوله: ﴿أتوا الكتاب﴾ يدل على اشتغال كتابهم على حقيقة هذا التشريع، إما مطابقة أو تضماً ﴿وما الله بغافل عما يعملون﴾ من كتمان الحق، واحتكار ما عندهم من العلم ^(٢١).
قوله تعالى: ﴿ولئن أتيت الذين أتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم...﴾ ^(٢٢).

قال البلاغي رحمه الله: ﴿ولئن أتيت الذين أتوا الكتاب﴾ ولم يوفقوا للإيمان بك ﴿بكل آية ما تبعوا قبلتك﴾ أي الكعبة ﴿وما أنت بتابع قبلتهم﴾ اتباعاً خصوصاً بعدما أمرت بالتوجه شطر المسجد الحرام ﴿وما بعضهم بتابع قبلة بعض﴾ فإن النصراني تتوجه إلى المشرق واليهودي إلى بيت المقدس ﴿ولئن اتبعت أهواءهم...﴾ هذا توبيخ لهم وتبكييت بأنهم أصحاب أهواء فاسدة لا يتبعها إلا الظالمون. وخطب بذلك رسول الله ﷺ لقطع أطماعهم ولبيان فضله، لأنه لا يتبع أهواءهم أبداً بدليل قوله تعالى: ﴿وما أنت بتابع قبلتهم﴾ ^(٢٣).

وفي الميزان: قوله تعالى: ﴿ولئن أتيت الذين أتوا الكتاب بكل آية﴾ تقرير لهم بالعناد واللجاج، وأن إباءهم عن القول ليس لحفاء الحق عليهم، وعدم تنبيه لهم، فانهم عالمون بأنه حق علماً لا يخالطه شك، بل الباعث لهم على بث الاعتراض وإثارة الفتنة، عنادهم في الدين وجحودهم للحق، فلا تنفعهم حجة، ولا تقطع إنكارهم آية، فلو أتيتهم بكل آية ما تبعوا قبلتك لعنادهم وجحودهم، وما أنت بتابع قبلتهم؛ لأنك على بيّنة من ربك، ويمكن أن يكون قوله: ﴿وما أنت﴾ نهياً في صورة خبر، وما بعضهم بتابع قبلة بعض، وهم اليهود يستقبلون صخرة

بيت المقدس أينما كانوا، فلا هذا البعض يقبل قبله ذاك البعض، ولا ذاك يقبل قبله هذا اتباعاً للهوى^(٢٤).

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله في التبيان: قوله: «وما أنت بتابع قبلتهم» قيل في معناه أربعة أقوال:

أولها - أنه لما قال: «ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم...» على وجه المقابلة كما تقول: ما هم بتاركي إنكار الحق وما أنت بتارك الاعتراف به، فيكون الذي جرّ الكلام، التقابل للكلام الأول، وذلك حسن من كلام البلغاء.

الثاني - أن يكون المراد أنه ليس يمكنك استصلاحهم باتباع قبلتهم لاختلاف وجهتهم، لأن النصارى يتوجهون إلى المشرق، واليهود إلى بيت المقدس، فبين الله تعالى أن رضا الفريقين محال.

الثالث - أن يكون المراد حسم طمع أهل الكتاب من اليهود، إذ كانوا طمعوا في ذلك وظنوا أنه يرجع إلى الصلاة إلى بيت المقدس وماجوا في ذكره.

الرابع - أنه لما كان النسخ مجوزاً قبل نزول هذه الآية، فأنزل الله تعالى الآية، ليرتفع ذلك التجوّز^(٢٥).

ثم إنه ذكر الشيخ الطوسي رحمه الله قولين آخرين في ذكر هذه الفقرة من الآية: «وما بعضهم بتابع قبله بعض» هذا نصّه: قيل في معناه قولان:

أحدهما - قال الحسن، والسدي، وابن زيد، والجبائي: إنه لا يصير النصارى كلهم يهودياً، ولا اليهود كلهم يصيرون نصارى أبداً، كما لا يتبع جميعهم الإسلام. وهذا من الإخبار بالغيب.

[ثانيهما] - وقال غيرهم: معناه إسقاط الاعتدال بأنه مخالفة لأهل الكتاب، الذين ورثوا ذلك عن أنبياء الله بأمرة إياهم به، فكلما جاز أن يخالف بين وجهتهم للاستصلاح جاز أن يخالف بوجهة ثالثة للاستصلاح في بعض الأزمان^(٢٦).

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ...﴾ (٢٧). قال الطبرسي رحمه الله: أخبر الله سبحانه بأنهم يعرفون النبي ﷺ وصحة نبوته فقال ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ﴾ أي أعطيناهم ﴿الْكِتَابَ﴾ وهم العلماء منهم ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي يعرفون محمداً ﷺ وأنه حق ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (٢٨)...

ونرى في تفسير الميزان: الضمير في قوله: ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ راجع إلى رسول الله ﷺ دون الكتاب، والدليل عليه تشبيه هذه المعرفة بمعرفة الأبناء، فإن ذلك إنما يحس في الإنسان، ولا يقال في الكتاب إن فلاناً يعرفه أو يعلمه، كما يعرفه ابنه، على أن سياق الكلام - وهو في رسول الله ﷺ وما أوحى إليه من أمر القبلة - أجنبي عن موضوع الكتاب الذي أوتيته أهل الكتاب، فالمعنى أن أهل الكتاب يعرفون رسول الله ﷺ بما عندهم من بشارات الكتب كما يعرفون أبناءهم، وإن فريقاً منه ليكتمون الحق وهم يعلمون...

قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ تأكيد البيان السابق وتشديد في النهي عن الامتراء، وهو الشك والارتياب، وظاهر الخطاب لرسول الله ﷺ ومعناه للأمة (٢٩).

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبَقُوا الْخَيْرَاتِ...﴾ (٣٠) قال الطبرسي رحمه الله في معنى هذه الآية الشريفة: هذا بيان لأمر القبلة أيضاً وقوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ فيه أقوال:

أحدها - أن معناه لكل أهل ملة من اليهود والنصارى قبله؛ عن مجاهد وأكثر المفسرين.

ثانيها - أن لكل نبي وصاحب ملة وجهة، أي طريقة وهي الإسلام وإن اختلفت الأحكام كقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ يعني شرائع الأنبياء، عن الحسن.

ثالثها - أن لكل من المسلمين وأهل الكتاب قبله، يعني صلاتهم إلى بيت

المقدس وصلاتهم إلى الكعبة، عن قتادة.

رابعها - أن لكل قوم من المسلمين وجهة، ومن كان منهم وراء الكعبة أو قدامها أو عن يمينها أو عن شمالها، وهو اختيار الجبائي...^(٣١).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنْهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ * ومن حيث خرجت فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولُّوا وجوهكم شطره...^(٣٢).

قال البلاغي رحمه الله في تفسيره: ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ سواء كان الخروج من مكة إلى المدينة أو من المدينة إلى الشام... ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ في جميع هذه الأحوال وجميع الجهات ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ نحوه ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي التوجه إلى المسجد الحرام في الصلاة على الإطلاق المنصوص عليه ﴿لِلْحَقِّ مِنْ﴾ أمر ﴿رَبِّكَ﴾ وشريعته الجارية على الحكمة وكرامة البيت، وأن الله لا يضيع أجركم في امتثال أمره^(٣٣)، انتهى كلامه.

أقول: أما التكرار الذي وقع في صدر هاتين الآيتين أعني: ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فقد نقل الطبرسي رحمه الله لذلك وجوهاً نذكرها:

١ - أنه لما كان فرضاً نسخ ما قبله، كان من مواضع التأكيد والتبيين؛ لينصرف الخلق إلى الحال الثانية من الحال الأولى على يقين.

٢ - أنه مقدم لما يأتي بعده ويتصل به فأشبه الاسم الذي تكرر لخبر عنه بأخبار كثيرة كما يقال: زيد كريم، زيد عالم، زيد فاضل وما أشبه ذلك مما يذكر لتعلق الفائدة به.

٣ - أنه في الأول بيان لحال الحاضر وفي الثاني بيان لحال السفر^(٣٤).

قال العلامة الطباطبائي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿... لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني﴾ بيان لفوائد ثلاث في هذا الحكم

الذي فيه أشد التأكيد على ملازمة الامتثال، والتحذر عن الخلاف: إحداهما - أن اليهود كانوا يعلمون من كتبهم أن النبي الموعود تكون قبلته الكعبة دون بيت المقدس، كما قال تعالى: ﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم...﴾ وفي ترك هذا الحكم، الحجة لليهود على المسلمين بأن النبي ليس هو النبي الموعود، لكن التزام هذا الحكم والعمل به يقطع حجتهم إلا الذين ظلموا منهم، وهو استثناء منقطع، أي لكن الذين ظلموا منهم باتباع الأهواء لا ينقطعون بذلك فلا تخشوهم؛ لأنهم ظالمون باتباع الأهواء، والله لا يهدي القوم الظالمين واخشوني.

ثانيها: أن ملازمة هذا الحكم يسوق المسلمين إلى تمام النعمة عليهم بكمال دينهم...

ثالثها: رجاء الاهتداء إلى الصراط المستقيم^(٣٥)...

هذا تمام الكلام فيما أردت أن أذكره في هذا المحور، من التفسير حول التحويل.

٣- الروايات الواردة في شأن نزول آيات التحويل

قد ذكرنا بعض الروايات الواردة حول شأن النزول في المحورين السابقين ومع ذلك نذكر بعضاً آخر منها، تكميلاً للفائدة:

نقل الطبري عن ابن جريج عن مجاهد قال: قالت اليهود: يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا، فكان يدعو الله جل ثناؤه ويستعرض للقبلة فنزلت: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ - وانقطع قول اليهود يخالفنا ويتبع قبلتنا - في صلاة الظهر فجعل الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال^(٣٦).

ونقل شيخ الطائفة رحمه الله في التهذيب عن الطاطري عن محمد بن أبي حمزة عن

ابن مسكان عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ﴾ أمره به؟ قال: نعم، إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقلب وجهه في السماء، فعلم الله عز وجل ما في نفسه فقال: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّينَكَ قِبْلَةً نَّرْضَاهَا﴾ (٣٧). ونقل الطبرسي رحمته الله في الاحتجاج، عن الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام: «جاء قوم من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا: يا محمد هذه القبلة بيت المقدس، قد صليت إليها أربع عشرة سنة، ثم تركتها الآن، أفحقا كان ما كنت عليه؟ فقد تركته إلى باطل، فإنما يخالف الحق الباطل، أو باطلا كان ذلك؟ فقد كنت عليه طول هذه المدة، فما يؤمننا أن تكون الآن على باطل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل ذلك كان حقا وهذا حق، يقوله الله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إذا عرف صلاحكم يا أيها العباد في استقبال المشرق أمركم به، وإذا عرف صلاحكم في استقبال المغرب أمركم به، وإن عرف صلاحكم في غيرهما أمركم به، فلا تنكروا تدبير الله في عباده، وقصده إلى مصالحكم، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد تركتم العمل يوم السبت، ثم عملتم بعده سائر الأيام، ثم تركتموه في السبت ثم عملتم بعده، افتركتم الحق إلى الباطل والباطل إلى حق؟ أو الباطل إلى باطل؟ أو الحق إلى حق؟ قولوا: كيف شئتم، فهو قول محمد صلى الله عليه وآله وجوابه لكم، قالوا: بل ترك العمل في السبت حق، والعمل بعده حق، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فكذلك قبلة بيت المقدس في وقته حق، ثم به بزعمك من الصلاة إلى بيت المقدس، حين (٣٨) نقلك إلى الكعبة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بدا له عن ذلك، فإنه العالم بالعواقب، والقادر على المصالح، لا يستدرك على نفسه غلطاً، ولا يستحدث رأياً يخالف (٣٩) المتقدم، جل عن ذلك، ولا يقع أيضاً عليه مانع يمنعه عن مراده، وليس يبدو إلا لمن كان هذا وصفه، وهو عز وجل متعال عن هذه الصفات علواً كبيراً.

ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: أيها اليهود، أخبروني عن الله، أليس يُمرض ثم

يُصَحُّ؟ وَيُصَحُّ ثُمَّ يَمْرُضُ؟ أُبْدِلُهُ فِي ذَلِكَ؟ أَلَيْسَ يَحْيِي وَيُمِيتُ؟ (أَلَيْسَ يَأْتِي بِاللَّيْلِ فِي أَثَرِ النَّهَارِ ثُمَّ بِالنَّهَارِ فِي أَثَرِ اللَّيْلِ) (٤٠)؟ أُبْدِلُهُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَذَلِكَ اللَّهُ تَعَبَّدَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدًا ﷺ، بِالصَّلَاةِ إِلَى الْكَعْبَةِ، بَعْدَ أَنْ (٤١) تَعَبَّدَهُ بِالصَّلَاةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ، وَمَا بَدَّلَهُ فِي الْأَوَّلِ - ثُمَّ قَالَ: - أَلَيْسَ يَأْتِي بِالشَّتَاءِ فِي أَثَرِ الصَّيْفِ؟ وَالصَّيْفِ فِي أَثَرِ الشَّتَاءِ؟ أُبْدِلُهُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَذَلِكَ لَمْ يَبْدَلْهُ فِي الْقِبْلَةِ.

قَالَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَيْسَ قَدْ أَلْزَمَكُمْ فِي الشَّتَاءِ أَنْ تَحْتَزُّوا مِنَ الْبَرْدِ بِالثِّيَابِ الْغَلِيظَةِ؟ وَأَلْزَمَكُمْ فِي الصَّيْفِ أَنْ تَحْتَزُّوا مِنَ الْحَرِّ؟ فَبَدَّلَهُ فِي الصَّيْفِ حَتَّى أَمَرَكُمْ بِخِلَافِ مَا كَانَ أَمْرَكُمْ بِهِ فِي الشَّتَاءِ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَكَذَلِكَ تَعْبُدُكُمْ فِي وَقْتٍ لَصَلَاةٍ يَعْلَمُهُ بِشَيْءٍ، ثُمَّ بَعْدَهُ (٤٢) فِي وَقْتٍ آخَرَ لَصَلَاةٍ آخَرَ يَعْلَمُهُ بِشَيْءٍ آخَرَ، فَإِذَا أَطَعْتُمْ اللَّهَ فِي الْحَالِينِ اسْتَحَقَقْتُمْ ثَوَابَهُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَايْمًا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﷻ (٤٣) أَيِ إِذَا تَوَجَّهْتُمْ بِأَمْرِهِ، فَثَمَّ الْوَجْهَ الَّذِي تَقْصِدُونَ مِنْهُ اللَّهَ وَتَأْمَلُونَ ثَوَابَهُ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عِبَادَ اللَّهِ، أَنْتُمْ كَالْمَرْضَى وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كَالطَّيِّبِ، فَصَلَاةُ الْمَرْضَى فِيمَا يَعْلَمُهُ (٤٤) الطَّيِّبِ [و] (٤٥) يَدْبِرُهُ بِهِ، لَا فِيمَا يَشْتَهِيهِ الْمَرِيضُ وَيَقْتَرِحُهُ، أَلَا فَسَلِمُوا اللَّهَ أَمْرَهُ تَكُونُوا مِنَ الْفَائِزِينَ.

فَقِيلَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، فَلِمَ أَمَرَ بِالْقِبْلَةِ الْأُولَى؟ فَقَالَ: لَمَّا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ وَهِيَ بَيْتُ الْمَقْدَسِ ﴿إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ (٤٦) إِلَّا لَنَعْلَمَ ذَلِكَ مِنْهُ مَوْجُودًا، بَعْدَ أَنْ عَلِمْنَاهُ سَيُوجِدُ ذَلِكَ، إِنَّ هَوَى أَهْلِ مَكَّةَ كَانَ فِي الْكَعْبَةِ، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبَيِّنَ مَتَّبِعَ (٤٧) مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ مَخَالِفِهِ (٤٨)، بِاتِّبَاعِ الْقِبْلَةِ الَّتِي كَرِهَهَا، وَمُحَمَّدًا ﷺ بِأَمْرِ بِهَا، وَلَمَّا كَانَ هَوَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي بَيْتِ الْمَقْدَسِ، أَمَرَهُمْ بِمَخَالَفَتِهَا وَالتَّوَجُّهِ إِلَى الْكَعْبَةِ، لِتَبَيِّنِ (٤٩) مَنْ يُوَافِقُ مُحَمَّدًا ﷺ فِيمَا يَكْرَهُهُ، فَهُوَ مُصَدِّقُهُ وَمُوَافِقُهُ.

ثم قال: ﴿وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله﴾^(٥٠) إنما كان التوجه إلى بيت المقدس، في ذلك الوقت كبيرة، إلا على من يهدي الله، فعرف أن الله يُتَعَبَّد بخلاف ما يريد المرء، لبيتلي طاعته في مخالفته هواه^(٥١).
فقد ظهرت من هذه الروايات وغيرها، مهمّة القبلة وتحويلها من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، والحكم التي أَرادها الله سبحانه وتعالى من بداية هذه الواقعة الكبيرة حتى النهاية.
وسيوافيك مزيداً من البحث حول هذا الموضوع إن شاء الله.

٤- ما هو السبب لجعل بيت المقدس قبلةً أولاً ثم الكعبة ثانياً؟

حينما نرجع إلى المصادر - من الكتاب والسنة والتفسير والتأريخ - للتعرف عن السبب لهذا الجعل، نجد أسباباً مختلفة ومطالب شتى، فما أن تعرّف هذه الأسباب مفيد جداً، وأن الورود في مثل هذه الأبحاث يستدعي التعرض للمطالب الفرعية فضلاً عن الأصلية، فلنبداً بذكر تلك الأسباب:

- ١- قوله تعالى: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولّوا فثم وجه الله﴾^(٥٢).
- ٢- قوله تعالى: ﴿سيقول السفهاء من الناس ما وليهم عن قبلتهم التي كانوا عليهم قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾^(٥٣).
- ٣- قوله تعالى: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول...﴾^(٥٤).

٤- الإمام الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام: إن هوى أهل مكّة كان في الكعبة... وهوى أهل المدينة في بيت المقدس... فأراد الله أن يبين متبع محمد صلّى الله عليه وآله من مخالفه^(٥٥).

٥- الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إن رسول الله صلّى الله عليه وآله لما بعث كانت الصلاة إلى قبلة بيت المقدس، فكان في أول بعثته يصلي إلى بيت المقدس

جميع أيام مقامه بمكة، وبعد هجرته إلى المدينة بأشهر، فعيرته اليهود...»^(٥٦).
٦- قال صاحب تفسير مجمع البيان: وأما الوجه في الصرف عن القبلة الأولى ففيه قولان:

أحدهما: أنه لما علم الله تعالى في ذلك من تغير المصلحة.

الآخر: أنه لما بينه سبحانه بقوله: ﴿لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ لأنهم كانوا بمكة أمروا أن يتوجهوا إلى بيت المقدس لتمييزوا من المشركين، الذين كانوا يتوجهون إلى الكعبة، فلما انتقل رسول الله ﷺ إلى المدينة كانت اليهود يتوجهون إلى بيت المقدس، فأمروا بالتوجه إلى الكعبة لتمييزوا من أولئك^(٥٧).

٧- قال الزمخشري في الكشاف: إن رسول الله ﷺ... أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس... ثم حوّل إلى الكعبة... امتحاناً للناس وابتلاء...^(٥٨).

٨- وقيل: لتمييز التابع من الناكص^(٥٩).

٩- قال البلاغي رحمه الله: ... ومن اللازم أن يكون استقبال بيت المقدس ثقیلاً على قريش والعرب، إلا الذين هداهم الله إلى الإيمان برسول الله فيعلمون أن ذلك أمر من الله الحكيم^(٦٠).

١٠- نقل العلامة المجلسي رحمه الله عن كتاب الاحتجاج: وتفسير العسكري عليه السلام في احتجاج النبي ﷺ على المشركين قال: إنا عباد الله مخلوقون مريبون، نأتمر فيما أمرنا، ونزجر عما زجرنا... فلما أمرنا أن نعبد بالتوجه إلى الكعبة أطعنا، ثم أمرنا بعبادته بالتوجه نحوها في سائر البلدان التي نكون بها فأطعنا، فلم نخرج في شيء من ذلك من اتباع أمره^(٦١).

١١- وقال العلامة الطباطبائي: إن هذه الأحكام والتشريعات ليست إلا لأجل مصالح تعود إلى تربية الناس وتكميلهم، وتمحيص المؤمنين من غيرهم وتمييز المطيعين من العاصين، والمنقادين من المتمردين^(٦٢).
هذا تمام الكلام في الأسباب.

ثم إنه اختلف في الذين عابوا المسلمين بالانصراف عن قبلة بيت المقدس أولاً ثم إلى الكعبة ثانياً، أهم اليهود، أو المشركون، أو المنافقون؟ قال ابن عباس وغيره: هم اليهود. وقال الحسن: هم مشركو العرب، وأن رسول الله ﷺ لما حوّل إلى الكعبة من بيت المقدس قالوا: يا محمد رغبت عن قبلة آبائك، ثم رجعت إليها، فلترجعن إلى دينهم.

وقال السدي: هم المنافقون، قالوا ذلك استهزاءً بالإسلام^(٦٣). واختلف أيضاً في سبب مقاتلتهم، فقال ابن عباس: إنهم قالوا ذلك على وجه الإنكار للنسخ. وقيل: للامتحان. وقيل: إنما قاله مشركو العرب؛ ليوهموا أن الحق ما هم عليه^(٦٤).

٥ - زمان تحويل القبلة ومكانه وكيفية وقوعه

بما أن هذا المحور من أدق وأصعب المحاور في هذا المقال؛ لكثرة الاختلاف في المواضيع التي أردنا التعرض لها، فلذلك أخرجنا حتى تكون المحاور السابقة بمثابة المقدمة، وسنستفيد من بعض الخرائط اللازمة تبيناً للمراد وتسهيلاً للبحث.

الف: زمان تحويل القبلة:

إعلم أن زمان التحويل كان في السنة الثانية للهجرة، والأكثر قائلون بذلك شيعة وسنة، ويؤيده بعض الأخبار من طرق الفريقين، ولكن الخلاف وقع في شهر الوقوع ويومه.

نقل العلامة المجلسي في البحار عن المفيد: حوّلت القبلة في النصف من رجب سنة اثنتين من الهجرة^(٦٥).

وقال الواقدي: كان هذا يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً، وعن البراء: على رأس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وعن

السدي: على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجرته (٦٦).
 وقال الحلبي في سيرته: وحوّلت القبلة في شهر رجب من السنة المذكورة،
 التي هي الثانية في نصفه... (٦٧).
 وقال ابن هشام: قال ابن إسحاق:.... وصرفت في رجب على رأس سبعة
 عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة (٦٨).
 وذكر الطبري في تفسيره أن ابن عباس قال:.... وصرفت في رجب على
 رأس سبعة عشر شهراً... (٦٩).
 ونقل الكازروني اليماني عن محمد بن حبيب الهاشمي: حوّلت في الظهر يوم
 الثلاثاء للنصف من شعبان (٧٠).
 وقال الشبلنجي: وفي السنة الثانية من الهجرة في نصف شعبان حوّلت القبلة
 إلى الكعبة (٧١).
 وقال البيهقي في تأريخه:.... وصرفت القبلة نحو المسجد الحرام في شعبان
 بعد مقدمه بالمدينة بسنة وخمسة أشهر، وقيل بسنة ونصف (٧٢).
 ونرى في تأريخ الطبري: صرفت في النصف من شعبان (٧٣).
 ونقل الحلبي أيضاً: وقيل: كان في جمادى الآخرة (٧٤).
 هذا، والحق ما قاله المفيد رحمه الله والواقدي ومن تبعهما؛ لأن قدوم رسول الله ﷺ
 من مكة المكرمة إلى المدينة كان في شهر ربيع الأول، والدليل على ذلك ما رواه
 الطبرسي في الاحتجاج بالإسناد إلى الإمام أبي محمد العسكري رحمه الله، قال: «لما كان
 رسول الله ﷺ بمكة، أمر الله تعالى أن يتوجّه نحو البيت المقدس في صلاته، ويجعل
 الكعبة بينه وبينها إذا أمكن، وإذا لم يتمكن استقبال البيت المقدس كيف كان، وكان
 رسول الله ﷺ يفعل ذلك طول مقامه بها، ثلاث عشرة سنة، فلمّا كان بالمدينة،
 وكان متعبداً باستقبال بيت المقدس، استقبله وانحرف عن الكعبة، سبعة عشر
 شهراً أو ستة عشر شهراً...» (٧٥).

وروى الطبرسي أيضاً في المجمع عن ابن عباس: «كانت الصلاة إلى بيت المقدس بعد مقدم النبي ﷺ المدينة سبعة عشر شهراً»^(٧٦).

وروى أيضاً عن البراء بن عازب قال: «صليت مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، ثم صرفنا نحو الكعبة»^(٧٧).

ب - مكان تحويل القبلة

لا شك في أن تحويل القبلة وقع في المدينة، ولكن اختلفت الأخبار والآراء في محلّ التحويل، فهل وقع ذلك في المسجد النبوي الشريف، أو وقع في مسجد بني سلمة (دار أم بشر)، أو في مكان آخر؟

أما المسجد النبوي الشريف، فلا يمكن القول به؛ لأنه:

أولاً: إذا حدث هذا الأمر المهم في المسجد النبوي؛ لعرفنا موضع التحويل كما نعرف الأماكن الأثرية المقدسة في ذلك المكان الشريف.

ثانياً: يوجد مسجد واحد فقط بالمدينة، يعرف بالقبليتين، مع أنه حدث في مكانين آخرين (مسجد قبا^(٧٨) وعند بني عبد الأشهل^(٧٩)) أداء صلاة واحدة إلى القبليتين (بيت المقدس والكعبة) ولم يطلق عليهما اسم القبليتين من صدر الإسلام إلى زماننا هذا، فإن لم تكن لمسجد القبليتين (المعروف من صدر الإسلام حتى الآن) خصوصية، فلماذا لم يطلق لكلا المكانين ذلك الاسم؟

ثالثاً: إن النبي ﷺ لم يكن في نفس الوقت عند بني عبد الأشهل ومسجد قبا، بل خبر التحويل وصل إلى المكانين المذكورين، والمصلّون كانوا في الصلاة، فاستداروا نحو الكعبة.

رابعاً: إننا لم نجد خبراً يدل على وجود مسجد عند بني عبد الأشهل يعرف بالقبليتين، مع أنهم كانوا يعيشون في شرق المدينة المنورة، لا في غربها.

نعم، روى الشيخ الطوسي في التهذيب عن أبي بصير عن أحدهما عليه السلام: «... قال: إن بني عبد الأشهل أتوهم وهم في الصلاة قد صلّوا ركعتين إلى بيت

المقدس فقليل لهم: إن نبيكم قد صرف إلى الكعبة، فتحول النساء مكان الرجال، والرجال مكان النساء، وجعلوا الركعتين الباقيتين إلى الكعبة، فصلّوا صلاة واحدة إلى القبلتين، فلذلك سُمّي مسجدهم مسجد القبلتين»^(٨٠).

ولكنه لا يخفى أن المسجد الأثري الذي يعرف بمسجد القبلتين، يقع إلى الشمال الغربي من المسجد النبوي الشريف في الحرّة الغربية (حرّة الوبرة)، وكان لبني سلمة، وكان فيه محرابان، أحدهما متجهٌ إلى بيت المقدس، وثانيهما متجهٌ إلى الكعبة.

وأما بنو عبد الأشهل فكانت بيوتهم ومساكنهم في الحرّة الشرقية (حرّة واقم)، شرق المسجد النبوي الشريف، وشتان بينه وبين ذاك المسجد الأثري، الذي حقق الله تعالى فيه أمنية وتطلّعات رسوله الكريم ﷺ، في أن تكون وجهته وقبلته البيت الحرام والكعبة المشرفة.

ومما يجدر ذكره أن مسجد الإجابة (مسجد المباهلة) يقع بين دور بني عبد الأشهل^(٨١) ودور بني معاوية، ولم يعرف ولم يسمّ بالقبلتين، اللهم إلا أن يقال: إنه كان هناك مسجد وخرب ولم يبق منه أثر؛ وهذا بعيد جداً.

ومما يؤيد ما نحن بصده، ما قاله الفيض الكاشاني رحمه الله في ذيل خبر التهذيب، حيث أورد بعض الأشياء على ظهور الخبر، واختلاف الألفاظ في قصة بني عبد الأشهل.

قال: بيان: «أتوهم» أي جماعة، والظاهر أن لفظة «هم» زيادة من النساخ، وبناء الفعل للمفعول كما في «قيل» فإنّ في بعض هذه القصة: «فأتى بني عبد الأشهل رجل من الأنصار» وفي بعضها: «فأتى رجل ممّن صلى مع النبي ﷺ قوماً في مسجد». وبالجملّة فيها ما يدلّ على انفراد المخبر^(٨٢).

ثمّ إنه توجد روايات في كتب الفريقين تدلّ على تحويل القبلة في مسجد بني سلمة، والنبي ﷺ كان حاضراً هناك، وإليك بعضها:

روى علي بن إبراهيم بإسناده عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: تحوّلَت القبلية إلى الكعبة بعدما صلّى النبي صلّى الله عليه وآله بمكة ثلاث عشرة سنة إلى بيت المقدس... فلما أصبح وحضر وقت صلاة الظهر، كان في مسجد بني سالم [سلمة] ^(٨٣) قد صلّى من الظهر ركعتين فنزل عليه جبرائيل عليه السلام فأخذ بعضديه فحوّله إلى الكعبة... وكان صلّى ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة ^(٨٤).

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري: أن النبي صلّى في مسجد الخربة ومسجد القبلتين، وفي مسجد بني حرام الذي بالقاع ^(٨٥).

وروى عثمان بن محمد الأحبشي قال: زار رسول الله صلّى الله عليه وآله امرأة من بني سلمة يقال لها أم بشر في بني سلمة، فصنعت له طعاماً فجاء الظهر، فصلّى رسول الله صلّى الله عليه وآله بأصحابه في مسجد القبلتين الظهر، فلما صلّى ركعتين أمر أن يتوجه إلى الكعبة، فاستدار رسول الله صلّى الله عليه وآله، فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين ^(٨٦).

وقال السمهودي: وعند الزمخشري: صُرفت القبلة ورسول الله صلّى الله عليه وآله في مسجد بني سلمة - يعني مسجد القبلتين - وقد صلّى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر، فتحوّل في الصلاة، واستقبل الميزاب، وحول الرجال مكان النساء، والنساء مكان الرجال ^(٨٧).

فقد ورد أنه صلّى الله عليه وآله جاء يعزي أم بشر، امرأة من بني سلمة مات ابن لها، وعزمت عليه أن يقلع عندها هو ومن معه من أصحابه، فذبحت له عناقاً «جفرة» وتغدى عندها، فأدركته صلاة الظهر فقام يصلي هو وأصحابه في بيتها متوجهين إلى بيت المقدس، وبعد قيامه للركعة الثالثة نزل عليه الوحي بتحويل القبلة إلى بيت الله الحرام، فاستدار بوجهه إلى الجنوب، واستدار أصحابه حتى صاروا خلفه... وبعد ذلك طلب بنو سلمة من أم بشر أن تبيعهم هذه الدار؛ ليتخذوها مسجداً لصلاة النبي صلّى الله عليه وآله فيها، فوهبتها لهم فبنوا فيها مسجدهم الذي أطلق عليه بعد مسجد بني سلمة إسم «القبلتين» الذي نزلت آية تحويل القبلة في مكانه ^(٨٨).

ج - كيفية وقوع التحويل

بما أن الروايات والأخبار التاريخية الواردة في شأن هذا الحدث العظيم قد صرحت بتحويل القبلة، حين الصلاة في بني سلمة، إلا أن تسمية هذا المكان بـ (مسجد القبلتين) تم؛ لأن التحويل وقع فيه أولاً وفي صلاة جماعة كان النبي ﷺ إمامها ثانياً، ولو لم يكن كذلك، لصدق أسم مسجد القبلتين على غيره من الأماكن كمسجد بني عبد الأشهل ومسجد قبا^(٨٩) لوقوع صلاة العصر في الأول وصلاة الصبح في الثاني إلى القبلتين.

ثم إنه نقل السمهودي في وفاء الوفا عن ابن سعد أن الانصراف إلى الكعبة كان في صلاة الجماعة. وكذا ابن سعد نقل عن الواقدي: أن تحويل القبلة كان في صلاة الجماعة، وكان إمامها رسول الله ﷺ، وفي مسجد القبلتين، ثم قال ابن سعد: قال الواقدي: هذا أثبت عندنا^(٩٠).

ونقل الشيخ قوام الدين الوشنوي عن إسعاف الراغبين: وفي هذه السنة - السنة الثانية - حوّلت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، والنبي ﷺ يصلي بأصحابه صلاة الظهر عند الأكثر، فوق نصفها إلى بيت المقدس ونصفها إلى الكعبة^(٩١).

ونقل الشيخ قوام الدين الوشنوي أيضاً: والأكثر على أن تحويلها كان في صلاة الظهر، وقيل العصر، وفي الصحيحين عن البراء: أن أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ إلى الكعبة صلاة العصر. ثم قال: وقد يقال لا منافاة، لجواز أن يكون المراد أول صلاة صلاها كلها إلى الكعبة صلاة العصر، لأن الظهر صلى نصفها الأول إلى بيت المقدس ونصفها الثاني إلى الكعبة^(٩٢).

فظهر عما ذكر أن تحويل القبلة حدث في صلاة الظهر، وقد صرح بذلك ما رواه علي بن إبراهيم بإسناده عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام^(٩٣)، وقد ذكر في كتب الحديث والتأريخ أنه حدث ذلك في صلاة الجماعة بإمامة رسول الله ﷺ في مسجد القبلتين. والله العالم.

الخريطة رقم ١

الخريطة رقم ٢

المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- المنجد، الطبعة ٢١، دار المشرق، بيروت.
- ٣- الميزان في تفسير القرآن، الطبعة ٣، مؤسسة اسماعيليان للنشر، قم، ١٣٩٣هـ.
- ٤- البرهان في تفسير القرآن، الطبعة ٢، دار الكتب العلمية، قم.
- ٥- الكشف، الطبعة ١، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٤هـ.
- ٦- تفسير الصافي، رحلي، مكتبة المحمودي، طهران، ١٣٣٤هـ. ش.
- ٧- آلاء الرحمن في تفسير القرآن، لمحمد جواد البلاغي، الطبعة ٢، مكتبة الوجداني، قم.
- ٨- جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٩هـ.
- ٩- تفسير القمي، لعلي بن إبراهيم القمي من أعلام قرني ٣-٤هـ، مكتبة الهدى، ط ٢، بيروت، ١٣٨٧هـ.
- ١٠- تهذيب الأحكام، للشيخ الطوسي رحمه الله، دار الأضواء، بيروت- الطبعة ٣، ١٤٠٦هـ.
- ١١- مستدرک الوسائل، مؤسسة آل البيت عليه السلام، الطبعة ١، ١٤٠٧هـ.
- ١٢- بحار الأنوار، للعلامة المجلسي رحمه الله، مؤسسة الوفاء، بيروت- الطبعة ٢، ١٤٠٣هـ.
- ١٣- مجمع البيان، للشيخ الطبرسي رحمه الله، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٩هـ.
- ١٤- حياة النبي وسيرته، لقوام الدين الوشنوي، دار الأسوة، قم ط ١، ١٤١٦هـ.
- ١٥- السيرة الحلبية.
- ١٦- السيرة النبوية لابن هشام.
- ١٧- تفسير الطبري، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٩هـ.
- ١٨- المنتقى في مولد المصطفى، للكاظمي، للكاظمي، للكاظمي.
- ١٩- نور الأبصار، للشبلنجي.
- ٢٠- تاريخ يعقوبي، لأحمد بن أبي يعقوب، دار صادر بيروت، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.
- ٢١- تاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، بيروت، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- ٢٢- الموطأ، لمالك بن أنس، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- ٢٣- الوافي، لملا محسن الفيض الكاشاني، طبع إصفهان، ط ١، ١٤٠٦هـ.
- ٢٤- تاريخ المدينة المنورة، لابن شبة.
- ٢٥- أخبار مدينة الرسول، لحافظ محمد بن النجار، مكتبة الثقافة، مكة المكرمة، ط ٣، ١٤٠١هـ.
- ٢٦- وفاء الوفا، للسمهودي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط ٣، ١٩٨١م.
- ٢٧- طيبة، مدينة الرسول، المهرجان للإعلان، جدة، ١٩٩٤م.

الهوامش :

- (١) سورة البقرة: ١٤٢ - ١٥٠.
- (٢) قراءة «بيت المقدس» أو «البيت المقدس» كل من القراءتين صحيحة أنظر: المنجد، حرف الباء: ٥٥.
- (٣) سورة البقرة: ١٤٤.
- (٤) الميزان ١: ٣١٧، ٣١٨.
- (٥) الكشف ١: ٢٠٢.
- (٦) البرهان في تفسير القرآن ١: ١٥٩.
- (٧) الميزان ١: ٣٢٩.
- (٨) المصدر نفسه ١: ٣١٧.
- (٩) تفسير الصافي: ٤٩.
- (١٠) الميزان ١: ٣١٩.
- (١١) الكشف ١: ٢٠٠.
- (١٢) تفسير شبر: ٦١.
- (١٣) تفسير الصافي: ٤٩.
- (١٤) الميزان ١: ٣٢٤ والمراد من قوله ﷺ: «جعل بيت المقدس قبلة مرتين وجعل الكعبة قبلة مرتين» أي: مرة في مكة المكرمة ومرة أخرى في المدينة المنورة.
- (١٥) آلاء الرحمن في تفسير القرآن ١: ١٣٤.
- (١٦) سورة البقرة: ١٤٣.
- (١٧) آلاء الرحمن في تفسير القرآن ١: ١٣٥.
- (١٨) جامع البيان ٢: ١١.
- (١٩) الصحيح ما ذكرناه بين المعقوفتين، فراجع المحور الخامس من البحث، وانظر الخريطة رقم ١.
- (٢٠) تفسير القمي ١: ٦٣.
- (٢١) الميزان ١: ٣٢٦.
- (٢٢) سورة البقرة: ١٤٥.
- (٢٣) آلاء الرحمن في تفسير القرآن ١: ١٣٦ - ١٣٧.
- (٢٤) الميزان ١: ٣٢٦.

- (٢٥) التبيان ١: ١٩ - ٢٠.
- (٢٦) المصدر نفسه ١: ٢٠.
- (٢٧) سورة البقرة: ١٤٦.
- (٢٨) مجمع البيان ١: ٢٢٩.
- (٢٩) الميزان ١: ٣٢٦ - ٣٢٧.
- (٣٠) سورة البقرة: ١٤٨.
- (٣١) مجمع البيان ١: ٢٣٠ - ٢٣١.
- (٣٢) سورة البقرة: ١٤٩ - ١٥٠.
- (٣٣) آلاء الرحمن في تفسير القرآن ١: ١٣٨.
- (٣٤) مجمع البيان ٢: ١٣.
- (٣٥) الميزان ١: ٣٢٨ - ٣٢٩.
- (٣٦) جامع البيان ٢: ١٣.
- (٣٧) تهذيب الأحكام ٢: ٤٣.
- (٣٨) في المصدر: حتى.
- (٣٩) وفيه: بخلاف.
- (٤٠) ما بين القوسين ليس في المصدر.
- (٤١) وفيه زيادة: كان.
- (٤٢) في المصدر: تعبدكم.
- (٤٣) البقرة ٢: ١١٥.
- (٤٤) في المصدر: يعمل.
- (٤٥) أثبتناه في المصدر.
- (٤٦) البقرة ٢: ١٤٣.
- (٤٧) في المصدر: متبعي.
- (٤٨) ممن خالفه.
- (٤٩) وفيه: لُبَّيْن.
- (٥٠) البقرة ٢: ١٤٣.
- (٥١) مستدرك الوسائل ٣: ١٧٥.
- (٥٢) سورة البقرة: ١١٥.
- (٥٣) المصدر نفسه: ١٤٢.
- (٥٤) المصدر نفسه: ١٤٣.

- (٥٥) مستدرك الوسائل ٣: ١٧٨.
- (٥٦) بحار الأنوار ٨١: ٦٦.
- (٥٧) مجمع البيان ١: ٢٢٢.
- (٥٨) الكشف ١: ٢٠٠.
- (٥٩) المصدر نفسه.
- (٦٠) آلاء الرحمن في تفسير القرآن ١: ١٣٥.
- (٦١) بحار الأنوار ٨١: ٧١.
- (٦٢) الميزان ١: ٣٢٤.
- (٦٣) مجمع البيان ١: ٢٢٢.
- (٦٤) المصدر نفسه.
- (٦٥) بحار الأنوار ٨١: ٦٣.
- (٦٦) حياة النبي وسيرته ١: ٢٩٨.
- (٦٧) السيرة الحلبية ٢: ١٢٨.
- (٦٨) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ١٩٨.
- (٦٩) تفسير الطبري ٢: ٣.
- (٧٠) المنتقى في مولد المصطفى.
- (٧١) نور الأبصار: ٤٤.
- (٧٢) تأريخ البعقوبي ٢: ٤٢.
- (٧٣) تأريخ الطبري ٢: ٤١٦.
- (٧٤) السيرة الحلبية ٢: ١٢٨.
- (٧٥) مستدرك الوسائل ٣: ١٨٤.
- (٧٦) مجمع البيان ١: ٢٢٣.
- (٧٧) المصدر نفسه.
- (٧٨) الموطأ ١: ١٩٤.
- (٧٩) تهذيب الأحكام ٢: ٤٤.
- (٨٠) المصدر نفسه.
- (٨١) انظر إلى الخريطة رقم ٢.
- (٨٢) الوافي ٧: ٥٣٨.
- (٨٣) الظاهر الصحيح ذلك، انظر الخريطة رقم ٢.
- (٨٤) مجمع البيان ١: ٢٢٣.

- (٨٥) تأريخ المدينة المنورة، لابن شُبَّه ١: ٦٨.
- (٨٦) أخبار مدينة الرسول، لابن النجار: ١١٥.
- (٨٧) وفاء الوفا، للسهمودي ١: ٣٦٢.
- (٨٨) طيبة، مدينة الرسول: ٩٠-٩١.
- (٨٩) الموطأ ١: ١٩٤.
- (٩٠) وفاء الوفا، للسهمودي ١: ٣٦٣.
- (٩١) حياة النبي وسيرته ١: ٣٠١.
- (٩٢) المصدر نفسه ١: ٢٩٩.
- (٩٣) مجمع البيان ١: ٢٢٣.

أم المؤمنين خديجة

محمد سليمان

سنة - ثلاثين سنة .
وأما أمُّها فهي فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن فهر بن لؤي بن غالب . فهي تجتمع مع زوجها خويلد في لؤي بن غالب... من كنانة من قريش .
خديجة القرشيّة الأسدية تلتقي نسباً مع النسب الكريم لرسول الله ﷺ في جدّه الرابع «قصي» ، فهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي... وهي بالتالي أقرب نسائه إليه ﷺ .
كانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة ، وسيدة نساء قريش ، وسيدة قريش .

في بيت من البيوت العريقة وذات السمعة الطيبة والمكانة العالية في الحجاز ، ولدت سيدتنا خديجة لأبوين قرشيين : فأبوها خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر من كنانة... من قريش ، فهو من بني أسد . وقدمات في حرب الفجار ، التي قامت في الجاهلية في الأشهر الحرم بين قريش وقيس عيلان ، ويومذاك كان عمر خديجة - إذا ما أخذنا برواية أن عمرها حين زواجها من الرسول ﷺ أربعون

وهي يومئذ أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهن شرفاً، وأكثرهن مالاً وأحسنهن جمالاً... وفي لفظ كان يقال لها سيدة قريش؛ لأن الوسط في ذكر النسب من أوصاف المدح والتفضيل، يقال: فلان أوسط القبيلة أعرقها في نفسها...^(١)

عمر خديجة:

الاهتمام بعمرها أمر طبيعي جداً؛ لأنه جزء من دراسة حياتها المباركة بعد أن اقترنت برسول الله ﷺ، وصارت حياتها جزءاً من حياته الشخصية والدينية بكل أبعادها.

ولكن هذا الاهتمام بدلاً من أن يولد لدينا القطع بعمرها عمق الاختلاف فيه تبعاً لاختلاف الروايات والأخبار وبالتالي الآراء عن ولادتها، وعن عمرها وحياتها حين اقترانها بالرسول الكريم ﷺ، وراحت - اعتماداً على تلك الروايات - أقوال قدماء المؤرخين بالذات وأقوال من جاراتهم من الكتاب المحدثين توسع ذلك الاختلاف وتشبته ولم تستطع حسمه بما تقدمه من أدلة. وابتداء نشير إلى بعض روايات سنّها

ومصادرهما:

فعن ابن عباس: كانت خديجة يوم تزوجها رسول الله ﷺ ابنة ثمان وعشرين سنة^(٢).

وعن حكيم بن مزاحم (ابن أخيها): تزوج رسول الله ﷺ خديجة وهي ابنة أربعين سنة، ورسول الله ﷺ ابن خمس وعشرين سنة. ويقول مزاحم: وكانت أسنّ مني بسنتين، ولدت قبل الفيل بخمس عشرة سنة، وولدت أنا قبل الفيل بثلاث عشرة سنة^(٣) (فقد ولد ﷺ بعد وقعة الفيل بخمسين يوماً...)^(٤).

وذكر الواقدي: أنها كانت لما تزوجها رسول الله ﷺ بنت خمس وأربعين سنة.

وعن البيهقي والحاكم: ... وأن عمره ﷺ كان خمساً وعشرين وعمرها خمساً وثلاثين.

كما أن هناك من يقول: إنها ابنة ٢٥ سنة، أو ٣٠ سنة...

يقول صاحب كتاب اتحاف الوري بأخبار أمّ القرى... ..

... خطب النبي ﷺ إلى خديجة نفسها، وكانت ابنة أربعين سنة. ويقال:

متعددة.... وكلها تشير إلى الاختلاف في سنّها؟! وذهب ابن اسحاق، كما في مستدرک الحاكم، إلى أن خديجة كانت في الثامنة والعشرين من العمر^(٥).

في حين ذهب العقاد في كتابه فاطمة الزهراء والفاطميون إلى اعتماد رواية ٢٥، ٢٨ سنة، حيث يرى أن المرأة في بلاد كجزيرة العرب يبكر فيها النّو ويبكر فيها الهرم، فلا تتصدى للزواج بعد الأربعين.

وهذا ردّ صريح على من أخذ برواية الأربعين، الذين أخذوا في اعتبارهم أن السيدة خديجة قد تزوجت قبل رسول الله ﷺ من عتيق بن عائذ ومن بعده من أبي هالة زُرارة، وأنجبت لهما أولاداً، ثم مكثت بعد وفاة زوجها الثاني مدّة ليست قصيرة، راغبة في تنمية ثروتها وأموالها، التي ورثتها من أبيها الذي كان ثرياً ومن قبيلة ذات مال وفير، ومن زوجها، عازفة عن الزواج الثالث؛ لأن كلّ من تقدّم لزواجها - كما زعم - إنما كان تدفعه الرغبة في ثروتها، ولأنها لم تجد فيهم

ابنة خمس وأربعين ويقال: ... ثمان وأربعين سنة ويقال: ... ست وأربعين، وقيل: ... ثلاثين، ويقال: ... ثمان وعشرين ...

فالأقوال إذن في مسألة عمرها مختلفة، وقد ذهب جلال مظهر في كتابه: محمد رسول الله، سيرته وأثره في الحضارة إلى (أنها كانت ابنة ٢٥ سنة) دون أن يذكر سبباً مرجحاً لذلك.

في حين اعتمدت بنت الشاطئ في كتابها نساء النبي رواية الأربعين، التي اعتمدها الطبري والواقدي ورواها حكيم بن مزاحم. وهيكل هو الآخر اعتمد في كتابه حياة محمد ما اعتمده الطبري والواقدي.

وقد ذكر كلّ من الدكتور عبد الصبور شاهين وإصلاح عبدالسلام في أمّهات المؤمنين: وقد أجمعت كتب التّاريخ والسيرة، إلا رواية واحدة في الطبقات على أن السيدة خديجة كانت في الأربعين من عمرها، عند زواجها... إن ما ذكره بعيد عن الدقّة، فأين هو الإجماع، وهذه المصادر وكتب التّاريخ بين أيدينا قد ذكرت روايات

من الشرف والأمانة والصدق، هذه الصفات التي كانت تنسدها، حتى تستطيع أن تأمنه على أموالها وتجارتها... حتى قدر لرسول الله ﷺ أن يضارب بتجارتها، وقد قبلت به لمعرفتها بأنه الصادق الأمين، وهو الذي عُرف بهذا بينهم، وفعلاً سافر إلى الشام ببضاعتها وعاد ببضاعة أخرى وفيرة وأرباح عالية لم تعهدها من قبل، مع ما حدّثها عنه غلامها ميسرة، الذي كان برفقة محمد وخدمته، فزادت معرفتها به، وعظم تعلقها به، ورأت فيه ما كانت تتمنى، فتزوجته. وقد استعان أصحاب رواية الأربعين بذيل الرواية نفسها عن حكيم بن مزاحم على تأييد ما ذهبوا إليه، وذيلها يقول: إنها توفيت في شهر رمضان سنة عشر من النبوة وهي يومئذ ابنة خمس وستين سنة^(٦)...

وأخذ على هذا الرأي: أنها كيف أنجبت في هذه السن المتأخرة؟! وأجيب عن ذلك بأنه من المشاهد وجود نساء قد أنجن بعد الأربعين، بل بعد الخمسين أيضاً، وهذا الأمر يتوقف

على توفر عوامله، التي منها صحة المرأة واستعدادها وقابليتها وبيئتها، وما تعيشه المرأة من رفاهية في حياتها واستقرار وراحة... وهو ما توفر للسيدة خديجة. علماً بأن هناك من يقول: إن آخر ما أنجبته خديجة فاطمة الزهراء وهي في الخمسين إن لم تكن أقل من ذلك من عمرها المبارك، ومعنى هذا أنها لم تنجب بعد الخمسين سنة وكانت هذه الفترة ١٥ سنة.

فالمدائي قال: ولدت فاطمة قبل النبوة بخمس سنين.

وفي رواية جعفر بن سليمان: ولدت فاطمة سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ.

وعن أبي جعفر: ... أما أنت يا فاطمة فولدت وقريش تبني الكعبة والنبي ﷺ ابن خمس وثلاثين سنة.

فهذه الروايات تبين أن فاطمة - وهي آخر مولود لخديجة - ولدت وخديجة بعد لم تتجاوز الخمسين من عمرها. وعلى رواية الأربعين كانت البعثة وخديجة في الخامسة والخمسين من عمرها...

وقد ترد بعض الملاحظات على مسألة التمسك برواية ٤٠ وأنها قد تزوجت مرتين...

١ - لماذا هذا الاصرار على التمسك برواية الأربعين وعدّها هي المشهورة، وهي رواية من عدّة روايات (٤٥ سنة، ٢٨ سنة، ٢٥ سنة، ٣٠ سنة...) أليس هذا ترجيحاً بلا مرجح؟

٢ - امرأة بهذا العمر (٤٠، ٤٥ سنة، وفي أجواء كأجواء الحجاز الحارة جداً، التي يسرع الكبر فيها إلى الإنسان، وقد تقدم لخطبتها - كما تقول الأخبار - أعظم قریش نسباً ومالاً ورفضتهم، بل وتمناها وتهالك عليها كلّ شريف وعظيم، فقد كان ممّن خطبها عقبة بن أبي معيط، والصلت بن أبي يهاب وكان لكل واحد منهما أربعمئة عبد وأمة، وخطبها أبو جهل بن هشام، وأبو سفيان^(٧)، فهل كلّ هذا يكون من أجل امرأة بهذه السن المتأخرة، ومن أجل امرأة عاشت ببنتين (بيت عتيق، وبيت «أبو هالة»)، وأنجبت واحداً على رواية، واثنين على رواية أخرى، وثلاثة على رواية ثالثة، وهم (هند

والحارث وبنت اسمها زينب)^(٨)، وترملت بعدهما وعاشت سنين أخرى؟! أو يصح هذا وهم قادرون بما عندهم من شرف ومال وجاه أن يتزوجوا بما يحلو لهم من النساء من بيوتات عربية أخرى ذات شرف وعفة ومال وجمال؟!

ثم إن زوجيها السابقين لم يكونا بدرجة عالية من المكانة، ومع هذا قبلت بهما وهي في شبابه... فكيف وقد تقدم بها العمر ترفض زعماء قریش وأشرافها؟! وإن قيل إنها قررت تنمية ثروتها، فإن هذا ادعاء سطرته أقلام الكتاب، ولا يصلح أن يكون مبرراً يفرض عليها ما دامت لم تصرح به، علماً بأن في قبال هذا الادعاء ادعاءً يقول: إنها إنما رفضتهم جميعاً؛ لعدم توفر الصفات التي تريدها فيمن تقدم لخطبتها، وهو ادعاء أقوى من ادعاء الكتاب؛ لأنه من أقرب الناس لها.

قال ابو القاسم الكوفي: إن الإجماع من الخاص والعام، من أهل الأنام ونقله الأخبار، على أنه لم يبق من

خديجة إليها، وبعد أن تزوجت بالرسول ﷺ ماتت هالة، فبقيت الطفلتان في حجر خديجة والرسول ﷺ... وكان العرب يزعمون أن الربيبة بنت، ونسبتا إليه ﷺ، مع أنهما ابنتا أبي هالة زوج أختها، وكذلك كان الحال بالنسبة لهند نفسه^(١١).

أريد من هذا كله أن أقول: إن ما يناسب صفات هذه السيدة، وما يلائم كل ما قيل بحقها، ورغبة الآخرين فيها، وما يبعدنا عن مسألة كل ما يرد من إشكالات حول عمرها وقدرتها على الانجاب، وما دامت الروايات كلها قد تكون بمستوى واحد وليس لواحدة على الأخرى ترجيح، أرى أن الأخذ برواية ٢٥، أو ٢٨ كما ذهب إليه العقاد أولى، لأن هاتين الروايتين تناسبان واقع حياة هذه المرأة لا غير.

أما زواجها السابق لمرتين فهو أيضاً محل تأمل وتوقف، وقد وردت أدلة وأقوال على أنها باكر كما ذهب إلى ذلك كل من أحمد البلاذري، وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما، والمرضى في الشافي، وأبو جعفر في التلخيص: أن

أشراف قريش، ومن ساداتهم، وذوي النجدة منهم، إلا من خطب خديجة، ورام تزويجها، فامتنعت على جميعهم من ذلك، فلما تزوجها رسول الله ﷺ غضب عليها نساء قريش وهجرنها، وقلن لها: خطبك أشراف قريش، وأمرأؤهم فلم تتزوجي أحداً منهم، وتزوجت محمداً يتيماً أبي طالب فقيراً، لا مال له؟! فكيف يجوز في نظر أهل الفهم أن تكون خديجة، يتزوجها أعرابي من تميم، وتمتنع من سادات قريش، وأشرافها على ما وصفناه؟! ألا يعلم ذوو التمييز والنظر أنه من أبين المحال، وأفظع المقال؟!^(٩)

٣ - وفي الاستغاثة ذكر بعض أنه كانت لخديجة أخت اسمها هالة^(١٠) تزوجها رجل مخزومي، فولدت له بنتاً اسمها هالة، ثم خلف عليها رجل تميمي يقال له أبو هند فأولدها ولداً اسمه هند... وكان لهذا التميمي امرأة أخرى قد ولدت له زينب ورقية، فماتت ومات التميمي، فلحق ولده هند بقومه وبقيت هالة أخت خديجة والطفلتان اللتان من التميمي وزوجته الأخرى؛ فضمتهم



النبي تزوج بها وكانت عذراء، هذا ما نقله ابن شهر آشوب في المناقب في ترتيب أزواجه عليه السلام، حيث يقول: تزوج بمكة أولاً خديجة بنت خويلد؛ قالوا: وكانت عند عتيق بن عايد المخزومي ومن ثم عند أبي هالة زرارة بن نباش الأسدي.

وروى أحمد البلاذري، وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما، والمرضى في الشافعي، وأبو جعفر في التلخيص: أن النبي تزوج بها وكانت عذراء، يؤكد ذلك ما ذكر في كتابي الأنوار والبدع: أن رقية وزينب كانتا ابنتي هالة أخذت خديجة (١٢).

الزواج المبارك:

استجمعت أحاسيسها وراحت تستمتع فرحةً مسرورةً لحديث غلامها ميسرة، الذي صحب النبي عليه السلام وهو يضارب في تجارة لخديجة في الشام، وراح يحدثها عن سيرة محمد معه وعن أخلاقه وطباعه وصفاته الجميلة، وعمّا كان يراه من كراماته التي لم ير ميسرة مثيلاً لها من قبل على كثرة سفراته مع آخرين، فأعجبت به، وقد أسر كل

مشاعرها، وامتلك كل عواطفها، وتحركت في قلبها أسرارها، وكأنها تريد لهذا الحديث ألا يتوقف أو ينتهي، ثم راحت تحديق في مستقبل فتى بني هاشم الصادق الأمين، الذي غدا صدقه يماً لآفاق، وأمانته يلهج بها كل لسان، ماذا يجبئ المستقبل لهذا اليتيم الهاشمي، وما هو ذاك الشأن العظيم الذي ينتظره؟!

لقد تمثلت أمام عينيها شخصيته بكل ما فيها من نبيل صفاته ورقة شمائله، وعظيم وكرم أخلاقه، وجمال روحه وشرفه وفضله على الجميع.

لاحت من ميسرة نظرة إلى سيدته، فردت طرفها وعلتها العفة وهي أنبل نساء عصرها حياءً وأعظمهن خلقاً... فانقلبت غبطتها تلك وفرحتها إلى حب لم تحس به من قبل، وإلى ود ما لامس مثله أحاسيسها أبداً، وإلى إكبار وتكريم ولجا قلبها ملاً كل منها عليها حياتها... وهي التي تمردت على واقع نساء قومها، وامتنعت أمام أعظم قريش شرفاً ونسباً وثراء ومكانة... فالتفتت بعد حين إلى أختها على قول

لمكانتها وصفاتها لتكون امرأة خاتم
رسله، وسيد الأولين والآخرين محمد
ابن عبدالله.

لم يتأخر محمد في إبلاغ عمّه (أبو
طالب) وعشيرته بذلك، كما لم تتأخر
خديجة فقد أبلغت عمّها عمرو بن أسد،
الذي حضر، ودخل رسول الله ﷺ عليه
في عمومته، ومعه بنو هاشم وسائر
رؤساء مُضَرَ، فخطب أبو طالب فقال:
الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم،
وزرع إسماعيل، وضئضئ معدّ، وعُنصر
مُضَرَ، وجعلنا حَضَنَةَ بيته، وسُوَاسَ
حَرَمِهِ، وجعل لنا بيتاً محجوباً، وحرماً
آمناً، وجعلنا المحكام على الناس، ثم إنَّ
ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يُوزن
به رجل من قريش إلا رجح به شرفاً
ونُبلاً وفضلاً وعقلاً، فإن كان في المال
فلا، فإن المال ظلّ زائل، وأمر حائل،
وعارية مسترجعة. ومحمد من قد
عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة،
وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله
من مالي هذا، وهو مع هذا - والله - له
نبأ عظيم، وخطر جليل أو «له والله
خطب عظيم ونبأ شائع». فتزوجها

وإلى صديقته نفيسة بنت منبه على قول
آخر؛ لتسرّها بأن ما قاله ميسرة عن
محمد قد نفذ إلى روحها، وأنها وجدت
فيه ما كانت تتمناه ولم تجده فيمن تقدم
لخطبتها، فما كان من نفيسة - وقد
سرّت بما سمعته - إلا أن بادرت
إليه - على رواية - فقالت له: ما يمنعك
أن تتزوج؟

قال: ما بيدي ما أتزوج به.

قالت: فإن كفيت ذلك، ودُعيت إلى
الجمال والمال والشرف والكفاءة، ألا
تجيب؟

قال: فمن هي؟!

قالت: خديجة.

قال: كيف لي بذلك؟!

فقالت نفيسة، وقد علت ملامح
وجهها الفرحه: عليّ ذلك، وسارعت
لتبلغ خديجة بما سمعته من محمد.

وفي رواية: ... وكانت لبيبةً
حازمةً، فبعثت إليه تقول: يا ابن عمّ،
إني قد رغبتُ فيك لقرابتك وأمانتك
وحسن خلقك وصدق حديثك^(١٣).

لقد خصّها الله بكرامة أدّخرها لها،
وكانت له من الشاكرين، واختارها

لأنه لا يوافق من تزويجها من فقير
يتيم...

ففي رواية أحمد في مسنده:
حدّثنا أبو كامل، ثنا حمّاد، عن عمّار
ابن أبي عمار، عن ابن عبّاس - فيما
يحسب حمّاد - أن رسول الله ﷺ ذكر
خديجة، وكان أبوها يرغب عن أن
يزوّجه، فصنعت هي طعاماً وشراباً،
فدعت أباه وزمراً من قريش فطعموا
وشربوا ثم ثملوا، فقالت لأبيها: إن
محمدًا يخطبني فزوّجني إياه، فزوّجها
إياه، فخلّقه (طبيته، وفي المسند
«فجملته») وألبسته حلّة كعادتهم، فلما
صحا نظر، فإذا هو مخلّق فقال: ما
شأني؟ فقالت: زوّجتي محمدًا، فقال:
وأنا أزوّج يتيم أبي طالب! لا لعمرى،
فقالت: أما تستحي؟ تريد أن تسفّه
نفسك معي عند قريش بأنك كنت
سكران، فلم تزل به حتى رضي.

وقد روى طرفاً منه الأعمش، عن
أبي خالد الوالبي، عن جابر بن سُمرة أو
غيره.

كما ذكر مختصر تاريخ دمشق رواية
نسبت إلى عمار بن ياسر تشبه هذه

وأصدقها عشرين بكرة، وقيل اثنتي
عشرة (اثنتين وعشرين) أوقيه ذهباً
ونشا (نصف أوقية)، والأوقية أربعون
درهماً، والنش عشرون درهماً؛ فذلك
خمسائة درهم.

وفي رواية - فقال لأعمامه... فجاء
معه حمزة عمّه حتى دخل على خويلد
[خويلد بن أسد، وقيل: بل عمرو بن
خويلد بن أسد، وقيل بل عمرو بن
أمية عمّها، وكان شيخاً كبيراً وهو
الصحيح، على ما في نهاية الأرب
٩٨/١٦، وعند ابن سعد في الطبقات
١٣٢/١ وعن جمهرة النسب للكلي
ص ٧٤ وهو عمرو بن أسد ابن عبد
العزّي، وهو يومئذ شيخ كبير لم يبق
لأسد لصلبه يومئذ غيره، ولم يلد عمرو
ابن أسد شيئاً] (١٤).

إذن فقد اشتهر أن عمّها عمرو بن
أسد، هو الذي زوّجها، وإن قيل: إن
الذي زوجها أخوها عمرو بن خويلد؛
لأن أباه مات قبل حرب الفجار،
وهذا كلّه يكذب المزاعم، التي رويت
من أن أباه زوّجها بعد أن سقته
خمرًا... لتحصل بذلك على موافقته؛

الرواية .

وهذا ما نفاه الواقدي بعد نقله بقوله :

وهذا غلط ، والثبت عندنا المحفوظ من حديث محمد بن عبدالله بن مسلم ، عن أبيه ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، ومن حديث ابن أبي الزناد ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . ومن حديث ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن عمَّها عمرو بن أسد زوجها رسول الله ﷺ ، وأن أباه مات قبل الفجار (١٥) .

وقد بلغت تلك الرواية من الضعف والسخف درجة كبيرة ، فهي إضافة إلى منافاتها لأخلاق هذه السيدة المباركة حتى قبل زواجها برسول الله ﷺ ، فقد شهد لها - في الجاهلية - بسمو الخلق والنجابة والشرف وبرجاجة عقلها وقوة شخصيتها ، مع ما لها من المكانة الكبيرة عند أهلها وعشيرتها ، ممَّا جعلها موضع فخر واعتزاز وممَّا يؤهلها لاقتناع أبيها - على فرض حياته - بهذا الزواج . يقول صاحب السيرة الحلبية

عنها : امرأة حازمة أي ضابطة جلدة أي قوية شريفة أي مع ما أراد الله تعالى لها من الكرامة ومن الخير ... فامرأة تحمل هذه الصفات لا أظنها بحاجة إلى أن تستعين بأسلوب يتنافى مع كلِّ ما مَنَّ الله تعالى عليها من صفات كريمة ، وقد وصفت خديجة نفسها هذا الأسلوب - حسب الرواية - بقولها إلى أبيها : تريد أن تسفه نفسك معي عند قريش بأنك كنت سكران . فهو إذن أمر معيب عندهم فكيف ترتكبه؟! وإضافة إلى هذا فإن الرواية تتنافى مع الرواية الأخرى التي نالت إجماع أكثر المؤرخين من أن أباهم توفي من قبل وأن عمَّها هو الذي زوجها ، وعلى رواية ضعيفة أن أباها زوجها .

وتمَّ هذا الزواج المبارك ، بعد رجوع النبي ﷺ من سفره إلى الشام بشهرين وخمسة وعشرين يوماً ، وقبل بعثته نبياً بخمس عشرة سنة ، وبعد أن أكمل ﷺ خمساً وعشرين سنة وشهراً وعشرة أيام من عمره المبارك (١٦) ، وأخذت هذه السيدة مكانها الذي اختارته السماء لها لتكون بجانبه ﷺ وهو يستعد لتحمل

نساء قريش وكان بينهن نساء المبغضين فلما اجتمعن وأكلن قالت لهن: معاشر النساء بلغني أن بعولتكن عابوا عليّ فيما فعلته من أني تزوجت محمداً، وأنا أسألكم هل فيكم مثله، أو في بطن مكّة شكله من جماله وكماله وفضله وأخلاقه الرضيّة؟! وأنا قد أخذته لأجل ما قد رأيته منه، وسمعت منه أشياء ما أحد رآها، فلا يتكلم أحد فيما لا يعنيه، فكفّ كلّ منهن ومنهم عن الكلام (١٧).

وقد تابع الزوجان حياتهما المباركة هذه، وجهادهما الدؤوب، وقدر لخديجة أن تكون في قلب الأحداث الجسام المملوءة بالآلام والشدائد المضنية، ووهبت كلّ ما تملكه من ثروة وهو كثير ووضعته بين يدي رسول الله ﷺ ليضمّه إلى سيف علي ﷺ.

أنجبت له ﷺ كلّ أولاده إلا إبراهيم فهو من مارية القبطية. وهم القاسم وبه كان ﷺ يكنى والطيب والظاهر - عليّ قول - وقد ماتوا صغاراً رضعاً قبل بعثته المباركة، ورقية وزينب - عليّ قول - وأمّ كلثوم وفاطمة الزهراء التي تزوّجها الإمام علي ﷺ.

مهام أعظم رسالة سماوية إلى الناس كافة، فكانت للرسول ﷺ نعم الزوجة ونعم السكن ونعم النصير، وكان لها أحسن حظ طالما انتظرتة وتمنته، ولم ينجو هذا الاقتران من حسدٍ وبغضٍ وغضب، فقد أحدث هزة بين الرجال، الذين سبق لهم أن توافدوا على عتبة بابها، وهم يحملون معهم كلّ المغريات ليخطبوا يدها، إلا أنهم عادوا من حيث أتوا خائبين بعد أن رفضتهم، ولم تعباً بما حملوه معهم من مال، ولم يجد شرفهم وزعاماتهم أي أثر في نفسها. فلاذ بعضهم بالسكوت، والبغض والحسد يأكلان قلبه، في حين لم يتمالك بعض آخر أحاسيسه ولسانه فقال: ما هذا إلا سحر، مسكينة خديجة، فقد سحرها اليتيم فشغفت به.

كما غضب عليها نساء قريش وهجرنها، وقلن لها: خطبك أشراف قريش، وأمرأؤهم، فلم تزوجي أحداً منهم، وتزوجت محمداً يتيماً أبي طالب، فقيراً لا مال له؟!!

فما كان من خديجة - بعدما سمعت بذلك كلّ - إلا أن صنعت طعاماً ودعت

ولم يتزوج رسول الله ﷺ غيرها طيلة حياتها المباركة معه، التي دامت قرابة خمس وعشرين سنة.

إسلامها:

من بركات الله تعالى الخاصة بهذه المرأة أن مَنْ عليها بأن اختارها لتكون أول نساء العالمين إسلاماً وأسبَقهن تصديقاً برسول الله ودعوته، وأخلص نسائه ﷺ جهاداً، وأعظمهن وفاءً وطاعة له، وأصبرهن تحملاً لما لاقاه رسول الله من ضروب الأذى والتضييق، وأكثرهن بذلاً وعطاءً في سبيل الله ورسوله، فعن عبدالله بن مسعود: إن أول شيء علمت من أمر رسول الله ﷺ قدمته مكة مع عمومة لي أو ناسٍ من قومي نبتاع منها متاعاً، فكان في بغيتنا شراء عطر، فأرشدنا إلى العباس بن عبدالمطلب، فانتبهنا إليه وهو جالس إلى زمزم، فجلسنا إليه، فبينما نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا أبيض،... كأنه القمر ليلة البدر، يمشي على يمينه غلام، حسن الوجه... تقفونهم امرأة، قد سترت محاسنها، حتى قصد نحو الحجر فاستلمه ثم

استلمه الغلام، واستلمته المرأة، ثم طاف بالبيت سبعا والغلام والمرأة يطوفان معه، ثم استقبل الركن، فرفع يديه وكبر، وقامت المرأة خلفها، فرفعت يديها وكبرت، ثم ركع فأطال الركوع، ثم رفع رأسه من الركوع، فقنت ملياً، ثم سجد وسجد الغلام معه والمرأة، يتبعونه، يصنعون مثلاً يصنع، فرأينا شيئاً أنكرناه، لم نكن نعرفه بمكة، فأقبلنا على العباس فقلنا: يا أبا الفضل، إن هذا الدين حدث فيكم، أو أمر لم نكن نعرفه فيكم. قال: أجل، والله، ما تعرفون هذا؟ قال: قلنا: لا، والله ما نعرفه، قال: هذا ابن أخي محمد بن عبدالله، والغلام علي بن أبي طالب، والمرأة خديجة بنت خويلد امرأته أما، والله، ما على وجه الأرض أحد نعلمه يعبد الله بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة.

لقد آمنت برسول الله، ولم يسبقها إلى ذلك إلا الإمام علي عليه السلام كيف لا يكون كذلك، وقد قرأت - بما ألهمها الله تعالى، وبما منحها من قدرة وحكمة وبصيرة ونظرة ثاقبة لمستقبل الصادق الأمين - مستقبله وأنه ذو شأن كبير

ومقام كريم ومنزلة محمودة؟!

لقد واكبت مسيرته المباركة وهو في غار حراء، بخدمة الصادقة وكلماتها الطيبة، التي تدل على مدى اخلاصها ونبايتها وصفائها: «وهيأت خديجة لزوجها ما يناسبه من حياة، فلما لجأ للتحنث في غار حراء، كانت تعدُّ له ما يحتاجه من طعام وشراب خلال الفترة، التي اعتكف فيها بالغار، فلما جاءه الوحي كانت أول من صدقه، وعانت معه صراع قريش ضده، وكانت البلسم الشافي لجراحه من هؤلاء المعتدين، ودخلت معه الشعب عندما قرر سادة قريش أن يقاطعوا المسلمين...» (١٨).

كانت تسمعه كلمات رقيقة هادئة كلما دخل بيتها عائداً من غار حراء، كلمات ملؤها الحنان والحب. تدعوه أن يطمئن، وتدعوه أحياناً أن يهدأ وينام، فكان يقول لها: مضى عهد النوم يا خديجة. لقد كانت كلماتها تلاحقه وهو في بيته، وهو خارج منه، وهو في الغار، وهو يدعو عشيرته للإيمان، وهو في دار الارقم يدعو الناس سرّاً، وهو في كل مكان في مكة يقارع قريشاً وشركها

جهراً، وهو يرى أعداءه والمتربصين به، والمبغضين له، فكانت تخفّف عنه كلّ معاناته وكلّ ما يلقيه من أذى وتكذيب وعنت من قومه.

وكان ﷺ يصرّح ويفضي لها بكلّ شيء يقول ابن هشام في سيرته: وآمنت به خديجة بنت خويلد، وصدقت بما جاءه من الله، ووازرته على أمره، ... فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ، لا يسمع شيئاً ممّا يكرهه من ردّ عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك، إلّا فرّج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبته وتخفف عليه، وتصدقه وتهوّن عليه أمر الله، رحمها الله تعالى (١٩).

ومن كلماتها له ﷺ أيضاً: أبشر، فوالله، لا يخزيك الله أبداً، والله، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتؤدي الأمانة، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر. **في شعب أبي طالب:**

ما انفكت قريش تصعد عداءها لرسول الله ﷺ ودعوته الجديدة، ولم يتوقف عملها في تجذير ذلك العداء في نفوس أبنائها قولاً وعملاً. وكلما ازداد

بسبب ما نالهم من أذى وعذاب، فخرقوا هذه الوثيقة، وعادوا إلى الاتصال بهم^(٢٠) وهناك رواية: أن الأرضة أتت على كل شيء في الصحيفة، ولم تدع إلا اسم الله جلّ وعلا وقد أوصى الله لمحمد بذلك، فنقل ذلك إلى عمّه أبي طالب، فتحدث أبو طالب جماعة المشركين، وأحضروا الصحيفة فظهر صدق محمد.

هذه خلاصة المقاطعة، التي كانت خديجة ضحية من ضحاياها، فقد أصابها الضرر أيما إصابة، وعانت معاناة عظيمة من آثار هذه المحاصرة الظالمة، ولكنها لاذت بالصبر، ووقفت إلى جانب رسول الله ﷺ موقفاً، يندر أن تقف مثله امرأة، وكان لشخصيتها ومكانتها وهيبتها في النفوس الأثر الكبير، إلى درجة أنها صارت من أسباب قيام خلافٍ ونزاعٍ أدى إلى انهيار موقف قريش، وترك العمل بالصحيفة وفشل المقاطعة.

ففي السيرة النبوية^(٢١): أن أبا جهل لقي حكيم بن حزام بن خويلد، ومعه غلام يحمل قمحاً إلى خديجة بنت

رسول الله ﷺ وصحبه التزاماً بموقفهم وثباتاً على مبادئهم ازداد عداء قريش لهم وأذاها. وقد رأت أن أهله وعشيرته قد وفروا له الرعاية والحماية، فعزمت على شنّ حملتها على هذه الاسرة، وارتأت أن تتخذ وسيلة غير الحرب في أول أمرها فلعلها تصل إلى أهدافها دون قتال وما يجزّره هذا القتال من ويلات وانقسامات بين قبائلها. فاجتمع زعماءؤها وكتبوا الصحيفة، التي قرروا فيها:

مقاطعة بني هاشم على المستويات الاجتماعية والاقتصادية فلا يتزوجون منهم، ولا يزوجونهم، ولا يبيعون لهم ولا يشترون منهم، ولا يكلمونهم، ولا يزورون مرضاهم، ولا يشيعون موتاهم، وأكرهوهم أن يلزموا الشعب وهو طريق بين جبلين.

أما نتائج هذه المقاطعة - التي استمرت حوالى ثلاث سنوات - فقد كانت قاسية جداً على بني هاشم، ومستمهم بسببها الضرر بل الجوع والحرمان... ولم تنقُض إلا بعد أن أشفق بعض القرشيين على بني هاشم

فقالت: ما زلت تذكر بحسرة وألم عجزاً من عجائز قريش همراء الشدقين، هلكت من عدة سنين، وقد أبدلك الله خيراً منها!

فما كان من رسول الله ﷺ بعد أن تغير وجهه الكريم، إلا وزجرها غاضباً، وقال: «والله ما أبدلني الله خيراً منها» ولم يكتفِ ﷺ بهذا بل راح يذكر مناقبها - التي ما فتئ يعيشها ﷺ في حياته المباركة -: «آمنت بي حين كفر الناس، وصدقني إذ كذبتني الناس، وواستني بما لها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء...»

فقالت عائشة في نفسها: والله لا أذكرها بعدها أبداً (٢٣).

وقبل ذلك لم تتوقف غيرة أم المؤمنين عائشة من أم المؤمنين خديجة، التي احتلت تلك المكانة العظيمة من قلب رسول الله ﷺ وظهر ذلك كله في مواقف عملية للرسول الكريم، حتى بعد وفاتها سلام الله عليها.

رأته عائشة يوماً وقد ذبح شاة يقول: أرسلوا إلى أصدقاء خديجة

خويلد زوجة الرسول وعمّة حكيم، فتعلق به أبو جهل، وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم، والله، لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة، فجاءه أبو البختري، وقال له: مالك وله؟ إنه طعام كان لعمته رغبت إليه فيه، فكيف تمنعه؟ فأبى أبو جهل، وقام نزاع كان من أسباب إغفال الصحيفة ونهاية المقاطعة.

كما كان لهشام بن عمرو بن الحارث العاملي الذي كان من أقرباء خديجة دور آخر في بذر الخلاف بين زعماء المقاطعة، فقد كان أكثر الناس إقداماً على مساعدة المحصورين المقاطعين، فكان يدخل أحمال الطعام إلى بني هاشم في الشعب... وأرادت قريش معاقبته.

فانبرى أبو سفيان وقال: دعوه، رجل وصل رحمه، أما والله إنني أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أحسن (٢٢).

مكانتها في قلب الرسول ﷺ

لم تتحمل أم المؤمنين عائشة وهي ترى رسول الله ﷺ يذكر خديجة،

ويطوف بالكعبة، ويحطم رموز الكفر والشرك، وهو بين لحظة وأخرى يرمق دارها حيث نبع الحب وحيث السكينة والمودة والحنان والتضحية.

وفيا قالته أم المؤمنين عائشة، كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكذب يسأم من ثناء عليها واستغفار. فذكرها ذات يوم فاحتملتني الغيرة، فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السن، قالت: فرأيت رسول الله ﷺ غضب غضباً أسقطت في جلدي، وقلت في نفسي: اللهم إنك إن أذهبت غضب رسول الله عني، لم أعد أذكرها بسوء ما بقيت. فلما رأى النبي ﷺ ما لقيت، قال: كيف قلت؟ والله، لقد آمنت بي إذا كفر بي الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، وصدقني إذ كذبنى الناس، ورزقتني الولد إذ حرمتُموه مني.

قالت: فعدا وراح عليّ بها شهراً. أما ما ورد فيها عن رسول الله ﷺ: - فعن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليها: أن رسول الله ﷺ قال: أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب، لا صخب فيه

منها، وهنا أيضاً، لم تتوقف عائشة عن أن تسمعه شيئاً، فقال: «إني لأحبّ حبیبها» (٢٤).

وظلت الغيرة لا تنفك عن قلبها من سيدتنا خديجة، لا شيء - فالأمر كله بعد موتها - إلا لأنها سبقتها إلى نفس رسول الله ﷺ وإلى قلبه فاحتلته بما امتلكته من خلق عالٍ وشرف رفيع وإيمان صادق وجهاد خالص وذكر طيب، وبما قدمته من حياتها التي استرخصتها وثروتها وأموالها، كل ذلك وضعته بين يديه المباركتين؛ لنيل مرضاة الله ولتعيينه ﷺ وهو يحمل أعظم رسالة وأخطر مسؤولية تبليغية تغييرية عرضتها السماء وعرفتها الإنسانية.

وحينما نصره الله تعالى وفتحت أبواب مكة له - وكان وقتها قد مرّ على وفاتها أكثر من عشر سنوات، وكانت كل تلك السنين مليئة بالأحداث والشؤون المريعة، ولكنها مع كل ذلك لم تشغله عن ذكره لخديجة - أقام في قبة ضربت له هناك إلى جوار قبرها - حيث روحها التي تحفّق حوله فترجيحه وتؤنسه وترافقه وهو يشرف على فتح مكة،

ولا نصب.

قال ابن هشام: القصب ههنا: اللؤلؤ المجوّف (٢٥).

- وعن عائشة، قالت: ما غرث من أحد ما غرث على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني رسول الله ﷺ بثلاث سنين، ولقد أمر أن يبشرها ببيت من قصب في الجنة (٢٦).

- وقال ابن هشام: وحدثني من أثق به، أن جبريل ﷺ أتى رسول الله ﷺ، فقال: أقرئ خديجة السلام من ربها، فقال رسول الله ﷺ: يا خديجة، هذا جبريل يُقرئك السلام من ربك، فقالت خديجة: الله السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام.

عام الحزن:

شاءت السماء أن تمتحن هذا القلب الكبير، وقد امتحنته مرات ومرات، ولكن هذه المرة في زوجته التي أبت إلا أن تعيش كبيرة وتموت كبيرة، والتي كانت له وزير صدق على الإسلام (٢٧)، وكانت شريكته في حياته كلها، في دعوته، وفي تبليغه لها، وفي جهاده وتضحياته.

لقد رحلت عنه في السنة العاشرة من البعثة النبوية، ودفنت في مقبرة الحجون بمكة بعد أن رحل قبلها - بشهور على قول وبأيام على قول آخر - عمه أبو طالب الذي كان له عضداً وحرزاً في أمره، ومنعة وناصرأ على قومه (٢٨).

لقد رحلت هذه المرأة العظيمة، لتنتهي برحيلها ورحيل أبي طالب العم المدافع والمحامي القوي أولى مراحل رسالة السماء، التي شكلت الفترة المكيّة الأولى بكل آلامها وأحداثها، كما كانت الفترة التأسيسية لهذه الرسالة المباركة، وكان لوجوديهما المباركين الأثر العظيم في تشكيل تلك المرحلة التي دامت قرابة عشر سنوات وفي بقائها واستمرارها وثباتها.

لقد رحلت هذه السيدة المباركة، بعد أن وصل نداء الإسلام الحبشة، وتجاوز صدهاء بقاع الحجاز، وبعد أن حملته قلوب صادقة ونفوس مضحية، وأيادٍ قوية...

رحلت هذه السيدة الجليلة، وغابت عن دنياه، ولكنها لم ترحل عن قلبه

النابض بمواقفها الصادقة . وكانت أشدهن غيرة أمّ المؤمنين
رحلت هذه المرأة المباركة ولكنها ظلت ماثلة دائماً أمامه ، ولم ينس
ذكرها أو يتأس عنها ، أو يدخل قلبه غيرها ، أو يحتل مكانها منه ، بل ولم
تستطع أيّ واحدة من نسائه - مهما بذلت من جهد - أن تبعد طيفها
عنه ﷺ ، وهو الذي ما فتئ يذكرها ، وكان ذكره لها يثير غيرة بعض نسائه ،

وكانت أشدهن غيرة أمّ المؤمنين عائشة ، فبذلت ما تستطيعه من أجل أن تنسيه ذلك الطيف الجميل وتلك الذكرى العطرة ، أو أن تخدم أو على الأقل تخفف ذلك من قلبه فما استطاعت ، مع أنها كانت في مطلع صباها ونضارة شبابها ..
فسلامٌ على خديجة في الخالدين

الهوامش :

- (١) انظر السيرة الحلبية ١/١٣٧ ، باب تزوجه ﷺ خديجة بنت خويلد (رض).
- (٢) مختصر تاريخ دمشق ٢/٢٧٥ .
- (٣) مختصر تاريخ دمشق ٢/٢٧٥ .
- (٤) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١/١٠٠ ، وأنساب الأشراف للبلاذري ص ٩٢ .
- (٥) مستدرک الحاكم ٣/١٨٢ ، وقد كان كلام ابن اسحاق بلا إسناد .
- (٦) مختصر تاريخ دمشق ٢/٢٧١ .
- (٧) انظر البحار ١٦/٢٢٢ .
- (٨) جوامع السيرة النبوية ، ابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٥٦٤ هـ دار الكتب العلمية - بيروت .
- (٩) لها ذكر في كتب الأنساب ، فراجع على سبيل المثال : نسب قريش لمصعب الزبيري ص ١٥٧ - ١٥٨ .
- (١٠) الاستغاثة ١/٧٠ .
- (١١) راجع الصحيح في سيرة النبي ﷺ ، والاستغاثة ١/٦٨ - ٦٩ ورسالة مطبوعة طبعة حجرية في آخر مكارم الأخلاق ص ٦ .

- (١٢) المناقب لابن شهر آشوب المازندراني المتوفى سنة ٥٨٨، ١/١٥٩.
- (١٣) السيرة الحلبية ١/١٣٧.
- (١٤) السيرة الحلبية ١/١٣٨.
- (١٥) انظر تاريخ الطبري ١/٥٢٢.
- (١٦) اتحاف الوري بأخبار أم القرى - السنة ٢٦.
- (١٧) البحار للمجلسي ١٩/٧١.
- (١٨) سير أعلام النبلاء ١/٨١.
- (١٩) السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٤٠.
- (٢٠) السيرة النبوية لابن هشام ١/١١٠، ٢٣١، ابن القيم ٢/٤٦.
- (٢١) لابن هشام ٢/٥.
- (٢٢) تاريخ قريش ص ٣١٦ للدكتور حسين مؤنس.
- (٢٣) الاستيعاب ٤/١٨٢٤.
- (٢٤) الاستيعاب ٤/١٨٢٤.
- (٢٥) الروض الأنف، وانظر سيرة ابن هشام ١/٢٤١.
- (٢٦) الروض الأنف، وانظر سيرة ابن هشام ١/٢٤١.
- (٢٧) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٤١٦.
- (٢٨) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٤١٦.

رحلة رجل من البلاط القاجاري

تقديم: علي قاضي عسكر

لما للرحلات من فوائد ثقافية وتاريخية.. طالما كانت مصدراً يرجع إليه في كثير من البحوث والكتابات.. تفتح مجلّتنا باباً جديداً خاصاً برحلات الحج. إدارة التحرير

المقدمة:

إنّ كتابة الرحلات، سُنّة موجودة منذ القدم، وإن كانت بشكل محدود، بين الأقباط والمسلمين في الدنيا، ولكنها تطوّرت بشكل ملحوظ في القرنين الأخيرين، فقد انطلق كُتّاب الرحلات، كلّ حسب اختصاصه وتوجّهاته الفكرية الى شرح ووصف الأماكن والآثار والأبنية التاريخية، والمواقع الجغرافية، وعادات وتقاليدهم والقرى والمدن، والحوادث والوقائع المهمة والمثيرة في الطريق... الخ.

ومن بين الرحلات، تتميز رحلات الحج بأهمية وجاذبية أكبر، فهي تنقل لنا

نقاطاً مهمة وحساسة عن كيفية أداء الحجيج لمناسك الحج في القرون الماضية، وأسلوب تعاملهم مع بعضهم، ومصاعب الطريق ومشاكله المختلفة، وعدم توفر امکانات المادية والترفيهية، وعن المعاملة السيئة التي يمارسها سكان مكة والمدينة ضد الحجاج غير العرب.

من بين رحلات الحج اللطيفة والمشوقة، والمؤلمة أحياناً، هذه التي بين يديك، فمع أن كاتبها مجهول، لكنّه، عموماً، يمكن القول: إنّه كان أحد أفراد بلاط ناصر الدين شاه قاجار وموضع اهتمامه، حيث إنّه شرع في رحلته هذه بعد الاستئذان منه، وقد كتبها خصيصاً؛ ليقراها (الشاه) نفسه.

يتّضح لنا من مواضيع هذه الرحلة، أن الكاتب كان يحمل أفكاراً جديدة، وتتصف بالتطور، ففيما يخصّ حياكة السجاد يكتب قائلاً:

«للأسف، إن معظم الألوان المعدنية إفرنجية وغير ثابتة، فباليات قادة البلد يمنعون منعاً باتاً استعمال ألوان الصبغ الإفرنجي في الصناعات الإيرانية». و حول بناء السدود يكتب قائلاً:

«إن الأراضي الإيرانية، التي تمرّ عبرها هذه الأنهار، كلّها صحراوية وقاحلة وعديمة الفائدة، في حين إنّه يمكن وبمبالغ بسيطة، بناء سدّ؛ لتوجيه المياه الوفيرة نحو الأراضي الخصبة والصالحة، وإحياء الزراعة».

إن الكاتب، من البداية وحتى النهاية، ينظر نظرة نقدية ثاقبة للمسائل المتعلقة به، ويطلع القارئ على كثير من الوقائع والأحداث والمشاكل الخاصة بذلك العصر.

ومن المسائل التي تهمّ الضمير في هذه الرحلة، بيان جوانب من اضطهاد أهالي المدينة للشيعة، ففي هذا المجال يقول الكاتب:

والعجيب، أن شيعة أهل المدينة يسكنون خارج المدينة القديمة، وبيوتهم رديئة جداً وخربة، ويعيشون عيشة صعبة للغاية، ولا يسمح لهم أهل المدينة بالدخول إلى الحرم الشريف ومسجد النبي ﷺ، ويحدث بين الحين والآخر أن يسطوا على منازلهم وينهبونها ويضربوهم ويقتلوهم...!

بدأت هذه الرحلة في الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة ١٢٩٦ هـ. ق
وانتهت في جمادى الآخرة سنة ١٢٩٧ هـ. ق.

العزم على الزيارة:

بعد أن طلبتُ الإذن بالسفر من تراب قدم صاحب الجلالة المباركة، غادرت في الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة ١٢٩٦ عازماً على زيارة بيت الله الحرام، وقد رجعتُ إلى طهران في الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٩٧، وما رأيتُ عيني في هذه الرحلة، كتبتُه يدي في السطور التالية:

من طهران إلى خانقين:

في الطريق من طهران وحتى حدود خانقين، شاهدتُ بعض المضائق والجسور الجيدة، حيث إن الناس العظام الخيَّرين قد بنوها، وذلك لتوفير الراحة والرفاهية للزائرين والمسافرين. وقد تهدمت معظمها مع مرور الزمان، وبعضها على وشك الخراب. ويمكن في الوقت الحاضر، وبمبالغ بسيطة ترميمها كلها، ويُخَلَّد القائمون على ذلك مدى الأجيال. ومتى ما أهملنا هذا الأمر، سيدب الخراب تدريجياً في جميع تلك الأبنية، وستذهب تلك المبالغ سُدى، وسيتحمل المارّون بها والمسافرون مشقّات إضافية، فعلى سبيل المثال، يوجد في ساروق - وهي قرية معروفة للميرزا علي قائم مقام، وقد انتشر فيها فن حياكة السجاد، وأهلها أناس شرسون - مضيق مهم، وهو من الأبنية التي خلفها الصّفيون. وقد عاث أهل القرية فيها خراباً، وهم متعمدون، حتى لا تصلح للسكن، وبالتالي يأتون بالمارين بها إلى خاناتهم (فنادقهم الصغيرة) حتى يعتدوا عليهم بمختلف الأشكال.

فن حياكة السجاد:

إن فن حياكة السجاد في هذه الدولة دائماً الملك، والله الحمد، قد انتشر

وتطوّر. فلم نر في طريق عراق (اراك) وهمدان وكرمانشاه منطقة، إلا وكان نساؤها وفتياتها منهمكين بهذا الفن، فعلى سبيل المثال، رأيتُ في كرمانشاه سجّادتين (زين پوش) جميلتين، وهما من صنع إحدى النساء، وقد نقشت أنواع الزهور عليها، وجميعها ذات ظلال، وقد كان إبداع المرأة المذكورة لدرجة يُظنّ معها أنّها قد رُسّمت بريشة رسّام إفرنجي. ولكن للأسف فإنّ أغلب ألوان الصبغ إفرنجي وغير ثابت، وأنّ الألوان النباتية الثابتة قد نُسخت نهائياً، ولهذا السبب، فإنّ تجارة السجّاد قد تدهورت منذ سنين عديدة، فialيت قادة البلد، يمنعون منعاً باتاً استعمال ألوان الصبغ الإفرنجي في الصناعات الإيرانية.

قُطَاعُ الطَّرِيقِ فِي نَوْبَرَان:

كان في نوبران مركز لصيانة الطريق، وكان مكانه قرب الجسر، يسكنه عدد من العمّال، وكانوا أناساً أشراراً أو ذوي سلوك عدواني، متى ما مرّ اثنان أو ثلاثة أشخاص من هناك، فتشوا جيوبهم وآباطهم، وإذا عثروا على أموال أو أشياء ثمينة سلبوها منهم، وقد رأيتُ عدداً من زوّار منطقة هرات المترجّلين قد حدثت معهم مثل هذه الأعمال، وقد تعرّضوا جميعاً للاعتداء. وأخذ ما معهم بالإكراه.

ومن حدود إيران إلى حدود بغداد في أرض العراق يمكن مشاهدة قرى ومناطق كثيرة، مثل: خانقين، ومدينة وان، وبعقوبة، وقزل رباط، ومندلي وغيرها، وجميع هذه المدن ترتوي من الأنهار النابعة من إيران، وكلّها خضراء يانعة، في حين إنّ الأراضي الإيرانية، التي تمرّ عبرها هذه الأنهار، صحراوية وقاحلة وعديمة النفع، حيث إنّهُ يمكن وبمبالغ بسيطة بناء السدود، وتوجيه مياه غزيرة نحو الأراضي الخصبة والصالحة، وإحياء الزراعة، التي تحمل في طيّاتها منافع كثيرة للدولة والرعيّة، حيث يلي ذلك توفير الأمن على جميع الطرق، حتّى يتمّ الخلاص من الوضع الحالي، الذي يغير فيه لصوص الحدود كلّ يوم على قافلة من القوافل في منطقة ما فيسلبونهم كلّ ما يملكون.

في قصر شيرين:

بأمر من قائد البلاد دائم الملك، تقرّر استنفار عدد من الفرسان في مدينة قصر شيرين بصورة دائمية، وقد تفحصتهم بدقّة، فوجدتهم لا يتجاوزون الثلاثين، أو الأربعين، بخيولهم التعيسة وأسلحتهم المغشوشة، يريدون النجاة أمام لصوص الحدود، المسلّحين ببنادق جيدة، وعندهم الخيول القوية المقاتلة، فكيف يريد أولئك الفرسان أن يؤمّنوا الطريق حتى تعبر قوافل الزائرين بسلام؟!

إنّ في المنطقة الواقعة بين قصر شيرين والحدود، توجد آثار عدّة قلاع وبرج وقرية، بالقرب من الطريق الذي نسلكه، جميعها خرائب وخالية من السكان، وهي تقع في سهول خضراء ويانعة، وتحتوي على المياه الوفيرة، ويظهر أنّه بسبب بعض الاعتداءات، قد توارى سكّان تلك المناطق عنها، ومنذ ذلك الحين، أصبح السير في هذه القلعة غير آمن ومحفوفاً بالمخاطر.

العتبات المقدّسة:

عند توقفنا في العتبات المقدّسة، لفتت انتباهي نقاط، أهمّها:
أولاً: لا تتم المحافظة على الثريّات والشمعدانات المهداة من قبل صاحب الجلالة شهرباري، وأن الأموال التي تُقبض باسم إنارتها، لا تُصرف في ذلك، وخاصة في الكاظمية. أمّا في سرّ من رأى، فإنّ هناك ثريّات مضاعة كلّ ليلة، وعملها مُنظّم، إلّا أن معظم اغلفتها قد حُطّمت واستُبدلت بأخرى رديئة.
ثانياً: في كلّ عام، تُنقل جناز كثيرة للموتى من جميع أنحاء إيران إلى مدينة النجف الأشرف؛ لدفنها في مقبرة «وادي السلام». ومنذ لحظة دخول هذه الجناز البلاد العثمانية، وحتى لحظة الدفن، تجبّ ضرائب مختلفة في أماكن متعدّدة وبذرائع شتّى، مثل: ضريبة (جواز السفر)، وضريبة التابوت، وضريبة الطريق، وضريبة الحراسة، وحق الأرض وغير ذلك. وبعد دفن الجثمان، يقوم عمّال المقبرة أنفسهم، من فرط دناءتهم، بعد أيّام قليلة، بنبش القبر وسرقة أحجاره، التي هي غير ذات

قيمة، وكذلك يأخذون علامة القبر من حجر وطابوق، لبيعوها في مكان آخر. ونتيجة لذلك لا تستتر جثة الميت إلا بحصى قليلة، وتكون على عمق يسير من سطح الأرض، حيث يصبح معظمها بعد ذلك طُعماً لدواب الصحراء، ولا يبقى لقبور المسلمين هناك أي أثر.

السفر نحو البصرة:

بعد التشرف بزيارة العتبات المقدسة، سعدنا في ١٤ شوال على ظهر مركب صغير على دجلة يسمى (لندن)، وانطلقنا من بغداد نحو البصرة، وبعد عدة أيام انتقلنا إلى ظهر مركب آخر يسمى (بلاس لنج)، حيث وصلنا البصرة في ٢٢ شوال، وفي الطريق إلى البصرة، كنا قد مررنا على آثار المدائن، وقبر سلمان الفارسي، وقصبة العمارة، التي تقع جميعها على الجانب الأيسر من دجلة، والعمارة قصبة واقعة على ضفاف دجلة، جميلة جداً، وهي تابعة للحكم العثماني، ولا يقل عدد سكانها عن مائة أسرة، كما يقطنها الكثير من الرعايا الإيرانيين، ويتواجد فيها موظف عن دائرة رعاية المصالح في بغداد أو ما يعرف بلغة اليوم القنصلية.

المدائن:

كانت في الماضي مدينة واقعة على ضفاف دجلة، بناها ملوك العجم، وكانت تعدّ العاصمة الشتوية لهم، وبعد تدهمها، بُنيت بغداد من مواد البناء المتبقية من خرائبها، وفي الوقت الحاضر لم يبقَ منها سوى طاق كسرى، وبالقرب منه، قبر سلمان الفارسي عليه السلام حيث يُشاهد من على دجلة، مع أعدادٍ من النخيل.

قبر النبي عزيز عليه السلام:

وعلى الضفة اليمنى لنهر دجلة، يوجد قبر النبي عزيز عليه السلام، حيث يحتوي على صحن كبير وواسع، وحوله أبنية ذات طابقين يقطنها اليهود، والقبر بمثابة مكان مقدس للعبادة.

البصرة:

وهي مدينة مُلحقة بالحكم العثماني وتابعة لبغداد، تقع على ضفاف شط العرب، على مسافة ثلاثة أرباع الفرسخ، وبُعد الشمال الشرقي والشمال الغربي عن الخليج الفارسي هو أربعة عشر فرسخاً، والمسافة من الجنوب الشرقي للمدينة إلى بغداد هي ٤٦ فرسخاً، والطول الغربي للمدينة عن طهران هو ثلاث درجات، والعرض الشمالي لها ثلاثون درجة. وقد سُجِّل عدد نفوسها بحوالي ٥٠ إلى ٦٠ ألف شخص، ولكن حسب اعتقادي فإنه أقل بكثير من هذا العدد، وتضم أسواقاً كثيرة، وأزقة ضيقة وقذرة وغير منتظمة، وتوجد فيها مستشفى أيضاً، وبسبب المد والجزر لشط العرب فإن هوائها غير صحي.

إن مدينة البصرة، هي إحدى المراكز التجارية الكبيرة في آسيا، وللعديد من الدول الأوروبية مصالح تجارية فيها، وفي الماضي، كان لها شأن كبير.

وقد أسسها الخليفة الثاني في عام ١٥ هجرية، وقد خضعت في العام ١٠٤٨ هجرية لسيطرة إيران، ثم انتزعها العثمانيون بعد ذلك، وعادت إلى السيطرة الإيرانية من جديد في العام ١١٨٧ ولمدة ستة أعوام، وهي حالياً تحت السيطرة العثمانية.

معظم أهلها من أهل السنة، وتجاورها بمحاذاة الشط، قصبة جميلة تُعرف بـ(علي مقام) حيث تحتوي على مسجد قد صلى فيه أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهو محل زيارة العامة. وتقفن هذه القصبة غالبية شيعة، ويُقيم الحجاج فيها في الذهاب والإياب.

على مقربة من (علي مقام) وعلى ضفاف الشط، يوجد بستان كبير صاحبه تاجر مشهور من العجم يسمى الآقا عبد النبي، وقد حلّ الداعي ضيفاً على صاحب هذا البستان، ومع حداثة سنّه، فإن التاجر المذكور ذو حظوة وشهرة كبيرتين، وهو يقوم بتلبية احتياجات الحجاج من العجم. وقد تجاوز رؤساء

التجار كثيراً من القيم للحفاظ على أنفسهم وذلك بالانتماء الى الدولة العثمانية .
بعد ثلاثة أيام من الإقامة في البصرة، صعدنا على ظهر سفينة أكبر تدعى
(هانري پولكو) وفي الثامن والعشرين من شهر شوال رست السفينة على شاطئ
ميناء بوشهر، وقد مرّت في طريقها على المحمّرة، وهذه القلعة تقع على الضفة
اليسرى من الشطّ، على بعد عدة فراسخ قبال البصرة، ويمرّ نهر الكارون
بمحاذاتها، ويبدو جلياً من بعيد منظر البرج وسور القلعة . وخصوبة المنطقة هي
أكثر من البصرة، وتضمّ أراضي صالحة للزراعة، ولكن اقتضت سياسة شيخ
العرب دائماً على أن يبقّى تلك المنطقة في خرابٍ ودمارٍ، وأن يحول دون إسكان أحد
في القلعة، وإلاّ فليس مستساغاً أن يكون وضع المحمّرة على هذا الحال بالمقارنة مع
البصرة، فشيخ العرب هذا قد جمع لنفسه عقارات وضيعات خارج أرض المحمّرة،
أي في الأراضي العثمانية، وصبّ جلّ اهتمامه عليها، ولولا وقوفه أمام طموح الرعيّة
وسوء الظن بهم ورغبته في خرابها، لانتعشت قلعة المحمّرة بسكانها وتجارها،
وازدهرت بساتين النخيل فيها، ولدّرت على الدولة والرعيّة أموالاً طائلة بينما لا
تجد فيها الآن غير الخروف المشوي .

بوشهر:

وهي إحدى الموانئ في بلاد فارس، تقع على ضفاف الخليج الفارسي، ويمرّ
عبرها دائرة نصف النهار لطهران، ويحين وقت الظهر في المدينتين في آنٍ واحد وهي
على خط العرض ٢٩ درجة الشمالي .

وعدد السكان فيها يناهز العشرة آلاف نسمة، ومعظم أزقتها ضيّقة وأبنيتها
ذات طابقين . وهي تعدّ مركزاً تجارياً مرموقاً، وغالبية سكانها من التجّار، وتضمّ
ثلاث سفارات مهمّة، الأولى السفارة البريطانية، التي تمارس نشاطاتها باقتدار
شديد، ويقع مبنى السفارة على شاطئ البحر، وتحرسها مجموعتان من الجنود الهنود
بأمرة أحد الضباط، الذين يؤدون التمارين العسكرية عصر كل يوم في باحة السفارة .

السفر نحو جدّة:

في الثاني من شهر ذي القعدة تحرّكنا من بوشهر نحو جدّة، وقد كان مرورنا على بندر عباس وجزيرة قشم، ومضيق هرمز، ومسقط، وعدن، وعبرنا مضيق باب المندب الى (مخا) ومن ثم وصلنا الى جدّة في الثامن عشر من ذي القعدة.

بندر عباس:

مدينة في بلاد فارس على مسافة ستة فراسخ، إلى الشمال من مضيق هرمز، في الحدود الجنوبية لفارس، مساحتها ٢٠ فرسخاً × ٤ فراسخ، وهي مختصة بأحد شيوخ العرب، الذي يمتُّ بصلة قرابة لإمام مسقط. كانت تحتوي على ثلاثمائة قرية، ويبلغ تعداد سكّانها حالياً ستة عشر ألف نسمة، بما فيهم أربعة آلاف يسكنون بلدة قشم، في الجزء الشرقي من الجزيرة.

هرمز:

مدينة وميناء في قارة آسيا، تقع على الساحل الشمالي الشرقي لجزيرة هرمز، ولا تبعد كثيراً عن سواحل بلاد فارس، وهي تقع على بوابة الخليج الفارسي، وتتصل ببحر عمان عن طريق مضيق هرمز، ويبلغ عدد سكانها نحو ثلاثمائة شخص، وفي الماضي، كانت جزيرة هرمز مركزاً لاستخراج اللؤلؤ بكميات كبيرة، حيث كانت تجمع من أطرافها. والجزيرة، وإن كانت قاحلة فعملية استخراج اللؤلؤ، وموقعها الجغرافي المتميز، الذي يعدُّ مفتاح الخليج الفارسي جعلها ذات أهمية خاصّة، ولهذا، فإنّ سلطاناً صغيراً كان يسيطر على هذه المنطقة، وكان يضطلع بمسؤولية الحفاظ على أبراج الجزيرة، وكانت مقتدرة، وظلّت لمدة طويلة بمثابة مقر للبرتغاليين في الشرق، ولكن الشاه عباس ضمّها تحت لوائه في عام ١٠٣٣، وهي الآن تحت السيادة الإيرانية، ولكن صيد المحار قد أفل نجمه.

مسقط:

مدينة تقع في الجزيرة العربية، وهي عاصمة إمارة مسقط، تبعد عن مكّة

مسافة ثلاثمائة فرسخ، وهي على خط الطول الجغرافي (١١) درجة الى الغرب من طهران، وعلى خط العرض ٢٣/٥ درجة شمالاً، وتقع على مقربة من مضيق في الخليج الفارسي، ويبلغ عدد سكانها خمسين ألف نسمة، وتعدُّ موانئها من أفضل وأهم الموانئ. وأما مناخها فحارٌّ مُحرق وغير صحي. وهي مكان لمرور جميع أنواع البضائع والسلع، التي ترد من الهند إلى الخليج الفارسي، كما أنها مركز مهم للتجارة واللؤلؤ في هرمز.

عدن:

وهي من مدن اليمن، تقع بالقرب من الخليج الفارسي، على مسافة (٣٦) فرسخاً جنوب شرقي (مخا). كان عدد سكانها في السابق يبلغ ألف نسمة، إلا أنها - وبعد أن أصبحت تابعة للتاج البريطاني - تقدّمت كثيراً من حيث العمارة والسكان وازدهرت، وتحتل اليوم مكانة مرموقة في الشؤون الحكومية، كما أنها ميناء تجاري عامرٌ للغاية.

باب المندب:

وتعني هذه الكلمة باب النواح والندبة، قد مررنا من هناك ليلة الجمعة (٢٤) من ذي القعدة، عند السّحر. وباب المندب مضيق محفوف بالمخاطر الجمّة، وهو نقطة الاتصال بين البحر الأحمر وبحر عُمان، ويبلغ طوله حوالي ثمانية فراسخ، وأما طوله الجغرافي عن طهران فيبلغ (٨) درجات غرباً، والعرض (٢١/٥) درجة شمالاً. ويقع جبلان على عرض هذا المضيق، ويُقسّمان المعبر على ثلاثة طرق، فالطريق الواقع الى اليسار قليل العرض، والطريق الأوسط قليل المخاطر. وقد وضعت الحكومة الإنجليزية هناك على الجبل حُرّاساً ومشعلاً دواراً لهداية الملاحين، الذين يضلّون الطريق ليلاً لإيوائهم هناك.

مخا:

مدينة في اليمن من جملة إمامة صنعاء، وتقع عند خليج الجزيرة العربية، الذي

يسمونه كذلك بالبحر الأحمر، وتقع على مسافة (٤٦) فرسخاً الى الجنوب الغربي من صنعاء. وهي على خط طول (٩) درجات غرب طهران، وخط عرض (١٣) درجة شمالاً، ويبلغ عدد سكانها خمسة آلاف نسمة، وهي مرسئ عامر. وتبدو جميلة جداً عن بُعد، إلا أن داخلها يختلف عن ذلك، فنظرها كريبه، وهواؤها حار جداً، فدرجات حرارتها مرتفعة للغاية. تحيط بها أراضٍ مكشوة بالحصى، وتشتهر بزراعة البن عند السفوح في أطرافها، وإضافة إلى محاصيلها من القهوة، التي تصدر إلى الخارج، فهي مشهورة بالصمغ والمصطكي والكندر والجلود المعدة للتجارة.

جدة:

مدينة وميناء معمور في الحجاز، تقع بالقرب من البحر الأحمر على بُعد اثني عشر فرسخاً الى الغرب من مكة المكرمة. يبلغ عدد سكانها حوالي عشرة آلاف نسمة. وترسو السفن على مسافة نصف فرسخ منها. وهي مركز لتواجد قنصليات لدول عِدَّة، من جملتها دولة إيران، التي تمتلك قنصلية هامة فيها. وهي مبنية من الآجر المسمّى بالبلوك المنحوت، وذات ثلاثة أو أربعة طوابق. وأزقة جدة عريضة نسبياً ومستقيمة.

وجدة تمتلك أسواقاً فاخرة وواسعة وعريضة تزخر ببضائع إنجليزية وهندية. أما مناخها فحار جداً، ودائماً نراه مشبعاً بالندى، كما هو الحال في بوشهر ومكة والمدينة وجميع الموانئ البحرية، ولا يمكن مع هذا الجو النوم في العراء، ويوجد خارج البوابة الشمالية، بمسافة قليلة، قبر طويل وعريض يُنسب إلى أمّ البشر، ويحرسه سدنة لصوص ومحتالون وأوباش.

وباختصار، فقد تنقلنا بين ثلاث سفن طوال الرحلة، وكانت السفينتان الأوليان بريطانيتين. وكان طاقما السفينتين يتصفان بأدب رفيع، ومتفهمين، وعارفين بالقواعد الصحية، ولم يسمحا بازدحام السفينتين، لذلك لم يشقّ على



الحجاج الى حدّ ما . وأما السفينة الثالثة ، التي كان يملكها ابن المرحوم الحاج زين العابدين أحد تجّار شيراز ، الذي يسكن في بومباي ، فكان عليها طاقم أجنبي فقط قبيح وطمّاع . وقد صعد أفراد الطاقم الى ظهر السفينة في مدينة بوشهر ، وعلى افتراض أنهم مسلمون ، ولكنهم لم يتوانوا عن ارتكاب أي منكر ، فعاتوا في السفينة فساداً ، وارتكبوا سرقات متعدّدة ، ومع أن هذه السفينة قد استُخدمت حديثاً في نقل الحجاج ، وأن صاحبها المسكين كان له اهتمام كبير بخلق سمعة طيبة لها ، لترغيب الحجاج للسفر على ظهرها وجني الأرباح من وراء ذلك ، ولكن ، على العكس ممّا كان يتمنّى صاحبها ، فأفراد الطاقم غير حريصين ، فقد عمدوا الى حشر الكثير من الحجاج في مساحة قليلة على ظهر وداخل السفينة ، فإذا أقول عمّا عاناه الحجاج من مصاعب ومحن ؟ فقد مرّض الكثير بسبب رداءة هواء مخازن السفينة ، ولما كان الحصول على الدواء والغذاء المناسب غير متيسّر ، مات بعضهم ، ودفنوا في البحر وبطنون الأسماك .

وباختصار ، فقد مرّت ظروف عصيبة على ركاب السفينة ، حتى وصلنا جدّة ، ومنها إلى مكّة والمدينة عن طريق (السعدية) .

السعدية:

وهي المكان الذي يحرم منه الحاج ، ويقع في مقابل جبل يللم ، الذي أحرم أمير المؤمنين علي عليه السلام منه ، عند رجوعه من اليمن . والمكان عبارة عن وادٍ يتوسّطه برّ ، بعرض ثلاثة إلى أربعة أذرع وبعمق أربعة إلى خمسة أذرع ، وقد بُني من الحجر المصقول ، وهو على بعد منازل ثلاثة من جدّة ومنزلين من مكّة المكرمة ، وفي كل منزل يوجد برّ مماثل ، تشرب منه العشائر وأغنامها ، والشيء الذي توصلت إليه بشكل دقيق هو ما يلي :

يمكن شقّ الأنهار والقنوات في المنازل الخمسة المذكورة ، بل في معظم المنازل الموجودة بين الحرمين ، فإنّ غالبية الأراضي هناك تضمّ في جوفها الماء الوفير ،

وهي وعرة التضاريس، ويمكن بحفر بضع آبار، أن تجري سلسلة من القنوات فيها، ويمكن إحياء كل تلك الأراضي، ولكن لا أعرف ما السبب في أن أحداً لم يطرق هذا الباب طوال القرون الماضية، وإحياء تلك الأراضي بأقل كلفة؟ ففي تلك الصحاري لا ينبت غير الزعرور، وهو شجر الصمغ العربي، في حين يمكن أن نجعل منها جنّات وحدائق زاهية.

الوصول إلى مكة المكرمة:

في السادس والعشرين من شهر ذي القعدة، وصلنا إلى مكة المكرمة من الطرف الجنوبي، وهي إحدى مدن الحجاز، ومنبع العظمة والقداسة، تقع على بُعد سبعة فراسخ إلى الشرق من البحر الأحمر، وتقع على خط الطول ١١ غرباً، وعلى خط العرض ٢١/٥ شمالاً.

كان عدد سكانها في السابق بحدود مئة ألف نسمة، وقبل ثمانين سنة كان العدد حوالي ثمانية عشر ألف نسمة، فارتفع العدد حتى وصل في الوقت الحاضر إلى خمسين ألفاً، ويقدر عدد الحجاج بمثل هذا الرقم، وفي هذا العام، قدرّت التخمينات عدد الحجاج بما يزيد على المئة ألف حاج.

وأزقتها منظّمة، وجميلة، وأبنيتها نظيفة، وقد بُنيت المدينة في عدة أودية، وعلى حافات الجبال والشعَب، فهي لهذا السبب غير مستوية. وجبل «أبو قبيس» يُقسم المدينة قسمين مختلفين، يقع القسم الأعظم منها على الطرف الأيمن، حيث تضمّ مركز المدينة، أمّا الطرف الأيسر فيضمّ القسم القديم منها. ومعظم مساكنها من الحَصِير والطِين، وهي بسيطة جداً وبلا أساس. أما أبنيتها الأخرى فهي من الحجر المنحوت وذات طوابق ثلاثة أو أربعة، وليس للبيوت صحن أو باحة، وجميعها تحتوي على باب ونافذة على الطريق، وتستقي المدينة ماءها من قناة زبيدة، وهي أقل من مستوى الأرض بذراعين أو ثلاثة أذرع، لذلك يستقون بواسطة الدلاء.

الكعبة وبيت الله الحرام:

يقع القسم الأكبر من المدينة حول المسجد، ويتوسطه بيت الله، حيث يبلغ طوله ١٥ ذراعاً وعرضه ١٠ أذرع، وهو مربع الشكل، وارتفاعه أكثر من الطول والعرض، وقد بني من الحجر المنحوت، وأحجاره بحجم نصف ذراع وثلاثة أرباع الذراع × ربع ذراع وقد غُطِّيَ بحلّة سوداء من الحرير. وموقع البيت بالنسبة للجهات الأربع منظّم، فأحد أضلاعه يوازي الجهة الشمالية، والثاني يوازي الجهة الجنوبية، والثالث يوازي الجهة الشرقية، والرابع يوازي الجهة الغربية، ويقال لزوايا الكعبة: الأركان.

الحجر الأسود:

يقع الحجر الأسود في الركن الجنوبي الشرقي، وعلى ارتفاع ذراع وربع الذراع تقريباً، وضع على الزاوية الخارجية لمجدار الكعبة، ولا يتألف من قطعة واحدة، بل من حوالي عشرين قطعة، مُحاط بطوق فضي، وقد نُصب هذا الطوق على زاوية. وسطح الحجر غير مسطح، فهو مقعر إلى حدٍّ ما وليس له قاعدة، ولونه أسود ولكن سواده غير مكروه، فهو قهوائي جذاب جداً، وتتخلله أخاديد بيض وحمرة تُسرُّ الناظر، والحجر متماسك، ومحكم جداً وصلد.

لقد اطلّعتُ في الكتب الإفرنجية على ما يعتقدونه حكماً وهم بأن هذا الحجر هو أحد الأحجار الساقطة من الجو، ويحتوي على الحديد والنيكل وبقية المواد المعدنية، ولكنه اعتقاد باطل، فهذا الحجر بريء مما ينسبونه إليه، فقد ذهبُ مراراً في أوقات فراغي إلى هذا الحجر وشاهدته بدقة، فلم أجد له أي شبه، فهو لا من الأحجار الأرضية، ولا من الأحجار المتساقطة من السماء.

حجر إسماعيل:

وهو على شكل نصف دائرة يقع على أحد أطراف البيت مواجهاً للطرف الجنوبي، ويتّصل بضلع ميزاب الرّحمة. ويجب على الحجاج أن يطوفوا حول

الاثنين، وأرض الطواف هي بعرض خمس إلى ست أذرع، تحيط بالبيت والحجر معاً. وخارج أرض الطواف يوجد مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام وقبة بئر زمزم وبقية خواص الحرم، وأرض الحرم مرتفعة عن أطرافه بمقدار ذراعين. وقد زُين داخل البيت ببعض الزينة، وباعتقادي أن الزينة الروحانية الباطنية لبيت الله كافية. «فالمحسوب الجميل لا يحتاج إلى الزينة»، فلو جُرد البيت من الزينة، لكانت هيئته وعظمته في القلوب أعظم وأكبر بكثير. «فإن العروسة الجميلة أسعد حالاً بلا أثاث».

دكان النخاسة:

استمرت إقامتي في مكة شهراً واحداً، وكنت في بعض الأحيان أذهب للنزهة، وذات يوم ذهبتُ إلى دكان النخاسة، وهي في الواقع ثلاث دكاكين معتبرة في مكة تقوم ببيع الرقيق، وقد شاهدتُ حالة غريبة: أنواع الإماء والعبيد والخصيان قد جُلِبوا من الحبشة، وزنبار، والنوبة، والسودان، وغيرها. وقد صُفَّت السرائر بالترتيب، ووضعوا الرقيق عليها في صفوف منظمة، وحضر السماسرة وأحد الملاي من جماعة أهل السنة، وذلك لعقد صيغة البيع. وحضر الزبائن وهم من بلدان مختلفة، وكان السماسرة يتحدثون إلى الزبون بمنتهى المحبة، كما كانوا يأتون إليه بالأمّة أو العبد الذي يطلب، ويعرضون أمامه أعضاء بدنه كافة، ويتساومون معه بخلق وبمهارة فائقة. وأمّا إذا كان الزبون إيرانيّاً، فلا يُلقون إليه بالأبدأ بل إذا توقّف قليلاً، فلا يُستبعد أن يؤذوه، فهم يحرّمون التعامل معه؛ لذلك فالزبون الأعجمي عليه أن يوكل أحداً من العرب ليشتري بالنيابة عنه.

مولد النبي ﷺ ومولد علي عليه السلام:

يوجد في مكة مكانان هما موضع زيارة العامة، الأول يعرف بـ«مولد النبي» ﷺ والثاني هو «مولد أمير المؤمنين علي» عليه السلام، وقد قام بعض السلاطين العثمانيين بتعميرهما، ويتولّى أمرهما سادن وبعض الخدم.

مكان العمرة:

وهناك مكان العمرة، وهو أحد حدود الحرم الشريف، ويبعد مسافة نصف فرسخ إلى الغرب من مدينة مكة، ففي هذا المكان توجد علامة حد الحرم، وهناك أيضاً مسجد ومسيح ومقهى، فكل من كانت له نية العمرة المفردة، يغتسل هناك، ومن ثم النية، فالإحرام، ثم يرجع.

منى وعرفات:

ومن توابع مكة أيضاً، منى وعرفات، وتقعان إلى الشمال من مدينة مكة، وتبعد منى مسافة نصف فرسخ، وفيها مباني عالية، تستخدم كمساكن للحجاج والتجار أيام موسم الحج، أما في بقية الفصول فتكون أماكن للنزهة والسياحة لأهل مكة. ويوجد فيها مسجد يسمى (مسجد الخيف) حيث يبلغ طوله مئة وعشرة أذرع، ويبلغ عرضه تسعين ذراعاً، وإلى الشمال منه تمتد صحراء، فيها أعداد لا تُحصى من الأغنام التي جيء بها كقرايين للحجيج، ولقد شاهدتُ كذلك وجود بعض الماعز الفريد، حيث لا يوجد أي تشابه بينه وبين الماعز في إيران، فجسمه شبيه تماماً بالغزال، له شعر قصير، ناعم وبراق، وعلى جلده وبر شبيه بما هو موجود على جسم النمر.

إن القرايين في منى تُعطى لجماعة من الزنوج، الذين يقومون بفرش لحومها على صخور الجبال تحت أشعة الشمس لتجفيفها بسرعة، ثم بعد ذلك يقومون بحزنها لمؤونة سنتهم.

وقد قاموا بحفر عدّة حُفَرٍ لدفن فضلات ودماء الذبائح، ولكن الحجاج لم يعيروها أي أهمية، فكل حاج يقوم بذبح أضحيته أمام خيمته، فكان هذا العمل سبباً خطيراً في التلوث الشديد، بالرغم من أن هؤلاء الزنوج يقومون بنقل الفضلات بعد ذلك تدريجياً.

لا يوجد في مكة المكرمة أي حقل أو خُصرة، عدا حقل نخيل واحد يقع إلى

الجنوب، وهناك اثنان آخران إلى الشمال. كما أن هناك بعض قطع الأراضي الخضر حول المدينة، التي تُسقى من مياه الآبار.

إن ضرب الطبول معمول به في مكة المكرمة، حيث تُقرع الطبول عصر كل يوم أمام باب البيت، وكذلك تُستخدم بعض الآلات الموسيقية بلا أي مانع. أمّا الطرق في مكة المكرمة فهي عبارة عن سوق مُغطى وزقاق توجد على جانبيه مباني ذات طوابق ثلاثة أو أربعة، لذلك فإن الهواء فيها غير طلق، وليس هناك أي ساحة أو عراء لتنفس الهواء الطلق، عدا صحن المسجد وميدان خارج المدينة يقع إلى الشمال منه.

الوصفا والمروة:

وهما جبلان صغيران يقعان على طرفي المسجد الحرام، على مسافة ثلاثمائة ذراع، ويقع الصفا على حافة جبل «أبو قبيس»، والمروة إلى الشمال من المسجد على حافة جبل آخر، ويصل بينهما طريق عام وسوق، يقع المسجد الحرام على أحد ضلعيه، وعلى الضلع الآخر هناك المباني والدكاكين، وقطعة الأرض هذه مقدسة ومشرفة جداً، ولا يوجد أي شك في أن النبي ﷺ وقبله عدد من الأنبياء، وكذلك الأئمة الطاهرون وأولياء الله قد قطعوا هذه المسافة تكراراً، ومع كل هذا فإن عرب مكة قد جعلوا قطعة الأرض هذه من أوسخ الأماكن، وصارت مأوى لمعظم كلاب مكة.

قُدماً نحو المدينة الطيبة:

بعد أن أنهينا المناسك، غادرنا مكة المكرمة في ٢٧ من ذي الحجة، عازمين على الذهاب إلى المدينة الطيبة، ووصلناها في أواسط شهر محرم الحرام، وتسمى أيضاً مدينة النبي ﷺ وفي السابق كانت تدعى بـ (يثرب)، وهي مدينة لها من الشرف والمنزلة ما لمكة. تقع في أرض سهلة على مسافة ستة وخمسين فرسخاً إلى الشمال الغربي من مكة، وتقع على خط طول ١١ درجة غرب طهران، وعلى خط

عرض ٢٥ درجة شمالاً، وتضم ألفاً ومئتي أسرة، وهي ملجأ سيد المرسلين عند هجرته من مكة، وفيها عدة مدارس، ويقصدها الحجاج بعد زيارة مكة وذلك لزيارة قبر الرسول الكريم ﷺ.

المدينة بلدة محصورة، ولم يبق أي أثر من الخندق القديم سوى آثار قليلة في بعض النقاط، وقد هُدم مسجد الرسول ﷺ، وبني السلطان عبدالحميد خان مكانه مسجداً فاخراً في ظاهره وكبيراً، ولم يبق شيء من آثار المسجد القديم المقدس غير المقاييس، والحدود التي نُقشت على الأعمدة الصخرية، مثل حدود مسجد النبي ﷺ، وموضع عمود حنّانة، وموضع محراب ومنبر النبي ﷺ وأبواب بيته، التي تُعرف بباب جبرائيل وباب ميكائيل... الخ، وحدود بيت الزهراء سلام الله عليها، وأمثال ذلك، وباليات أبنية الطين تلك باقية لحد الآن! وأمّا اليوم، فالمدينة لا تشبه بأي حالٍ من الأحوال المدينة القديمة، فجميع المباني هي من الحجر المنحوت ومعظمها ذات ثلاثة أو أربعة طوابق، وقد بُنيت بشكل خاص على تلك المساحات من الأرض، وعرض الزقاق فيها ثلاث أو أربع أذرع. ولكل طابق منها باب للخروج من كلا الطرفين إلى الطابق الثالث والرابع، حيث يمكن الانتقال من على سطح الدار في هذا الزقاق إلى الطرف الآخر، وتشبه سقوفها إلى حد كبير السقوف «الجملونية» أو ما تسمى بالسقوف «الموشورية» على طول الزقاق.

وقد ارتفع المرقد الطاهر للرسول ﷺ وقبر الشيخين بشكل مشابه لحرم بيت الله، فهو مربع الشكل، وغطيت هذه القبور بالقماش، وتقع مع قبر الزهراء (عليها السلام) على جهة واحدة من المسجد. وأمّا المسجد فهو مكوّن من صحن كبير أحيط من أطرافه بالأعمدة والايوانات. ونقش في أعلى الأعمدة اسم «الله» والاسم المبارك للرسول ﷺ وأسماء العشرة المبشرين بالجنة، وأسماء «الأئمة الأطهار» بالذهب وبخط جليّ وواضح.

هذا، ويرجع عهد بناء هذا المسجد ومتعلقاته إلى السلطان عبدالحميد خان.

وأما بناء القبر الطاهر والضريح فيرجع إلى عهد قايتبا (ي). ويقع المسجد من ثلاث جهاته على الشارع الرئيس، وهو مبني من الحجر المنحوت الجميل الصافي. ومن بين القبور المعروفة في المدينة قبر عبدالله والد الرسول ﷺ والواقع في سوق الصَّفَّارين.

مقبرة البقيع:

تقع هذه المقبرة خارج المدينة، أمام إحدى بوابات المدينة ويفصل بينهما زقاق. وتشمل هذه المقبرة بقعة من ترميمات السلطان محمود خان، تضم في كنفها قبوراً مطهرة لأربعة من الأئمة عليهم السلام: الإمام الحسن، والإمام زين العابدين، والإمام محمد الباقر، والإمام جعفر الصادق عليهم السلام إلى جانب قبرين آخرين أحدهما للعباس عم النبي ﷺ والآخر لفاطمة بنت أسد أو فاطمة الزهراء، ويقع بيت الأحران خلف هذه البقعة الطاهرة إلى مسافة قصيرة، ويقع قبر الشيخ أحمد البحريني في جانب من هذه البقعة الشريفة. وهناك بقاع أخرى في المقبرة لبنات النبي ﷺ وزوجاته وحليمة مرضعته عليها السلام. وفي نهاية المقبرة المذكورة يقع قبر الخليفة الثالث. وفي الطرف الشمالي الشرقي للمدينة يقع جبل أحد حيث قبر سيدنا حمزة سيد الشهداء عليه السلام على سفح من سفوحه، وله مسجد وصحن، وتم ذلك على عهد السلطان عبد الحميد خان، وتقع قبور سائر شهداء أحد خلف الحائط الشمالي. وقد أحيطت هذه القبور بسور ترابي بسيط وهو على وشك الانهيار، وتقع بالقرب منه بقعة دُفِنَتْ فيها أسنان الرسول ﷺ.

وتجري في المدينة وما حولها بضع قنوات وبساتين جيدة، وخاصة في الطريق إلى أحد. وقد أزيلت من بساتين أطراف المدينة الأتربة بمحدود ذراعين إلى ثلاث باليد؛ وذلك لإبقاء الماء فيها عند الارواء.

مظلومية شيعة المدينة:

أغلب رجال أهل المدينة من الكواسج ولونهم أبيض، لكنهم بذيئوا اللسان

وقساة ومعيشتهم ضنكا. وفيها طائفة النخالة^(١) الذين يرجع نسبهم الى الإمام السّجاد عليه السلام وجميع أولئك من الشيعة الخُلّص، وهذه الطائفة لها بيوت خارج المدينة القديمة وهي بيوت خربة جداً، وتعيش في ضنك وفقير مدقع، ولا يسمح لها أهل المدينة بالدخول إلى الحرم الطاهر أو مسجد النبي، وقد حدث مراراً أن هجموا على بيوت تلك الطائفة، وأوقعوا فيها القتل ونهبوا ما لديها. واعتقد أن لو كان لأحد في المشرق نذر بقدر فلس واحد يحرم حينئذ إعطاؤه إلى غيرهم عند الإمكان، وعليه أن يوصله إليهم مع وجودهم، فحياة هؤلاء المساكين مُرة وصعبة ولا يمكن شرحها على الإطلاق.

ومن عادات أهل المدينة أنهم على الأغلب يربّون المواعر للحصول على ألبانها، فهم يشدّون على ضروعها كلّ صباح ويطلقونها تسرح، فتسيح هذه المواعر في الأزقة إلى غروب ذلك اليوم، وعند العشاء تعود إلى منازلها لوحدها، ولا يُعلم ما تأكله هذه الحيوانات المسكينة أو تشربه! إذ لا يوجد في الأزقة ما يمكن أكله سوى الأتربة والحرائب، وتُحلب مع ذلك في الليل!

وقد تحيّرت في هذه الحادثة حتى سمعت خبراً، أنه في عهد خاتم الرّسل ﷺ شكى أهل المدينة إليه عليه السلام: أنما مضطرون للاحتفاظ بالمواعر من أجل ألبانها، إلا أنه لا يوجد عندنا شيء لإطعامها، وأرضنا يابسة جرداء. فأجابهم الرسول ﷺ بكلام بياني إعجازي: اطلقوا مواعركم تخرج في الصباح، وامسكوهن في الليل. فصار ذلك عرفاً عندهم حتى وقتنا الحاضر، فقد عاشت مواعرهم بفضل وبركة كلامه عليه السلام ولا يعرف أي شيء كانت تأكله!

التعامل الجاف مع العجم:

إنّ ما رأيته في الحجاز هو أنّ العجم، ولا أدري ما السبب في ذلك؟ مغضوب عليهم، ويحتقرهم ويذلّهم الناس هناك، ومع أنّه في هذه السنوات وبجسن كفاءة ودراية الحاج ميرزا حسن خان منسّق الأعمال المقيم بمجدة، قد تحسّنت الحالة

كثيراً، إلا أنَّ تلك الحالة لم تخلو من المخاطر، خاصة في المدينة الطيبة حيث تُستَحْلُ فيها دماء وأموال العجم، ولا يتأخر أهلها عن إيصال الأذى إلى الحجاج، حتى السيد حسن المطوف الذي هو مأثور من جانب جناب معين الملك لملاحظة مطوفي الحجاج الإيرانيين، أبدى منتهى سوء التصرف والسلوك. وقد ساد العُرف منذ سنين على جباية مبلغ ريالين إفرنجيين من كل حاج أي ما يُعادل اثني عشر ألف دينار لحسابه، فيقسّمها هو على المزورين والخدام في الحرم.

ويعمد هذا الرجل المتوحش القليل الأدب مع جماعة من الخواجات والعسكر إلى الهجوم على مخيم الحجاج المساكين في منتصف الليل دون سابق إنذار لأخذ تلك الأموال، وإذا كان الناس نائمين في خيامهم، سواء أكانوا لوحدهم أم مع عيالهم، يغيرون عليهم ليلاً وينتزعون منهم تلك الأموال بكل وحشية، كما أنَّ بعض أهل المدينة - من الذين يتصفون بقلّة الأدب الزائد عن الحدّ وبالوحشية - لا يعيرون الإيرانيين ذرة وقار أو احترام بل ولا يحسبونهم من صنف البشر! وقد رأيت بعيني في مسجد الرسول الأكرم ﷺ جماعة من الحجاج الهنود يخيمون هناك، وكانوا قذرين للغاية وثيابهم رثة، وهم يجلسون كل يوم تحت أشعة الشمس على فرش نظيفة، يقتلون القمل ثم يضطجعون ويغطّون في النوم، ومع هذا يتحركون بكل حرية ووقاحة دون أن يعترضهم أحد.

منع الزيارة:

ومع أن أغلب الإيرانيين يلبسون ملابس نظيفة وجميلة، لا يُسمح لهم خلال النهار بالتوقف في المسجد كثيراً لأداء الزيارة، ولا يتجرأون في الذهاب إلى المسجد، وفي الليل هم ممنوعون تماماً من دخول المسجد مع أنهم كانوا يتحركون بكل أدب وحيطة وحذر، وقد رأيت يوماً في زقاق من أزقة المدينة رجلين إيرانيين عظيمي الجثة يجتازان من أمام أحد الدكاكين، فقفز صبي من الدكان أمامهما وأخذ بيدي هذين الرجلين وساقهما نحو الدكان بقصد إيذاءهما، ومع أن

هذين الرجلين كان باستطاعتهما أن يقتصما ذلك الصبي ويأكلاه كلقمة سائغة، إلا أنهما لم يجرؤا على إظهار غضبهما، وكانا كاسيرين في قبضة ذلك الطفل حتى بادر شخص آخر، وعمل على انقاذهما من يده.

البوَاب القبيح المنظر:

عند مقبرة البقيع، بقعة الأئمة الأطهار، يوجد بَوَاب قبيح المنظر يحمل بيده هراوه، ويتطاير الغضب من وجهه، ويأخذ من كلِّ إيراني يروم الدخول إلى هناك بقصد الزيارة صاحبقران^(٢) واحداً، ولو أراد ذلك الحاج مثلاً الدخول خمس مرات يومياً عليه أن يدفع خمس قرانات، وحال دخوله إلى هناك ولما يبدأ الزيارة بعد، يقول له البوَاب: أخرج.

وأراد أحد الأشخاص يوماً أن يُقيم مجلساً للغناء تحت قبة الأئمة الأطهار، فنعه البوَاب، فأعطاه مبلغ روبيتين اثنتين وتساويان ستة آلاف دينار حتى حصل على إذن بذلك.

وكلُّ هذه الموانع والحجج هي من نصيب الإيرانيين، ولا أحد يعترض طريق الأعراب أبداً.

ومن بين المميزات التي يحصل عليها الأعراب هي وكما رأيت بعيني في كلِّ بلاد الجزيرة العربية، أنه متى ما شبَّ نزاعٌ بين أعرابيٍّ وأعجميٍّ، فللأعرابي الحقُّ في أن يكيل للأعجمي كلَّ أنواع السبِّ والشتم والتَّهم، في حين لا يحقُّ للأعجمي حتى فتح فيه بسؤال أو جواب، وإلا كان مصيره أن يهجم عليه الأعراب ويشبعوه ضرباً حتى يهلك.

ففي أرض الحجاز كلِّ ملةٍ يحقُّ لها أن تنتقل بحرية كاملة بزيها إلا أهل إيران، الذين إما أن يلبسوا لباساً عربياً أو لباساً أفندياً، ومع ذلك فبمجرد أن ينكشف لهم أنه أعجميٍّ، يتعرَّض إلى السخرية والاستهزاء!

ومن الأعمال التي أدّاها الحاج ميرزا حسن خان منسَّق الأعمال هذه السنة في

مكة هي أنَّ أحد الفلاحين الإيرانيين أراد يوماً الطواف حول بيت الله والتشرف بذلك، فربط مداسه بمنديله ووشاحه ووضع على كتفه متديلاً خلف ظهره ودخل المسجد. فانتبه أحد خواجهات الحرم إلى ذلك، وبينما كان الفلاح يطوف فإذا بالخواجة يُنزل ضربات عديدة بهراوته على ظهر الفلاح، فشاهد أحد أقرباء المنسَّق في الدار الإيرانية، تلك الواقعة من بعيد، فأسرع وأخبر المنسَّق بذلك. فقام المشار إليه لأخذ القصاص بإذن جناب الشريف وباشا مكة وعاقبوا ذلك الخواجة في نفس المكان الذي قام هو فيه بضرب الفلاح بالهراوة. وهذه الأمور تقع فقط للإيرانيين وحدهم دون غيرهم. فالأعراب وضعهم مختلف، فهم يحملون نعلهم تحت آباطهم ويدخلون المسجد دون أن يتعرَّض لهم أحد بسوء. والخلاصة أنه ولسبب مجهول يتعرَّض جماعة من الإيرانيين كل سنة إلى الأذى والمشقة والبلاء.

وبعد الخروج من المدينة الطيبة، تحركنا نحو الجبل، ولم تكن في الطريق من المدينة إلى النجف الأشرف أية مدينة عامرة على جانبي الطريق سوى «مستجدة» و«جبل» وبعض الخيم السود القليلة، التي تسكنها جماعة من الأعراب. و«مستجدة» على بعد ثلاثة منازل قبل الجبل، وهي قرية عامرة فيها بساكنين كثيرة من النخل والحمضيات.

و«جبل» قصبة من إيالة «نجد» ويبلغ عدد سكانها حوالي (٢٠٠) عائلة وجبل هي مقر حكومة محمد الأمير. وتقع على خط عرض (٢٩) درجة شمالاً وخط طول (٦) درجات غرباً عن طهران، في أرض سهلية جرداء وحصوية، وأما سكانها فهم من الأعراب البدو.

نجد:

تقع بين (الاحساء) و(الحجاز) والأراضي الصحراوية، ويقطنها حوالي ثلاثمائة ألف نسمة، مناخها شديد الحرارة ولكنته صحي، وماؤها شحيح، ومعظم

أهلها من سكان البوادي، وتشكّل الخيل والجبال والأغنام كلّ ما يملكون، والفرقة الوهابية خرجت من هذه الديار.

بعد طيّ الطريق الجبلي وصلنا الى النجف الأشرف في الرابع عشر من ربيع الأول، واستغرقت الرحلة ما يقارب الثمانين يوماً، وخلال هذه الفترة، ضلّ كثير من الحجاج الأعاجم في صحاري الجزيرة العربية، وأصبحوا أسرى لدى:

- عبدالرحمن أمير حاج نيابة عن محمد أمير الجبل.

- متعهدي القوافل الماكرين، الذين لم يتورّعوا عن ارتكاب أنواع القبائح، عدا نفر قليل منهم مثل الحاج عباس القازي النجفي، الحاج اسماعيل الأصفهاني.
- وأخيراً، أسرى بيد العُكّام الذين يُمسكون بزمام الجبال، وهم أغنياء عن التعريف.

عادة محمد أمير الجبل هي أن يُرسل كلّ عام قبيل موسم الحج شخصاً مثل عبدالرحمن، أو غلامه (قنبر) إلى النجف الأشرف، حتى يسوق الحجاج في الخامس من شهر ذي القعدة، ليصل بهم إلى مكة المكرمة في الرابع من شهر ذي الحجة، وبالنظر إلى أنّ عليه أن يمرّ بالقوافل بسلام خلال القبائل الأكثر وحشية منه، وأن يدفع لهم الرسوم، لذا فهو يأخذ من كلّ راكب جمل ما يعادل خمسة عشر تومانا تسمى (الأخوة)، ويؤخذ من الأعراب إجمالاً نصف مبلغ الأخوة، ومشاة الحجاج معفون منذ القديم من دفع هذه الأتاوة، وعلى الرغم من أنّ المدينة الطيبة تقع على حافة الطريق، فهم لا يمرّون عليها ذهاباً، إلّا أنّهم يفعلون ذلك في الإياب، ويقطعون الطريق من نجد وحتى يصلوا بالقوافل الى النجف الأشرف، وأحياناً، يأخذون (الأخوة) في الأربعين وحتى أواخر شهر صفر على الأغلب وبنفس الطريقة، إلّا أنّهم لا ينفقون ما يقولون.

كلّ عام، يعتدون على مشاة الحجاج المساكين، وفي هذا العام، قام

عبدالرحمن في كلّ منزل بجمع عدد من المشاة بوشاية من الحاج حمودي النجفي، وأمر بعضاً من الأعراب الأشدّ كفراً ونفاقاً، بأن يحملوا عليهم بالهراوات، ويشبعوهم ضرباً حتى يقضي البعض نحبه تحت أيديهم، ويقوموا بنهب ما يمتلكون من دراهم ودنانير، حتى أن متعهد القافلة الحاج جواد بن الحاج عبد، وهو من الرعايا الإيرانيين، قد استشهد هذا العام تحت ضرب الهراوة لمحمد.

وأخيراً، لم يبق سوى ٢٣ نفرًا من الحجاج المشاة، وما إن علمت بذلك حتى أرسلت في طلب عبدالرحمن، ووجهت إليه التهديدات قائلاً:

لو كان قادة دولة إيران يعلمون كيف أنكم بهذه القساوة والطمع، تتعاملون مع الحجاج الأعاجم؛ لمنعوا كلياً الطريق الجبلي. ولقد توعدتته، وقلت له: إذا أمهلني الأجل فسأسجل تفاصيل هذه المعاملة السيئة في دفتر مذكراتي، وسأعرضها على ولاة الأمر في إيران. وآخر الأمر، فقد أعطيته قطعة شال؛ لأنقذ بقية السيف من برائته.

ومع هذا، فقد كانت تُفرض كلّ يوم وبمختلف الحُجج والأعذار، أتاوات من قبل عبدالرحمن ومتعدي القوافل على الحجاج العجم، وكان الحاج حمودي يأخذها بأسوأ شكل، وكانوا إذا احتملوا وجود دينار في جيوب الحجاج، جالوا بهم في القفار حيارى وعطشى وجياعاً. وكلّ تلك المصائب تحدث خاصة أثناء العودة.

والحاج حمودي رجل من أهل النجف، وكان هو وأخوه جاسم يخرجان كلّ سنة من النجف مع بعض أقربائهم برفقة الحجاج، وهو رجل لا دين له ولا مذهب وكان يتبع مذهب كلّ جماعة يُرافقها. فهو شيعي في النجف، وسني متعصب في خيل أمير جبل، وشريك للصّوص في محيّم الحجاج، ورفيق القافلة والأمين والمشاور كذلك.

وأما عبدالرحمن فهو شخص ظالم وقاسي القلب، وكلّ ما يُصيب الحجاج من

الآلام والمصائب، فهي منه وإليه. ولو أن هذا الرجل وأتباعه مُنعوا من مرافقة الحجاج على الأقل، لكان ذلك فوزاً عظيماً.

لذا فإني أرى من الضروري أن ينبّه عامة الناس على أن طريق الجبل ليس هو الطريق الوحيد الذي يوصل إلى مكة المكرمة أو الرجوع منها، ولا يقتصر عليه أبداً. فالحمد لله هناك طرق عديدة آمنة ومفتوحة:

- طريق الشام السلطاني الذي يُشرف على المدينة الطيبة عند الذهاب.
- طريق إسلامبول (إسطنبول)، وعلى الحجاج الإيرانيين أن يذهبوا عن طريق أنزلي نحو تغلب، وبعد اسطنبول يمرّون بالقرب من مصر ثم يصلون جدة.
- طريق البصرة الذي سرت فيه.

□ طريق بوشهر الذي يمكن الوصول عبره إلى جدة خلال (١٥) يوماً، وعند الرجوع بعد زيارة المدينة، يمكن الذهاب عن طريق الشام أيضاً، أو عن طريق ميناء ينبع، إذا كان آمناً؛ لأنه بالقرب من المدينة، حيث يمكن ركوب السفينة والذهاب إلى أي مكان آخر.

ينبُع:

ميناء في الحجاز، ونسبته إلى المدينة كنسبة جدة إلى مكة، وهو عبارة عن قصبة محصورة، تبعد (١٧) فرسخاً إلى الجنوب الغربي من المدينة. وترسو عنده الكثير من السفن إلا أنه غير آمن. فالتاس هناك كالوحوش، وكلما سنحت الفرصة لا تخاذله معبراً كانت تتفاوت وتختلف المصاريف العامة ومدة السفر للحجاج.

كانت السفينة تتأهب للتحرك من بغداد في النصف من شوال، فكان الحجاج يصلون إلى ينبع في العشرين من ذي القعدة، ويصلون من المدينة إلى مكة خلال عشرة أيام أو أقل. وبعد الفراغ من الأعمال، من (١٥) إلى (٢٠) ذي الحجة، يصعدون إلى السفينة من جدة وكانوا يتجهون إلى ما شاءوا من الجهات، إلى

بومباي، ومصر، وإسطنبول وبوشهر أو البصرة.
وأما إذا كان المقصد هو العتبات المقدسة، فبالإمكان الوصول إلى بغداد من (١٥) إلى (٢٠) من محرم، وعلى هذا كان الجهد ينصب على أن لا يُسلم الحجاج أنفسهم بأيدي الطوائف الثلاث أو الأربع المتوحشة، وعندها سيقعون أسرى عندهم، ويسلبون أرواحهم أو يُعرضون حياتهم أو أموالهم إلى الهلاك، فيكون الجوع والعطش مصيرهم. ليت طريق الجبل يُمنع ويُغلق لعدة سنوات من قبل رجال الدولة دام عمرهم حتى يستقرّ فيه النظام والأمن!

الهوامش :

- (١) طائفة من أهل المدينة، وهم الساكنون في شارع أبي طالب حالياً، وأغلبهم من الشيعة.
(٢) نوع من العملة، كانت تُسك منذ عهد الأسرة الصفوية حتى ناصر الدين شاه القاجاري، وكان رأس صاحبقران (وهو لقب بعض ملوك إيران) منقوشاً عليها.

شعر الحج

ضياء الدين الصابوني

وَسَقَيْتَ سَقِيكَ إِنَّهُ مَشْكُورٌ
فَلَأَنْتَ فِي عَفْوِ الْمَلِكِ جَدِيرٌ
قَدْ زَانَهَا التَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ
يَعْرِفُ، وَضَلَّ الْجَا حُدَّ الْمَغْرُورُ
صَوْرًا تَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ حَسِيرٌ
وَأَفْضَتْ مِنْهَا ذَنْبَكَ الْمَغْفُورُ
يُرْدِيكَ أَوْ يُغْوِيكَ وَهُوَ كَفُورٌ
وَالْقَلْبُ مِنْهُ طَافِحٌ مَغْمُورٌ؟
وَمَعَ الْجَلَالِ بَشَاشَةٌ وَحُبُورٌ
وَقُلُوبُهُمْ فِيهَا الْهُدَى وَالنُّورُ
وَاللَّهُ يُجْزِلُ وَالْجِزَاءُ كَبِيرُ

قَدْ طَابَ حَجُّكَ إِنَّهُ مَبْرُورٌ
فَاهِنًا بِحَجِّكَ وَالْقَبُولِ مَعَ الرِّضَا
تِلْكَ الْمَعَانِي السَّامِيَاتُ شَهِدَتْهَا
ذُقْتَ الْحَلَاوَةَ فِي الرِّحَابِ وَمَنْ يَذُقُ
وَشَهِدْتَ مِنْ سِرِّ الْجَمَالِ وَحُسْنِهِ
وَوَقَفْتَ فِي (عُرْفَاتٍ) تَلْتَمِسُ النَّدَى
وَأَتَيْتَ (لِلْحَجَرَاتِ) تَهْجُرُ كُلَّ مَا
أَمَّنْ يَرَى الْبَيْتَ الْعَتِيقَ وَسِرَّهُ
وَلَقَدْ كُسِيتَ مِنَ الْجَلَالَةِ ثَوْبَهَا
هَا هُمْ ضِيُوفُكَ أَقْبِلُوا فِي لَهْفَةٍ
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِقَلْبٍ خَاشِعٍ

وعلى الجباه الخاشعات علائم
نالوا الجوائز بعدما غُفرت لهم
وكم اعتراك هزةً برحابه
طوبى لمن قد فاز منه بنفحة
مهما أتيت من الذنوب فإنما
رباه يا رحمن فاجبر كسرنا
رباه فاقبل توبتي وضراعتي
جد لي بعفوك يا إلهي تكرمًا
جد لي بعفوك أنت أكرم مرتجى
صلى الإله على النبي وآله

وعلى الوجوه النيرات سرور
زلائهم، إن اللطيف خبير
بل كاد قلبك من هواه يطير
فالعيش رغد والزمان عير
أملني بعفوك يا كريم كبير
إن الفؤاد من الذنوب كسير
أيقنت أنك راحم وغفور
فالكسر عند ملىكنا مجبور
وإليه كل الكائنات تصير
ما رف قلب العبد وهو شكور

شاعر طيبة: محمد ضياء الدين الصابوني - عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

يا محرمون.. شعار الصالحين على
كأنه من جنان الخلد مقتبس
يا محرمون، كيوم البعث منشروهم
من كل جنس ولون أقبلوا زُمرًا
تجردوا من هوى الدنيا وزخرفها
مسالمين فلا بغى ولا حرب
ترى الخيام على ظهر الربى نصبت
هذي وفودك يا رحمن قائمة
في مهبط الوحي كم تنساب ذاكرة

وجوهم.. للهدى والخير منزعة
وفي الجباه يد الرحمن تطبعه
شمّل البرية هذا اليوم يجمعه
حيث التفاضل للإيمان مرجعه
وكلهم في رضاء الله مطمعه
ولا يراود جفنًا ما يروعه
كالبحر.. منشورة للريح أشرعه
يضمها من جميل العفو أوسعه
تثير في القلب أشجانًا تلوعه

كم في المنازل من طيف ومن أثر
عَفَّت عليه الليالي وهو ملتحف
وفدَ الحجاج سلامَ عاطرٍ عبَّ
وفدَ الحجاج .. ألا فتذكروا أبداً
لا تتركوا القبلة الأولى .. ومسجدها
من هاهنا من ظلال البيت طاهرةً
لا، لن نعود وفي أرواحنا وهنٌ

يكاد ينطق بالأخبار موضعه
بالصمت .. يسترجع الأحداث بَلَقَعَهُ
رَبُّ البرية بالغفران يَشْفَعُهُ
مَجْداً لنا غابراً لا بد نُرْجِعُهُ
يشكو .. وكم طال في البلوى تَفْجَعُهُ
أذياناً .. مبدأ التحرير نُزْمِعُهُ
ولن يَضُمَّ خلي البال مَضْجَعُهُ^(١)

يا موطناً من عهد إبراهيم لا
بيديه شادَ أجل بيتٍ يُبْتَنَى
تهوي النفوس إليه .. فهي بساحه
وهناك «إسماعيل» قامَ مُلَبَّياً
قمرانٍ من وحي الإله سناهما
رباه .. هذا البيتُ بيتُك خالصاً
أرنا مناسكنا على النهج الذي

يُمحى .. ولا تَعْفُو عليه رياحُ
لله يُغْدِي نَحْوَهُ وَيُرَاحُ
لا إثمَ يُرْهَقُهَا ولا أتراحُ
وكلاهما بدعائه ملحاحُ
خُلِقَ أبرُّ .. وعِفَّةٌ وسماحُ
ومعالمُ التوحيد فيه صراحُ
يُرضيك عنا .. ليس عنه براحُ

من أرجوزة في الحج للسيد جمال الدين الهاشمي رحمته الله

سارت على اسم الخالق المعبود
سارت تحجَّ الكعبة الغراء

قافلة الإيمان والتوحيد
بحب آل أحمد تلوب

حتَّى قصدنا مكة المكرمة
وحيثما لاحت حدود الحرم

في موكب شاراته محتشمة
واستيقظت منها قلوب النوم

فبادر الـركب إليه مسرعاً
«لبيك إنَّ الحمد والنعمه لك
نخلع عن أجسامنا الثيابا
هي القشور أضحت اللبابا
لتظهر الحقيقه الخفيه
تبعدنا مظاهر الحياه
ما أنا في الحياه إلا بشر
عبد فلا أملك رجلي ويدي
فكلّ آثارى إليه تنسب
ما كنت إلا عدماً لولاه
شغلني عن وعيها التشاغل
تصدّني في وصفها عن واقعي
ربّاه يا ربّاه إنّنا بشر
تجذبنا الظواهر المزبرجه
وحينما أيقظنا الإيمان
«لبيك لبيك فلا شريك لك
أحرمت عن ما ثمن تجرّدا
وهكذا تجرّد الإنسان

وكلّ فرد فيه من شوق دعا:
لبيك إنّ المجد والرحمة لك»
إذ لم تزل لوعينا حجابا
هيا أمطّ عن وعيك النقابا
وتلمس الماهية النوريّة
في زيفها عن الجمال الذاتي
لكلّ ما أحبّ به مفتقر
بل كلّ ما عندي ملك سيّدي
في بعثها عنّي هو المسبّب
أوجدني بأمره الإله
بـعالم لذاته حـبائل
وتستزيد نحوها مطامعي
عن وعي واقع الأمور نقتصر
عن واقع نيرانه مؤجّجه
جنّنا وكلّ ما بنا لسان:
لبيك لبيك فلا مـليك لك»
وصرت عبدا مذ رأيت السيّد
لما طمى في وعيه الإيمان..

الهوامش :

(١) نداء الحق . ديوان شعر لأحمد محمّد الصديق: ١٥٢، ١٥٦.

مهمات مشبوهة في الديار المقدسة (٢)

حسن السعيد

حينما شرع الغرب حركته لوعي الذات، عبر اكتشافه لشروط تكوينها الداخلية، ولتتمخض عما يُعرف بـ «النهضة الأوروبية»... كان هناك ثمّة حركة دائبة لاكتشاف الآخر (الخصم الأكبر)، بغية السيطرة عليه أحياناً، والتلاعب به، بل حتى ضمه وتدميره.

ولم يكن هذا «الآخر» سوى الشرق، الذي أصبح منذ القدم، وبخاصة المشرق الاسلامي معروفاً في الغرب بوصفه نقيض الغرب المتم له^(١).

هناك إذن رؤية فكرية قد تهيأت خاصة خلال حقبة المواجهة، وتحديدًا في القرن الثاني عشر، ثم توسعت وتدققت في القرن الثالث عشر والرابع عشر؛ لتمتد حتى القرن الثامن عشر، وحتى العصر الاستعماري^(٢)، لتتكسّر وتتراكم باطراد حتى تستوطن اللاوعي الغربي، وكأنها حقائق مسلّمة.

وفي القرون اللاحقة، وبخاصة في القرن السادس عشر، الذي شهد ظهور مذهب التجارة في أوروبا الغربية (المتمدنة) و(المتفوقة) و(العقلانية) والتي عدلت

من طبيعة مواجهتها مع «الطرف الآخر»، (المتوحّش) و(المتخلّف) و(الأدنى) منزلة، أُختزل ثراء الحضارة الإسلامية إلى صورة «وضيعة»، وذلك لتبرير الدوافع السياسية والاقتصادية وخدمتها. وبدأ أوروبا الغربيّة، التي لم تعد في حالة دفاع ضد التهديد الإسلامي - على الأقل ليس إلى الدرجة التي سادت خلال العصور الوسطى - بدأت تهتم اهتماماً من نوع جديد بالشرق، وقد أوحى بهذا الاهتمام الروحية الجديدة الناشئة عن مذهب التجارة من جهة، والتنافس السياسي والاقتصادي في الداخل من جهة أخرى»^(٣).

ومع أنّ الاهتمام الأوروبي، ثم الأمريكي، بالشرق كان سياسياً تبعاً لبعض المسارد التاريخية الواضحة التي أوردها «ادوارد سعيد» في كتابه «الاستشراق»، لكن الثقافة كانت هي التي خلقت ذلك الاهتمام، والتي فعلت بحيوية ديناميكية جنباً إلى جنب مع المعقلات السياسية، والعسكرية، والاقتصادية^(٤)...

وإلى جانب هذه التطورات، بدأت مجموعات من التجار والرحالة بالوصول كذلك إلى الشرق لأغراض مختلفة، إذ كان بعضهم مرسلات دبلوماسية أو تجارية، وبعضهم من المغامرين أو من المبشرين بدين آخر، وبينما كان بعض الرحالة والتجار يختلقون الأوهام حول العرب، وهي أوهام سادت في بواكير القرن السابع عشر، كان العلماء منهمكين كذلك في دراسة الأدب والفكر العربيين وترجمتهما إلى الانكليزية... وعلى الرغم من أهمية تلك الدراسات العربية، فإن الاتجاهات الهجوميّة القديمة - الجديدة نحو الإسلام قد طغت على أكثر أعمالهم^(٥). وليس من شك، أن الإسلام لم يصبح رمزاً للرعب، والدمار، والشيطاني، وأفواج من البرابرة الممقوتين، بصورة اعتباطية. فبالنسبة لأوروبا، كان الإسلام رجّة مأساوية دائمة. وحتى نهاية القرن السابع عشر كان «الخطر العثماني» متربصاً بأوروبا ممثلاً بالنسبة للحضارة المسيحية كلها تهديداً دائماً، ومع مرور الزمن امتصت الحضارة الأوروبية هذا الخطر وأحداثه العظيمة، وخبراته الموروثة،

وشخصياته، وفضائله، ورذائله وحوادثه شيئاً منسوجاً في لحمه الحياة الأوروبية^(٦).

وهكذا استقرت صورة الاسلام في الوجدان الشعبي، وظل يُنظر إليه على أنه لا شيء أكثر من ضلالة - أو بدعة - من المسيحية، وكان يُقال عنه أنه «دين السيف»، ويُعبّر عنه باستهزاء بـ «الدين المحمدي» أو (المحمدية). والمسلمون أنفسهم أيضاً لم يسلّموا من سخط المسيحيين في العصور الوسطى، وقد سمّوهم بالكافرين والوثنيين والأعراب والمحمديين^(٧).

وقد أدخل رحالة القرن السابع عشر أيضاً صوراً أخرى عن المسلمين تتعلق بالقرصنة والرق. وقد راجت هذه الصورة شعبياً، من جرّاء كتاب ألفه «جوزيف بيتز»، وصف فيه أسره من قبل قراصنة جزائريين في ١٦٧٨، بينما كان هو ورفاقه يبحرون في الساحل الجزائري^(٨) فمن هو «بيتز»؟ وما هي حكايته؟

جوزيف بيتز:

وجوزيف بيتز هو شاب انكليزي يافع من أهالي أوكسفورد، وقصته طريفة وغير عادية. فقد كان هذا البريطاني - الذي ولد في جنوب غربي البلاد - قد ورث تعلّقاً شديداً بالبحر، وعندما بلغ الخامسة عشرة من عمره التحق بسفينة كانت متوجهة إلى أمريكا عام ١٦٧٨. وفي طريق العودة، على مقربة من الشواطئ الإسبانية، هاجم قراصنة جزائريون السفينة وأسروا أعضاء الطاقم ونقلوهم إلى العاصمة الجزائرية، حيث بيعوا في السوق كعبيد. وكتب «بيتز» عن تلك المرحلة: «اشتراني رجل عاملني بقسوة فائقة، وعلى رغم من أن الجزائريين لم يكثرثوا أبداً بديانة عبيدهم، إلا أن معلمي كان يضربني باستمرار ليَجبرني على تغيير ديني»^(٩).

ونظراً لأن «بيتز» كان يجيد التكلّم بالعربية والتركية فقد أتقن التعامل الإسلامية أكثر من غيره. وكان صاحبه، النقيب في خيالة الجيش الجزائري،

رجلاً مسرفاً منغمساً في الدعارة والفجور، على ما يقول «بيتز»، فصمم على أن يكون سبباً في اعتناق مملوكه الانكليزي الديانة الإسلامية تكفيراً عن آثامه وخطاياهم. فاستعمل الضرب والشدة معه حتى نطق بالشهادة، لكنه بقي خلال وقته كله الذي قضاه في بلاد الاسلام والمسلمين يعبر عن سخطه ودخيلة نفسه المجبولة على المسيحية في شتى الظروف والمناسبات^(١٠).

وبعد فترة، بيع «بيتز» إلى رجل آخر في الجزائر، قدمه هدية إلى أخيه في تونس... فمكث هناك ٣٠ يوماً، تعرّف خلالها إلى القنصل البريطاني الذي وعد بمساعدته، وبعد أن قرر معلمه أنه لم يعد في حاجة إليه، أعيد «بيتز» إلى الجزائر، على رغم من أن القنصل البريطاني وتاجرين بريطانيين حاولوا شراء حريته، وقدّموا ٣٠٠ دولار إلى صاحبه. إلا أن التونسي أصّر على مبلغ ٥٠٠ دولار استحالة على البريطانيين جمعه.

عندما وصل «بيتز» إلى الجزائر وعلم أنه سيرد إلى معلمه الأول انهار بالبكاء. كانت حياته، في تلك الفترة، صعبة للغاية إلا أنه مضى وقتاً طويلاً يتقن اللغتين العربية والتركية... وصار يلجأ في ساعات فراغه إلى المساجد، يدوّن الملاحظات الدقيقة حول المراسم المحيطة به، والصلوات، وكلمات الإمام، وتعاليم القرآن. وتقول زهرة فريث وفيكتور وينستون في كتابهما: «مستكشفون في الجزيرة العربية» عن بيتز: «نظراً إلى حداثة سنّه، وعلى رغم من أنه أُجبر على تغيير دينه، إلا أن «بيتز» حاول جدياً فهم العقيدة وتقديمها بموضوعية»^(١١).

على أن هذه الأحكام بحاجة إلى اثباتات، لذا فإنها لا تعدو كونها ادعاءات. ومما يدل على ذلك أن الرحالة بورتون المعروف بانحياز الواضح إلى رسالة الرجل الأبيض، وإلى بريطانيته خاصة، ورغم ذلك اعترف بأن كتابة بيتز تتصف بالتعصب الأعمى رغم خلوها من الخرافات أو الأشياء التي لا تُصدق^(١٢). وكمثال على مدى تحامل بيتز على المسلمين الصاقيه بهم العديد من الرذائل،

والتي ساهم هو نفسه في ترويحها عن المسلمين في الأوساط الغربية . ثم تغاضيه عن الأسلوب المتسامح معه ، من قبل الآخرين ، خاصة بعدما تغيرت حاله أثر اعدام معلمه الأول ، لمشاركته في تنظيم تمرد ضد الحاكم ، فباعته زوجة هذا الأخير إلى شخص جديد متقدم في السن ، عامله بلطف وطلب منه أن يرافقه في رحلة الحج إلى مكة المكرمة .

الرحلة إلى الحج

قام بيتز برفقة سيده بالحج إلى مكة والمدينة ، أواخر القرن السابع عشر^(١٣) ثم تمكن من الفرار ، ونشر قصة رحلته تلك في بريطانيا سنة ١٧٠٤م ، وهي قصة يصحح بها بعض الأخطاء والمبالغات الموجودة في الكتب المعاصرة له ، وأروع ما في الرحلة وصفه للقافلة واعدادها^(١٤) .

واجتذب الكتاب وعنوانه «وصف أمين لديانة وأخلاق المحمدين» اهتماماً كبيراً ، لأن كاتبه عبد مسيحي ، وفيه يعزّز روايات العبيد المسيحيين في الدول (البربرية) ، الجزائر وتونس وطرابلس ، فضلاً عن ذلك فإن أهميته تعود أيضاً إلى أن «بيتز» كان من أوائل الانكليز الذين دخلوا شبه الجزيرة العربية ووصفوا شعبها ، والأماكن المقدسة ، ومراسم الحج وشعائر العبادة في مكة ، وقد زار بيتز كذلك قبر النبي ﷺ ، ونفى حكاية أن القبر معلق في الهواء ، بفعل قوة أحجار مغناطيسية^(١٥) .

بدأت رحلة بيتز وسيده بمصر ، وعندما وصلا إلى الاسكندرية أصيب المعلم بمرض شديد حتى ظن أن نهايته اقتربت ، فأعطى الشاب البريطاني جزاماً فيه كيس من الذهب ورسالة كانت ستسلم إليه في مكة المكرمة ، يعلن فيها صاحبه عن اطلاق سراحه . إلا أن الرجل استعاد عافيته وظل «بيتز» في خدمته ، وتابعا طريقهما إلى القاهرة حيث مكثا فترة من الزمن لتجميع المواد اللازمة للمرحلة الثانية من الرحلة . وكان «بيتز» يدوّن ملاحظاته عن المدينة وأهلها^(١٦) .

على أن «بيتز» في وصفه لمصر وخليط السكان فيها (من أتراك ويهود ويونانيين وأقباط) كان أول من روج شعبياً صورة جديداً جداً، ألا وهي صورة البغاء... وعلى أية حال، فإن تجارب بيتز وتصويره للعرب كقراصنة وشحاذين ولصوص ومشتغلين بتجارة الرقيق والبقاء كانت رائجة في انكلترا في نهاية القرن السابع عشر. ولا بد من التأكيد هنا أن إشارات «بيتز» إلى العرب لم تكن واضحة جداً أبداً؛ فهو يدعوهم أحياناً جزائريين أو بربراً أو عرباً، ويشير إليهم أحياناً كأتراك ومصريين. وأحسن دليل على عدم وضوحه وصفه المشوش للبقاء^(١٧).

يمضي «بيتز» في وصف قافلة الحجاج، وهو ينتقل بمعية سيده من القاهرة إلى السويس، ومنها أبحرا إلى مرفأ صغير بين ينبع وجدة، واستخدما الجمال مجدداً للوصول إلى مكة المكرمة. ودامت اقامتهما هناك شهرين، وكان «بيتز» يرافق معلمه كل يوم، في جولة حول المدينة، ويسجل في ذهنه صور المباني وعادات الأهالي والطقوس الدينية. وكان الجهد الذي بذله لتسجيل كل هذه التفاصيل مميزاً، وكذلك عندما دوّنهما في كتابه الشهير^(١٨):

مكة كما يصفها بيتز

كتب جوزيف بيتز مذكرات تفصيلية عن سفرته إلى مكة، وصف فيها البلدة وأماكنها، كما وصف المسجد الحرام والكعبة ومناسك الحج كلها، وليس من الممكن بطبيعة الحال أن نورد هنا جميع ما كتب عن ذلك، وإنما نورد نماذج منتخبة مما كتب. فهو يقول عن أول وصوله إلى مكة:

«... وحالما وصلنا إلى مكة المكرمة سار بنا الدليل في الشارع الكبير الذي يقع في وسطها، ويؤدي إلى المسجد الحرام (يسميه المعبد)، وبعد أن أنحنا ذلولنا، كان أول ما أخذنا الدليل إليه البركة؛ لنقوم بعملية الوضوء، وعند ذلك جاء بنا إلى الحرم الشريف فخلعنا أحذيتنا، وتركناها عند الكيشوان، ثم دخلنا من باب السلام. وبعد أن سرنا خطوات معدودة، وقف بنا الدليل ورفع يده للدعاء، وأخذ

يرتل بعض الحمل الدينية، فقلده الحجاج وكرروا ما كان يقوله. وما ان وقع نظر الحجاج على بيت الله الحرام (يقصد الكعبة) في الداخل حتى انهمرت الدموع في أعينهم بغزارة، وقادنا الدليل إليه في الوقت الذي كنا ما نزال نكرر ما يقول من الأدعية والجمل الدينية. وقد أعقبنا ذلك بالطواف سبع مرّات من حوله، وبالصلاة ركعتين من بعد ذلك، وبعد الانتهاء من كل هذا أخذنا الدليل إلى الشارع من جديد حيث كان علينا أن نهول أو نركض من مكان في الشارع إلى آخر (بين الصفا والمروة) فنقطع مسافة لا تزيد على رمية سهم. وإني اعترف بأنني لم يكن بوسعي سوى أن أعجب بهؤلاء المساكين الذين يخلصون إلى آخر حد في تأدية مثل هذه (الخرافات)، وأقدّر شعورهم حينما ألاحظ مقدار ما ينتابهم من الرهبة والارتعاش. والحق أنني لم أتمالك نفسي من البكاء وإرسال الدموع حينما رأيت حماسهم المتناهية في العقيدة، برغم ما فيها من وثنية (كذا)، ومع كونهم يؤدونها على العمياء^(١٩)....

أمّا فيما يتعلّق بالحجر الأسود، فلقد كانت لديه فكرة غريبة عنه، مع أنه يبدو وقد طاف حول الكعبة، إذ يقول: «هنالك في إحدى زوايا هذا البيت حجر أسود تُبَتُّ في إطار من الفضة، وكلما اقترب أحد من الزاوية، عليه أن يقبل ذلك الحجر، ويقولون: إن هذا الحجر كان لونه أبيض سابقاً، ولكنه بسبب ذنوب وخطايا الحجاج، الذين يقبلونه تحوّل لونه إلى الأسود». ثم يقول: «إنه لم يعتقد بصحة ذلك التحذير الذي وُجّه إليه. وهو أن الإنسان ربما أصيب بالعمى إذا نظر حوله وهو في البيت الحرام، وهو يقول: إن هذه القصة غير صحيحة، ثم قرر أن ينظر حوله، ولكنه لم يحدّق النظر كثيراً، بل كان يُلقّي نظرة من آن لآخر^(٢٠)».

ويصف «بيتز» مكة فيقول: إنها بلدة تقع في وادٍ غير ذي زرع، أو في وسط عدّة جبال صغيرة. وهي غير عصيمة؛ لأنها ليس لها أسوار ولا أبواب... على أن البلدة محاطة لعدّة أميال بآلاف عدّة من التلال والجبال الصغيرة، التي تتقارب

بعضها إلى بعض حد التقارب. وكلها أحجار صخرية مائلة إلى السواد في لونها... وهناك فوق قمة أحدها غار مشهور يسمى غار حرّاء، كان النبي محمد يعتزل فيه فيستغرق في عبادته وتأملاته وصومه. وقد ذهبت إليه فلم أجد أن يد التجميل قد مسّته مطلقاً، فاعجبت جد الاعجاب بذلك (٢١).

ثم يقدّم لنا «بيتز» انطباعاته حول مكة، فيقول: إنه لم يجد فيها شيئاً مثيراً أو مبهجاً. ولم يعجبه سكان مكة أيضاً (٢٢) فهم فقراء ميالون إلى النحافة والهزال، وسم في لونها (٢٣) ولكنه قضى وقتاً في وصفهم ووصف الحجاج، ثم استرعى انتباهه أولئك المتصوفون (ال دراويش) الذين يعيشون حياة الزهد والتبسك ويسافرون من أدنى البلاد إلى أقصاها كالرهبان المتسولين، وهم يعيشون على صدقات الآخرين، يلبس الواحد منهم قفطاناً أبيض طويلاً وقبعة طويلة بيضاء (مثل بعض فئات الرهبان المسيحيين) وعلى ظهر الواحد منهم جلد ضأن أو ماعز يرقد عليه، وفي يده يحمل عصا طويلة. وهناك كثير من الأتراك يتبعون مثل هذه الحياة (٢٤).

ويقول «بيتز» كذلك: إن مكة كان فيها ماء كثير، لكنها خالية من العشب والزرع إلا في بعض الأماكن. على أنه وجد فيها عدة أنواع من الفواكه ميسورة للناس مثل العنب والبطيخ والرقى والخيار والقرع وما أشبه. وهذه يؤتى بها في العادة من مكان يقع على مسيرة يومين أو ثلاثة، يسمى «حباش» (?) ولعله يقصد بذلك الطائف.

ثم يذكر خلال وصفه للحج ومناسكه أن سلطان مكة (أي الشريف) الذي ينحدر من نسل النبي محمد ﷺ لا يعتقد بأن غيره جدير بتنظيف البيت وتطهيره، ولذلك يقوم هو شخصياً والاثيرون عنده من رجاله بغسله بماء زمزم المقدس، ثم بالماء المطيب المعطر. وحينما يقومون بهذه العملية ترفع السلام التي تؤدي إلى بيت الله، ولذلك يحتشد الناس تحت الباب ليدفع ماء الغسيل عليهم حتى يتبللوا به

من الرأس إلى القدم. ثم تقطع المكائس التي يكنس بها البيت المقدس قطعاً صغيرة، وترمى عليهم فيتلاقفونها، ومن يفز بقطعة منها يحتفظ بها كأثر مقدس لديه (?). ويتطرق بعد ذلك إلى ذكر الكسوة ووصفها كالمعتاد (٢٥).

وأخيراً يصدر حكمه النهائي على تلك المدينة وعلى شعبها فيقول: «مع أن هذا البلد (مكة) يعتبر من الأماكن المقدسة، إلا أنني لا أعتبره مقدساً لكثرة ما فيه من الفسق والانغماس في الملذات. أمّا بالنسبة للأخلاق فهو مساوٍ للقاهرة العظيمة، فهم من الممكن أن يسرقوا الحرم الشريف نفسه (٢٦). وعلى هذا المنوال، ورغم تظاهره بالأمانة العلمية، فإنه يطلق تعميماته الواسعة، التي لا تخلو من الدس والعشوائية.

المدينة المنورة

وبعد أن غادر بيتز مكة المكرمة، طفق يصف تكوين القافلة المتوجهة صوب المدينة المنورة، مع تركيز على بعض التفاصيل التي لا تخلو من تشويه، وبخاصة حينما يتحدث عن الأخطار التي واجهها الحجاج، بعد دخول الصحراء، وما يتعرضون له من قطاع الطرق البدو...

ثم يقول: «وبعد اليوم العاشر من هذه الرحلة اليسيرة من مكة ندخل إلى المدينة المنورة. ولكن هذه المدينة صغيرة وفقيرة، ومع ذلك فهي محاطة بسور، وفيها مسجد عظيم، ولكنه ليس عظيماً كمسجد مكة» (٢٧).

وعن سور المدينة المنورة ومسجدها يعتقد «بيتز» أن هذا السور قد بُني ما بين سنتي ١٥٠٣ - ١٦٨٠ م. وفي زاوية من زوايا المسجد بناء يشغل خمس عشرة خطوة مربعة، فيه شبابيك كبيرة مشبكة بال نحاس الأصفر. وفي داخله بعض المصاييح المعلقة والأعلاق النفيسة. وليس هناك ذلك العدد الكبير من المصاييح الذي كتب بعضهم يقول: إنها تبلغ ثلاثة آلاف في عددها. وفي وسط هذا المكان يوجد قبر محمد، وهنا يتجاوز على النبي الأعظم ويسميه (دعيّاً). ثم يصف

الستائر، ويشير إلى ما كان يتردد في هذا الشأن من الخرافة، التي تقول: إن الحدث الطاهر يشاهد وهو في تابوته معلقاً بين السقف والأرض. ويشير إلى البقعة المعدة للمسيح عيسى بن مريم، ثم يقول: إن المدينة تزود بجميع ما تحتاجه من الحبشة الكائنة في الجهة المقابلة من البحر الأحمر^(٢٨).

بقي أن نعلم، أن «جوزيف بيتز» قد اعتقه سيده الجزائري وأخلى سبيله، وبذا وفي بوعده وأطلق سراحه، عند نهاية زيارتهما لمكة المكرمة^(٢٩) لكنه بقي يعيش مع سيده ويخدمه لقاء اجور حتى عاد إلى الجزائر.

الهروب... والعودة

أمضى «بيتز» بعض الوقت في الجزائر، وعند ذاك أخذ يفكر في الهرب والعودة إلى بلاده الأصلية. فاستطاع التسلل إلى سفينة من السفن المتوجهة إلى استانبول، بعد أن أخذ معه كتاب توصية من المستر «بيكر» القنصل الانكليزي في الجزائر يومذاك إلى قنصل انكلترا في أزمير المستر «ري». ومع أن الحنين إلى الجزائر قد عاوده في أزمير، وصار يفكر في العودة واستئناف الحياة فيها كرجل مسلم، فقد استقل باخرة فرنسية متوجهة إلى ليغهورن في إيطاليا، بعد أن دفع ثمن التذكرة عنه تاجر انكليزي كان يقيم في أزمير يدعى المستر «أيليوت». ومما يدل على مقدار تعصب «بيتز» للمسيحية واحتفاظه بعقيدته فيها، رغم جميع ما أصابه من تقلبات، أنه ما كادت رجله تطأ الأرض في ليغهورن حتى خرّ ساجداً عليها وقبلها عدة مرات، وهو يشكر الله على عودته إلى ديار النصرانية، بعد هذه الغيبة الطويلة عنها^(٣٠). ثم عاد إلى موطنه. ولما وصل إلى لندن، ومنها إلى منزل والده في جنوبي غربي البلاد، بعد غياب دام خمس عشرة سنة، كان عمره ٣١ عاماً^(٣١).

وحالما استقرّ هناك، وقع تحت قبضة رجال الصحافة، بيد أنه كان محظوظاً - كما يقول - لأن أصدقاءه ومعارفه أنقذوه من هذه الورطة. وبعد ذلك استقرّ في مدينة اكستر. وفي عام ١٧٠٤م نشر قصته وما رآه

ومارسه من تجارب ، ولكن هذه القصص لم تصبح جزءاً من التراث الشعبي في الغرب بالنسبة إلى بلاد العرب ، وقد نسيها معظم الخبراء^(٣٢) فقد أصبحت معرفة أحوال تلك البلاد متوافرة ، وطغت على تلك القصص ، ومع ذلك فلا شك في أن صراحة تلك المعلومات ساعدت على تفهم الشعب البريطاني والغرب لتلك الشؤون العربيّة ، التي كانت تتسم بها تلك البلاد في تلك الأيام . فالمدن والقفار التي وصفها لم يكن من السهل للرحالة الأوروبي العادي الوصول إليها . إذ كانت تلك المناطق أماكن مغلقة بالنسبة للغرب بسبب (التعصب) الديني - على حد زعم الكاتب الغربي بيتز برينت - وسلطة الامبراطورية العثمانية ، ولهذا نرى أن قصة «جوزيف بيتز» البسيطة الصريحة يجب أن تكون قد ظهرت ولمعت بضوء سحري لا يقل روعة عن قصص مانديفيل Mandeille الخرافيّة عن البلدان التي تحكمها الوحوش .

ما تجدر الإشارة إليه أن الرحالة البريطاني «رتشارد بورتون» قد أعاد نشر مذكرات بيتز هذا ضمن ملاحق رحلته المشهورة : «الحج إلى المدينة ومكة» (١٨٥٥ - ١٨٥٦) (٣٣) .

وتكمن أهميّة رحلة بيتز في أنها أول محاولة قام بها انكليزي ، تتضمن وصفاً مفصلاً عن مدينة مكة المكرمة وموسم الحج ، وعلى وصف أيضاً لمدينة الجزائر وضواحيها ولدينتي الاسكندرية والقاهرة .

هل كانت هناك مهمّة سرّية؟

ومهما قيل حول الرحلة من إطراء ، وخاصة في الغرب وفي الأجواء المتأثرة به^(٣٤) ، فإن ذلك لا يقلل من أهمية علامات الاستفهام المثارة حول الكثير ممّا ورد في الرحلة ، من معلومات أو انطباعات . فإضافة إلى ما تقدّم من تحفّظات ، وردت في ثنايا الحديث ، لا نعدم من يشكك في صحة بعض المعلومات التي ذكرها «بيتز» ، إن لم يكذبها ، وهذا الباحث البريطاني «بيتز برينت» يؤكّد أن بعضاً من كلام

«بيتز» هو «قول مبني على الرغبة لا على الحقيقة، إن لم يكن كاذباً زائفاً رياءياً» (٣٥).

وعلى طريقة: «شهد شاهد من أهلها»، فإن انطباعاً سلبياً يقفز لدى كل منصف بيتغي الحقيقة والموضوعية، حينما يطالع عنوان كتاب بيتز: «وصف أمين لديانة وأخلاق المحمدين». فالأمانة قد خانت هذا الأوروبي المسكون بهواجس العبودية والأسر، في الكثير من محطات الكتاب، ثم إن إطلاق اسم المحمدين على المسلمين هو في الواقع تسمية خاطئة وتشبيه خاطئ بالمسيحيين والمسيحية. إن النبي محمد ﷺ لم يزعم لنفسه الألوهية بل ولا حتى موهبة العلم بالغيب أو صنع المعجزات. على العكس فقد جزم طيلة حياته وباطراد أنه إنسان فان. لذا فإن اسم الدين بالنسبة لمعتنقيه هو الإسلام لا المحمدية، والمؤمن برسالة محمد ﷺ لا يسمي نفسه محمدياً بل مسلماً (٣٦).

وفي هذا السياق، فإن من الواضح - والفاضح معاً - انتهاء آراء بيتز إلى عالم التحيز، الذي كان سائداً، وما يزال، في الوسط الغربي حيال الشرق، والمشرق الاسلامي بالذات، وعلى حد قول ادوارد سعيد؛ كان كل رحالة أو مقيم أوروبي في الشرق، وما يزال، مضطراً إلى أن يحمي نفسه من تأثيرات الشرق المقلقة (٣٧).

وهذا ما يدعونا إلى طرح تساؤل خطير: هل كان الكتاب من وحي أفكار بيتز الخاصة؟ وتتأني أهمية هذا التساؤل حينما نعلم أن «بيتز» عاش في أسر العبودية منذ كان عمره ١٥ سنة، فكيف تسنى له تثقيف نفسه واعدادها، خاصة وأنه عانى حقبة مريرة من المعاناة والاضطهاد من سيده الأول الذي اتسم بالفظاظة والعريضة، كما يعترف «بيتز» نفسه...؟!.

وبعبارة أخرى؛ لو تلقى «بيتز»، كغيره من معظم الرحالة الذين جابوا المشرق الاسلامي، الحد الأدنى من أسلحة المعرفة المطلوبة لكل ذي مهمة خطيرة، كاختراق الديار المقدسة في الحجاز، لكانت محاولته أمراً طبيعياً وغير



ملفت للانتباه، باعتبارها تأتي ضمن سياقاتها الموضوعية، أمّا أن يُقدم شاب لم يتلقَ أيّ نصيب في مدارج المعرفة، وكلّ مألديه من زاد أنه كان مولعاً بالمغامرة والأسفار فقط، فكيف أقدم على تسجيل وقائع تجربته، حتى إنه «لم ينسَ أي شيء، في تلك الظروف التي أحاطت به، فهو يتذكر الحجوم والأطوال والأرقام وعدد الأبواب والبوابات ويلاحظ الدوامات والجريان أثناء الطواف حول الكعبة» كما يقول «برينت»؟ (٣٨).

إن قراءة واعية لما بين السطور المتقدمة تقودنا إلى التوجّس من هذا الاهتمام الدقيق الذي أبداه «بيتز»، ممّا يشير إلى أن هناك احتمالاً كبيراً وراجحاً بوجود مهمة مكلف بها من جهة معينة، تحرص على سبر غور الديار المقدّسة التي كانت مغلقة بوجه دوائر الغرب.

ولا يطول بنا المقام، لكي نوجه أصابع الاتهام صوب القنصل البريطاني في الجزائر «بيكر» الذي ساهم في عملية تهريبه إلى أوروبا عبر أزمير. وهذا التكليف لم يكن مستغرباً أبداً، وهناك عشرات الأدلّة على شواهد مماثلة.

وما يعزّز هذا التشكيك أن «بيتز» نفسه قد أشار في مقدمة رحلته إلى ملاحظة، وكأنه يدفع تهمة عنه إذ يقول: «قد يظهر للبعض أنني وقح في وضع هذا الكتاب الصغير.. وأنا لا أدعي أن لدي القدرات المطلوبة من شخص لكتابة تاريخ كهذا»، ولكنه يضيف قائلاً: إنه «يملك أفضل المؤهلات فيما يتعلّق بالحقيقة» (٣٩).

ولسنا ندري ما هي تلك المؤهلات التي كان يتمتع بها «بيتز»، اللهم إلا أنه ظل وفيّاً حتى آخر لحظة إلى نصرانيته وبريطانيته، وربما يشير، من طرف خفي، إلى مهمته الموكولة إليه، ولم يكن بيتز بدعاً في هذا الأمر بل هو الدفعة الثابته التي طبعت جلّ الجهود الغربية، إن لم يكن كلها قاطبة، في هذا الاتجاه. بما فيها حركة الاستشراق التي تباغت ردهاً طويلاً من الزمن بالعلميّة المجردة والمنهجية العارية. وهذا ما دعا ادوارد سعيد إلى توجيه الاتهام القوي إلى الاستشراق، ولم يكتف

بالتأكيد على وصف المستشرق بأنه وكيل لحكومته ليس واضح الدلالة فحسب، بل هو مذهل كذلك: «يمكن اعتبار المستشرق كوكيل خاص لدولة غربيّة عند محاولتها تطبيق سياسة معيّنة حيال المشرق. إنّ أي رحالة أوروبي متعلم (أو ليس كذلك تماماً) يتجوّل في المشرق يشعر بأنه رجل غربي نموذجي قد سبر غور ما هو غامض من الأمور»^(٤٠).

على أنه لا يمكن فهم دور بيتز وأضرابه فهماً واضحاً من دون فهم خلفيّة المرحلة أو طبيعة الظرف التي كان يتحرّك فيها أو اللاحقة لها، ومع أن هذا خارج نطاق البحث، إلا أن الإشارة السريعة إليه أمر ذو أهمية، خاصة فيما يتعلق بقضية التوغّل الغربي في ديار المشرق الإسلامي، وداخل شبه الجزيرة العربية تحديداً.

ما بعد بيتز

بعد «بيتز» قامت عدّة بعثات بالتوغّل داخل شبه الجزيرة العربيّة، وجميعها انحصرت تقريباً في الجنوب الغربي، وأشهرها بعثة الرجلين الفرنسيين «وي لاجر بلودير» و«باربير». ولكن بعد مغادرتهم المنطقة أتت فترة يمكننا أن نسميها نهاية تلك الفترة الطوعية للاستكشافات في شبه الجزيرة العربيّة. وباستثناء «فارتيا»... لم يُعرف عن ذهاب أي شخص إلى بلاد العرب رغبةً في معرفة شيء عن تلك المنطقة، أو ذلك الشعب، فقد كانوا يأتون بالقوة كعبيد أو عن طريق الدبلوماسية أو التجارة. ولم يحدث أن اهتموا بما حولهم وكتبوا شيئاً عمّا رأوه، ذلك لأن اهتماماتهم العامة بما حولهم لم تكن إلاّ عملاً إضافياً يزيد على نواياهم الخاصة، فلم يكن سفرهم إلى تلك البلاد لتحليل المجتمع الذي يسكنها، ولكن بعد ذلك حدث التغيير، ابتداءً من منتصف القرن الثامن عشر فصاعداً، وعلى الأقل حتى الحرب العالمية الأولى، أصبح جميع أولئك الذين كتبوا بشكل فعّال عن جزيرة العرب يفعلون ذلك لإعطاء وصف لها، لأن هذا الوصف من عملهم الخاص^(٤١). وعليه، فإننا نستطيع القول أن حقبة كلّ من «فارتيا» و«بيتز» كانت تمثّل

مرحلة التوثب الاستعماري، لتلحقها بعد فترة وجيزة مرحلة التوسّع الاستعماري، التي حددها «برينت» ما بين منتصف القرن الثامن عشر وحتى الحرب العالمية الأولى.

والدليل على ذلك أن البعثات الغربيّة قد تقاطرت على المنطقة بشكل مكثّف ومثير للدهشة. وإلى هذا أشار المستر هوغارث، حينما لخصّ أسماء الأوروبيين الذين زاروا الأراضي المقدسة إذ قال: «إن قائمة الأوروبيين الذين زاروا مكّة هي قائمة طويلة في الحقيقة. فمنهم الايطاليون مثل: فارتيا وفيناتي، والألمان مثل: فايلدوستيزن وفون مالتزان، والانكليز مثل: بيتز وبورتون وكين، والسويسريون مثل: بوخارت، والأسبان مثل: باديا، والسويد مثل والين، والهولنديون مثل هورغونيه، والفرنسيون مثل كوتر نلمونت.

وإلى جانب هؤلاء، هناك عدد من المحاربين والمغامرين، وقد سمع الرحالة نيبور بجراح فرنسي تمكن من الدخول إلى الأراضي المقدسة، وبرجلين انكليزيين أيضاً. وطرق سمع الرحالة «دوتي» أن عدداً من الإفرنج دخلوا إليها كذلك، وصادف هو بالذات رجلاً ايطالياً يسمّي نفسه فراري كان في طريقه إلى مكّة المكرّمة مع قافلة الحج الايرانية. ووجد جوزيف بيتز رجلاً ايرلندياً في المدينة، كما يقول الرحالة مالتزان أن ليون روش القنصل الفرنسي في تونس حجّ إلى مكّة وزار المدينة، وكذلك فعل رجل من البحارة الانكليز. هذا فضلاً عن عدد من الأوروبيين المشاركة مثل اليونان»^(٤٢).

ولا ريب في أن هذه القائمة للنماذج المعروفة، وما خفي أعظم، لم يكن همّ أصحابها الاستجمام أو المغامرة، بل هناك مهمّات خطيرة قد أوكلت إليهم، في ظلّ تنافسٍ محموم كانت تتسابق إليه دوائر الغرب بحثاً عن موطئ قدم في هذا الشرق، الذي أريد له أن يبرز تحت السيطرة الاستعمارية. وعلى هذا الأساس، فإن الرحالة الذي رأيناه خلال القرنين السادس عشر

والسابع عشر، قد اختفى وحلّ محله المستكشف الذي مهما بلغ به حبّ المغامرة والجرأة، إلا أنه يرى ويعدّ وصف تلك البلاد جزءاً من مهمته الأصلية، وذلك بأن يكتب وصفاً دقيقاً لما رآه ومارسه، وما قاساه أحياناً في تلك البلاد^(٤٣).

ونستطيع أن نقول بإيجاز: إنه في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر، كانت قد توفرت لدى الغربيين المعلومات الأساسية عن شبه جزيرة العرب: عن المدينتين المقدستين، واليمن، والبدو.

كما أن من الواضح أن «دي فارتيا» وحده كان، حتى هذا التاريخ، هو الرائد، أما الآخرون فلم يكونوا سوى روّاد مصادفة.

ومنذ القرن الثامن عشر بدأ في تاريخ الريادة إلى شبه جزيرة العرب ما يمكن أن يسمّى بالريادة الحقيقية، بكلّ ما في الكلمة من معنى، وروّاد هذه الفترة أهدافهم متعددة متباينة، فبعضهم أغراضهم سياسية، وبعضهم الآخر هم من عشاق المغامرات^(٤٤) بيد أن صراع الإرادات الذي احتدم في الشرق بشكل عنيف، منذ أو أن وطأت سنابك خيوك نابليون باحات الأزهر، قد وظّف جميع تلك الأغراض في بوتقة واحدة؛ لاخترق الشرق وتدجينه... واستلابه.

الهوامش:

- (١) للمزيد من الاطلاع على هذه النقطة، يُراجع كتاب «الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء» لادوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط. ٢، بيروت، ١٩٨٤.
- (٢) هشام جعيط: «أوروبا والإسلام»، ترجمة طلائع عتريسي، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢٠.
- (٣) د. خضر حلمي ساري: «صورة العرب في الصحافة البريطانية»، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٨، ص: ٢٧-٢٨.

- (٤) د. ادوارد سعيد؛ المرجع السابق: ٤٦.
- (٥) بشيء من التصرف عن كتاب «صورة العرب في الصحافة البريطانية»؛ م. س: ٢٨، ٣٠.
- (٦) الاستشراق؛ م. س: ٨٩.
- (٧) بربارا براون: «نظرة عن قرب في المسيحية»، ترجمة مناف حسين الياسري، نشر توحيد، طهران، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، ص: ٨٦.
- (٨) صورة العرب في الصحافة البريطانية؛ م. س: ٣١.
- (٩) مقال: «سيرة «عبد اوروي» في بلاد المسلمين في القرن الثامن عشر» لرلى الزين، المنشور في صحيفة الحياة (لندن) - العدد (١١٠١٦)، الصادر بتاريخ ١١ نيسان (ابريل) ١٩٩٣ م - ١٩ شوال ١٤١٣ هـ. ومن الواضح أن ثمة سهواً قد وقع في عنوان المقال، حول التاريخ والصحيح هو «في القرن السابع عشر» وليس «الثامن عشر» كما سترى من خلال البحث.
- (١٠) جعفر الخليلي: «موسوعة العتبات المقدسة: قسم مكة» ٢: ٢٥٥ (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط. ٢، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).
- (١١) Zahra dickson Freeth and H.V.F Winstone, Explorers of Arabia from the Rennaissance to the End of Victorian Era (london; Boston: Allen and Unwin; New York: Holmes and Meier, 1978).
- (١٢) موسوعة العتبات المقدسة؛ م. س: ٢٥٥.
- (١٣) لم تحدد المراجع بالضبط سنة الرحلة، ولكنها حدثت، على ما يبدو، عام ١٦٩٢ م، بدليل أنه عاد مباشرة إلى بلاده، فيما استغرقت مدة غريته عنها حوالي ١٥ سنة.
- (١٤) د. محمود السمرة: «مراجعات حول العروبة والاسلام واوروبا»، كتاب العربي (٤) الكويت، ١٩٨٤ م، ص: ١٢٠.
- (١٥) صورة العرب في الصحافة البريطانية؛ م. س: ٣١.
- (١٦) صحيفة الحياة؛ م. س.
- (١٧) صورة العرب في الصحافة البريطانية؛ م. س: ٣٢.
- (١٨) صحيفة الحياة؛ م. س.
- (١٩) موسوعة العتبات المقدسة؛ م. س: ٢٥٦.
- (٢٠) بيتر برينت: «بلاد العرب القاصية: رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب» ترجمة خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، دار قتيبة، بيروت/دمشق، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، ص: ٧٨.
- (٢١) موسوعة العتبات المقدسة؛ م. س: ٢٥٦ - ٢٥٧.
- (٢٢) بلاد العرب القاصية؛ م. س.
- (٢٣) موسوعة العتبات المقدسة؛ م. س.

- (٢٤) بلاد العرب القاصية؛ م . س .
- (٢٥) موسوعة العتبات المقدسة؛ م . س .
- (٢٦) بلاد العرب القاصية؛ م . س : ٧٩ .
- (٢٧) المرجع نفسه : ٨٠ .
- (٢٨) موسوعة العتبات المقدسة : «قسم المدينة» - ٣ : ٢٤٠ .
- (٢٩) صحيفة الحياة؛ م . س .
- (٣٠) موسوعة العتبات المقدسة - ٢ : ٢٥٥ .
- (٣١) صحيفة الحياة؛ م . س .
- (٣٢) ورغم ذلك ، فإن الكتب القديمة ما تزال تثير اهتمام هواة الجمع ، وقد بيع كتاب جوزيف بيتر ، في لندن عام ١٩٩٣ ، بمبلغ وصل ٢٢٥٠ جنيه استرلينياً ، في حين قُدِّرَ ثمنه بين ٣٠٠ - ٤٠٠ جنيه استرليني ، وقد تنافست على شراء طبعته الأولى (١٧٠٤م) ثلاث مؤسسات تتعامل بالكتب القديمة ، وبعد مزادات عدّة حصلت مؤسسة «فوليو» على الكتاب .
- (٣٣) قام برتون برحلته عام ١٨٥٣م ، وعند عودته نشر كتاباً تحت هذا العنوان :
- Barton Richard E _ Pilgrimage to Al Madina & Meccah.
- (٣٤) للأسف ، نجد أن الكثير يأخذ كلام المستشرقين والرحالة حول الشرق أخذ المسلمات ، دون وعي لما ينطوي عليه كلامهم من دس وافتراء تارة وتشويه مقصود أحياناً أخرى .
- (٣٥) بلاد العرب القاصية؛ م . س .
- (٣٦) صورة العرب في الصحافة البريطانية؛ م . س : ٤٧ (هامش ١٠٧) .
- (٣٧) الاستشراق؛ م . س : ١٨٢ .
- (٣٨) بلاد العرب القاصية؛ م . س : ٧٩ .
- (٣٩) صحيفة الحياة؛ م . س .
- (٤٠) صورة العرب في الصحافة البريطانية؛ م . س : ٣٤ (هامش ٦٠) .
- (٤١) بلاد العرب القاصية؛ م . س : ٨١ .
- (٤٢) موسوعة العتبات المقدسة؛ ٣ : ٢٤١ .
- (٤٣) بلاد العرب القاصية : ٨١ .
- (٤٤) مراجعات حول العروبة والإسلام وأوروبا؛ م . س : ١٢٠ .

من الآيات البينات: مقام إبراهيم ﷺ

محَمَّد هَادِي الْيُوسُفِي الْغُرُوي

وصف المقام

«لقد وجدنا حجر مقام إبراهيم الخليل ﷺ مُثَبَّتاً فوق قاعدة صغيرة من الرّخام المرمر، بقدر قياس نفس المقام الشريف طولاً وعرضاً، وأما ارتفاعها فتلاثة عشر سنتيمتراً. وأما مقام إبراهيم ﷺ: فهو حجر لونه ما بين الحمرة إلى الصفرة بل أقرب إلى البياض، يشبه المكعب، ارتفاعه عشرون سنتيمتراً، وطول كل ضلع من أضلاعه الثلاثة من جهة سطحه ستة وثلاثون سنتيمتراً بزيادة سنتيمين في الضلع الرابع، فحيطه ١٤٦ سنتيمتراً.. وهو ملبّس بفضة خالصة لا يظهر منه إلّا معالم وهيئة القدمين، واضحة بيّنة لم تتغيّر ولم تتبدّل: طول كلّ واحدة من القدمين ٢٧ سم، وعرضهما ١٤ سم من أعلى. وعمق إحداها ١٠ سم والثانية ٩ سم. وطولهما في عمقهما ٢٢ سم وعرضهما ١١ سم. وبينهما فاصل نحو ١ سم. وأما موضع العقبين فلا يتّضح إلّا لمن تأمل ودقّق النظر. وأما أثر أصابع القدمين فقد انمحي من مسح الناس له بأيديهم في طول الزمن»^(١) أما اليوم فهو في مقصورة

زجاجة عليها قبة صغيرة كرؤوس المنائر.

وقد جاء البياض فيه فيما رواه العياشي السمرقندي في تفسيره عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ثلاثة أحجار نزلت من الجنة: حجر بني إسرائيل، ومقام إبراهيم عليه السلام والحجر الأسود، وكان أشدّ بياضاً من القراطيس فاسودّ من خطايا بني آدم^(٢). مع ما رواه الصدوق في «علل الشرائع» بسنده عن ابن أبي يعفور قال: إن الصادق عليه السلام ذكر الحجر فقال: لقد كان أشدّ بياضاً من اللبن: ثمّ قال: أما إنَّ المقام كان بتلك المنزلة^(٣).

ووردت الحمرة فيه فيما رواه القطب الراوندي في «قصص الأنبياء»: أن آدم عليه السلام لما أمر ببناء البيت ناداه جبل أبي قُبَيْس: يا آدم؛ إنَّ لك عندي وديعة، فدفع إليه الحجر والمقام، وهما يومئذٍ ياقوتتان حمراوان^(٤).

وخبر الصدوق معتبر موثوق مسند مؤيّد بخبر العياشي، ولا تعارضهما مرفوعة القطب الراوندي، ولا مرفوعة الصدوق فيه عن وهب بن منبّه اليماني (عن ابن عباس) أنه ذكر الركن (الحجر الأسود) والمقام فقال: إنهما ياقوتتان من ياقوت الجنة، أنزلا فوضعا على الصفا فأضاء نورهما لأهل الأرض ما بين المشرق والمغرب^(٥).

ولا مرفوعة الطبرسي في «مجمع البيان» عن عبد الله بن عمرو (ابن العاص) عنه عليه السلام قال: الركن (الحجر الأسود) والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمس الله نورهما، ولولا أن الله طمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب^(٦) وهي بعكس السابقة في الاشراف. **كيف وُصف بأنه آية بيّنة؟**

إذا كان حجر المقام من حجر الجنة فهو آية بالمعنى العام، من دون أن يكون آية خاصة ولا سيما أن يكون آية بيّنة، وإثما ذلك لما رواه الكليني في «فروع الكافي» عن علي بن إبراهيم القمي بإسناده عن ابن سنان قال:

سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ • فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم عليه السلام ما هذه الآيات؟

قال عليه السلام: مقام إبراهيم حيث قام على الحجر فأثّرت فيه قدماه، والحجر الأسود، ومنزل إسماعيل (٧).

وخلا تفسير الآية في «تفسير القمي» من هذا الخبر.

وفي تفسيره لقوله سبحانه في سورة الحج: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ قال: لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت أمره الله أن يؤذّن في الناس بالحج، فقال: يا رب، وما يبلغ صوتي؟! فقال الله: أذّن، عليك الأذان وعليّ البلاغ! فارتفع على هذه الصخرة وكانت يومئذٍ ملصقة بالبيت، فارتفعت حتى كانت أطول من الجبال، فأدخل أصبعيه في أذنيه، وأقبل ينادي ويقول ويحوّل وجهه شرقاً وغرباً:

- أيها الناس: كتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق فأجيئوا ربّكم! فأجابه من تحت البحور السبعة ومن بين المشرق والمغرب إلى منقطع التراب من أطراف الأرض كلّها، ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء: لبّيك اللهم لبّيك.

فمن حجّ من يومئذٍ إلى يوم القيامة فهم ممن استجاب الله... يعني نداء إبراهيم على المقام بالحجّ (٨).

ورواه الصدوق في «علل الشرائع» بإسناده عن سليمان بن خالد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: لما أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام: أن «أذّن في الناس بالحجّ» أخذ الحجر... فوضعه بمزاء البيت لاصقاً به بحمال الموضع الذي هو فيه اليوم، ثمّ قام عليه فنادى بأعلى صوته بما أمره الله تعالى به. فلما تكلم بالكلام لم يحتمله الحجر فغرقت رجلاه فيه، فقلع إبراهيم عليه السلام رجله من الحجر قلعا (٩).

خبر آخر في أثر المقام:

رواه القطب الراوندي عن الصدوق أيضاً بسنده عن عُقبة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إن إبراهيم عليه السلام اشتاق إلى إسماعيل فأتاه وقد هلك أمه (هاجر) وأخذت عليه ساره أن لا ينزل حتى يرجع، فلم يوافق إسماعيل فقال لامرأته: أين زوجك؟ قالت: خرج للصيد عافاك الله. فقال لها: كيف أنتم؟ فقالت: صالحون. قال: وكيف حالك؟ قالت: حسنة وبخير. ثم قالت له: إنزل يرحمك الله حتى يأتي. فأبى، فلم تزل به تريد على النزول ويأبى (ولعله عرفها بنفسه) فقالت له: أرى رأسك شعثاً فهل أجعل لك غَسْولاً؟ فجعلت له غَسْولاً ثم أدنت منه حجراً فوضع قدميه عليه فغسلت جانب رأسه، ثم انقلبت (إلى جانبه الآخر فرفع قدمه ووضع) قدمه الأخرى فغسلت الشق الآخر (ولم يأت إسماعيل) فقال لها: إذا جاء زوجك فقولي: جاء شيخ هاهنا وهو يوصيك بعتبة بابك خيراً! ثم سلم عليها (وانصرف راجعاً) وقد بقى أثر قدميه في الحجر).

فلما أقبل إسماعيل وانتهى إلى الثنية وجد ريح أبيه! فقال لها: هل أتاك أحد؟ قالت: نعم، شيخ، وهذا أثر قدميه! فأكب على مقام أبيه يقبله... وفيه: إن إبراهيم كان يأتي من الحيرة إلى مكة كل يوم! وفي خبر آخر فيه عن عبدالرحمان بن الحجاج مثله وفي آخره: قلت: كيف كان ذلك؟! قال عليه السلام: طويت له الأرض ^(١٠). ولم نعر عليهما فيما بأيدينا من كتب الصدوق ابن بابويه.

ورواه الطبرسي في «مجمع البيان» مرفوعاً عن ابن عباس، ثم قال: وقد روى هذه القصة بعينها علي بن إبراهيم القمي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبان عن الصادق عليه السلام ^(١١) وكذلك لم نعر عليه في تفسير القمي ولا سائر أخباره، والقطب الراوندي (ت ٥٧٣هـ) متعاقب للطبرسي (ت ٥٤٨هـ) وإنما رواه القطب عن الصدوق بإسناده عن ابن أبي عمير عن أبان عن عُقبة عن الصادق عليه السلام، فلعله كان عن القمي عن أبيه عن ابن أبي عمير، وعليه فالطريق واحد، فالخبر واحد. ومُفاد

الخبر متأخر زماناً عن الأخبار السابقة، فإنها أفادت أن الأثر في الحجر كان عند نداء إبراهيم للحجّ ثم حجّ مع ابنه إسماعيل وقربه للذبح وهو غلام لم يتزوج بعد، وأمّه هاجر موجودة، وفي هذا الخبر أن إبراهيم عليه السلام أتاه وقد هلك أمّه هاجر. فأثر قدمي إبراهيم عليه السلام في الحجر كان سابقاً قبل سفره هذا، وتأثير قدميه اليوم تحصيل للحاصل الباطل.

وفي الخبر من الاستبعاد المضاعف - غير ما مرّ - أن إبراهيم عليه السلام كان يأتي كلّ يوم إلى مكة من الحيرة! ولا يشفع له الخبر الآخر عن عبدالرحمان بن الحجاج، فهو لا يرفع الاستبعاد عن أسفاره كلّ يوم بل إنما عن سفرة واحدة؛ فلا يقول: كانت تطوى له الأرض، بل: طويت له الأرض، تعقيباً لقوله: إن إبراهيم عليه السلام استأذن سارة أن يزور إسماعيل بمكة. ولو كانت أسفاره متكررة فلم لم تعرفه امرأة ابنه إلا أنه شيخ، كما في الخبر؟! ثم إن لم تعرفه فكيف عرضت عليه أن تغسل رأسه وسوغ لها ذلك ولم يستنكره منها؟!

والحيرة كلّ الحيرة في الحيرة في الخبر؟ إذ لم نعهد الحيرة إلا في العراق، ولم نعهد إبراهيم يومئذٍ إلا في الشام فأين الحيرة؟! فكل هذا الاستبعاد يبعدنا عن التصديق بهذا الخبر بإزاء الأخبار السابقة الموثوقة.

وهل تغير موضعه ومحلّه؟

روى الكليني في «فروع الكافي» والصدوق في «كتاب من لا يحضره الفقيه» بإسنادهما عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: موضع المقام الذي وضعه إبراهيم عليه السلام عند جدار البيت، فلم يزل هناك حتى حوّلته أهل الجاهلية إلى المكان الذي هو فيه اليوم. فلما فتح النبي ﷺ مكة رده إلى الموضع الذي وضعه فيه إبراهيم عليه السلام، فلم يزل هناك إلى أن ولي عمر بن الخطاب، فسأل الناس: من منكم يعرف المكان الذي كان فيه المقام؟! فقال رجل: أنا، قد كنت أخذت مقداره بنسع (= قيد من جلد) فهو عندي!

فقال: اتتني به، فأتاه به، فقاسه ثم رده إلى ذلك المكان^(١٢).

ومن قبل مرّ في خبره في «علل الشرائع» بإسناده عن سليمان بن خالد عن الصادق عليه السلام قال: أخذ إبراهيم عليه السلام الحجر فوضعه بجذاء البيت لاصقاً به بحيال الموضع الذي هو فيه اليوم. وفي آخره: فلما كثر الناس صاروا إلى الشرّ والبلاء ازدحموا عليه، فرأوا أن يضعوه في هذا الموضع الذي هو فيه اليوم ليخلو المطاف لمن يطوف بالبيت.

فلما بعث الله عزّ وجلّ محمداً صلى الله عليه وآله (وفتح مكة) رده إلى الموضع الذي وضعه فيه إبراهيم عليه السلام، فما زال فيه حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي زمن أبي بكر وأول ولاية عمر، ثم قال عمر: قد ازدحم الناس على هذا المقام، فايكم يعرف موضعه في الجاهلية؟!

فقال له رجل: أنا أخذت قدره بقيدا! فقال له عمر: والقدر عندك؟ قال: نعم، قال: فاتني به، فأمر بالمقام فحُمِلَ ورُدَّ إلى الموضع الذي هو فيه الساعة^(١٣). وفي خبر آخر عنه عليه السلام قال: ما بين باب البيت إلى الركن العراقي هو الموضع الذي كان فيه مقام إبراهيم عليه السلام^(١٤).

وروى ابن إدريس الحلي في «كتاب السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي» عن «كتاب مسائل داود الحضرمي» قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام عن أفضل موضع للصلاة بمكة؟ فقال: عند مقام إبراهيم الأول، فإنه مقام إبراهيم وإسماعيل ومحمد صلى الله عليه وآله^(١٥).

وروى السجستاني في «مسند عائشة» بسند عن هشام بن عروة (عن خالته عائشة) قال: (قالت): كان رسول الله (بعد فتح مكة) يصلي إلى صقع البيت ليس بينه وبين البيت شيء، وأبوبكر، وعمر صدراً من إمارته، ثم إن عمر ردّ الناس إلى المقام^(١٦).

تاريخ النقل ومناسبته:

وقال الإمام مالك في «المدونة الكبرى»: كان المقام ملصقاً بالبيت في عهد

النبي ﷺ وعهد أبي بكر، وبلغني أن عمر بن الخطاب لما ولي وحج ودخل مكة آخر المقام إلى موضعه الذي هو فيه اليوم^(١٧).

وروى الفاكهي (ت ٢٧٢هـ) في «أخبار مكة» بسند عن سعيد بن جبير قال: إنما قام إبراهيم عليه السلام على المقام حين ارتفع البنيان وأراد أن يشرف على البناء (ثم) كان في وجه الكعبة، فلما كثر الناس خشى عمر بن الخطاب أن يطؤوه بأقدامهم فأخرجه إلى موضعه هذا الذي هو به اليوم حذاء موضعه الذي كان به^(١٨).

وروى ابن كثير في تفسيره عن إمام مكة عن سفيان بن عُيينة قال: كان المقام على عهد رسول الله ﷺ في سقع البيت (= لصيقاً به) وبعد نزول قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وبعد النبي ﷺ حوَّله عمر إلى مكانه هذا^(١٩).

وروى ابن حجر في «فتح الباري» في حديث عثمان قال: كان إبراهيم عليه السلام يقوم على المقام يبني عليه... وأخذه فجعله لاصقاً بالبيت^(٢٠).

وروى عبدالرزاق في مصنفه عن مجاهد (عن ابن عباس) قال: أول من أخر المقام إلى موضعه الآن عمر بن الخطاب.

وروى فيه عن ابن جريج عن عطاء (عن ابن عباس) قال: أول من نقله عمر ابن الخطاب^(٢١).

ولم نخبرنا هذه الأخبار عن التاريخ الدقيق لنقل المقام، سوى ما فيها من أنه كان بعد صدر من إمارته أو أول ولاية عمر، ولم تذكر المناسبة.

وروى الأزرقى (ت ٢٤٤هـ) عن التابعي ابن أبي مليكة قال: ذهب السيل به في خلافة عمر، فجعل في وجه الكعبة حتى قدم عمر فردّه؟^(٢٢)

ورواه الفاكهي عن تابعي آخر هو عمرو بن دينار المكي^(٢٣).

وروى الأزرقى عن حبيب بن أبي الأشرش قال: إن سيل أم نهشل احتمل المقام من مكانه... فلما قدم عمر بن الخطاب سأل: من يعلم موضعه؟! فقال المطلب ابن أبي وداعة: أنا يا أمير المؤمنين، قد كنت ذرعت وقدرته بمقاط (= بجبل) من

الحجر إليه ومن الركن إليه ومن وجه الكعبة إليه. فقال عمر: أتت به فجاء به فوضعه في موضعه هذا^(٢٤).

والخبر الأكثر تفصيلاً ما رواه الأزرقي بسنده إلى المطلب بن الحارث السهمي من مسلمة الفتح قال: كانت تدخل السيول المسجد الحرام من باب بني شيبه الكبير حتى كان يقال له باب السيول، فربما دفعت المقام عن موضعه... حتى جاء سيل في خلافة عمر بن الخطاب ذهب بأُمِّ نهشل فسَمِّي بسيل أُمِّ نهشل بنت عبيدة ابن سعيد بن العاص فماتت، واحتمل المقام من موضعه... فذهب به حتى وُجد بأسفل مكة، فأُتي به فربط في وجه الكعبة بأستارها. وكُتب في ذلك إلى عمر، فأقبل عمر فرعاً في شهر رمضان (١٧ أو ١٨ هـ على ما في شفاء الغرام^(٢٥)) أي في الخامسة من خلافته).

فدعا عمر بالناس فقال: أنشد الله عبداً عنده علم في هذا المقام؟ قال المطلب: فقلت: أنا يا أمير المؤمنين عندي ذلك... أخذت قدره من موضعه إلى الركن، ومن موضعه إلى باب الحجر، ومن موضعه إلى زمزم، بمقاط (= جبل) وهو عندي في البيت!

فقال لي عمر: فاجلس عندي، وأرسل إليها، فأُتي بها، فدفّها إلى موضعه هذا وسأل الناس فقالوا: نعم هذا موضعه، فأمر به فأحكم بناء رُبضه (= أساسه) تحته وحوله، فهو في مكانه هذا إلى اليوم^(٢٦).

هذا أكثر خبر تفصيلاً، ويؤرخ النقل بسيل أُمِّ نهشل، ويؤرخه الفاسي في «شفاء الغرام» بالسنة ١٧ أو ١٨ هـ أي في الخامسة من خلافة عمر، أي في أواخر الثلث الأول وأواخر الثلث الثاني من خلافته وليس أوّلها ولا صدرها.

وأنا أرى أفضل حلّ لهذا الإشكال مقال امام المكيين على عهد سفيان بن عيينة على ما نقله عنه ابن كثير في تفسيره عن ابن أبي حاتم عن سفيان قال: وبعد تحويل عمر إياه من موضعه هذا ذهب به السيل، فردّه عمر إليه^(٢٧) فهذا يوفق بين

الأميرين: بين أن يكون قد نقله في أول ولايته أو صدر إمارته وبين أن يكون رده بعد سيل أم نهشل في الخامسة من خلافته سنة ١٧ أو ١٨ كما في «شفاء الغرام». ويؤيده ما مر ذكره عن الإمام مالك في «المدونة الكبرى» حيث قال: كان المقام ملصقاً بالبيت في عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر، وبلغني أن عمر بن الخطاب لما ولي وحج ودخل مكة أحرّ المقام إلى موضعه الذي هو فيه اليوم^(٢٨).

العلة في تحويله من محله:

مرّ خبر الصدوق في «علل الشرائع» عن الصادق عليه السلام بشأن المقام، وكان عنوانه: علة تأثير قدمي إبراهيم عليه السلام في المقام، وعلة تحويل المقام من مكانه إلى حيث هو الساعة. وجاء فيه في علة تحويله من محله قوله عليه السلام: ثم قال عمر: قد ازدحم الناس على هذا المقام^(٢٩) وهذا هو الخبر الوحيد مما بأيدينا في تعليل تحويل المقام من محله.

ومرّ في خبر الفاكهي في «أخبار مكة» عن سعيد بن جبير قال: فلما كثر الناس خشي عمر بن الخطاب أن يطوّوه بأقدامهم فأخرجه إلى موضعه هذا الذي هو به اليوم^(٣٠).

ذكر هذا الخبر سائد بكداش في كتابه في فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه السلام، وقال: ومن هذا الأثر عن ابن جبير أخذ ابن كثير ومن تابعه (ابن حجر) علة تأخير عمر للمقام^(٣١).

وقال: قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) في بيان وجه تأخير عمر للمقام: «وقد كان المقام ملتصقاً بجدار البيت حتى أخره عمر بن الخطاب في إمارته إلى ناحية الشرق؛ بحيث يتمكن الطّواف منه ولا يشوشون على المصلّين عنده بعد الطّواف، فإن الله قد أمرنا بالصلاة عنده»^(٣٢).

قال: وقد تابع المحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) في هذا الموضع من «فتح الباري» تابع ابن كثير متابعة تامة، فذكر كلامه وأدلتّه، ولم يصرّح باسمه، وصاغ

علة تأخير عمر للمقام بما يلي:

قال: «وكان عمر رأى أن إبقاءه يلزمه التضيق على الطائفين أو المصلين، فوضعه في مكان يرتفع به الحرج، وتهيأ له ذلك... ولم تنكر الصحابة فعل عمر» (٣٣). وعلق عليه يقول: وهذا يفيد أن موضع المقام الحالي هو اجتهاد من سيدنا عمر بسبب زحمة الطائفين. ثم قال: وتعليل تأخير عمر للمقام بسبب زحمة الطائفين بعيد، فقد حج مع النبي ﷺ أكثر من مئة ألف صحابي، وهو عدد ضخم يجعل المقام قائماً بين الطائفين حتى ولو طاف منهم العشر أو أقل بكثير، ومع هذا لم يؤخر النبي المقام (٣٤).

ولعله لهذا لم يذكر سعيد بن جبير ما قاله ابن حجر: ان عمر رأى أن إبقاءه يستلزم التضيق على المصلين والطائفين فرفع الحرج برفعه، بل قال: لما كثرت الناس خشى عمر بن الخطاب أن يطؤوه بأقدامهم فأخرجه من موضعه إلى حيث هو اليوم.

وما حكم استلام المقام؟

روى الأزرقي عن ابن عباس قال: لما نزل آدم ﷺ نزل بين الركن والمقام، وفي تلك الليلة أنزل إلى جانبه الركن والمقام، فلما أصبح ورآهما عرفهما فضمهما إليه (٣٥). وفيه عنه قال: إن الركن الأسود والمقام جوهرتان من جواهر الجنة، ولولا ما مسهما من أهل الشرك ما مسهما ذو عاهة إلا شفاه الله (٣٦).

وفيه بسند صحيح قال: لو لا ما مسهما من خطايا بني آدم لأضاء ما بين المشرق والمغرب، وما مسهما من ذي عاهة ولا سقيم إلا شفي (٣٧).

وروا عن أنس بن مالك الأنصاري أن مسح الناس لأثر قدمي إبراهيم ﷺ في المقام كان جارياً على عهده بلا نكير ولا مانع ولا رادع: فقد نقل ابن حجر في «فتح الباري» عن «الموطأ» لابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن أنس قال: رأيت أصابع قدمي إبراهيم وأخصيها في المقام، غير أنه أذهب مسح الناس

بأيديهم (٣٨).

نقل ذلك سائد بكداش في كتابه وقال: يظهر من أثر سيدنا أنس المتقدم عن «الموطأ» أن أثر الأصابع وأخص القدمين كان ظاهراً لتأمله، لكن كاد أن ينمحي بسبب مسح الناس له (٣٩).

وكان النكير على هذا المسح كان بعد ذلك على عهد التابعين: فقد روى الطبري في تفسيره «جامع البيان» في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ عن قتادة قال: إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً مما تكلفتها الأمم قبلها (!؟) ولقد ذكرنا بعض من رأى أثر عقبه وأصابعه فما زالت هذه الأمة يمسخونه حتى اخلولق وانمحي (٤٠).

نقل هذا القول عن قتادة سائد بكداش في كتابه، وقد نقل قبله وبعده عن «مقام إبراهيم» للشيخ محمد طاهر الكردي المكي قال: مما هو جدير بالذكر والالتفات إليه: أن العرب في جاهليتها، مع عبادتهم الأبحار وبالأخص حجارة مكة والحرم، لم يسمع عنهم أن أحداً منهم عبد الحجر الأسود أو المقام، مع عظيم احترامهم لها ومحافظتهم عليها. ولقد تأملنا في سر ذلك وسببه فظهر لنا: أن ذلك كان من عصمة الله تعالى لهما، فإنهما لو عبدا من دون الله في الجاهلية ثم جاء الإسلام بتعظيمهما باستلام الركن الأسود والصلاة خلف المقام، لقال المنافقون وأعداء الإسلام: إن الإسلام أقر احترام بعض الأصنام! وإنه لم يخلص من شائبة الشرك، ولتمسك بعبادتهما من كان يعبدهما من قبل، فلهذا حفظ الله تعالى هذين الحجرين الكريمين من أيام إبراهيم عليه السلام إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله (٤١).

فما هو وجه الشبه الذي أشار إليه قتادة بقوله: لقد تكلفت هذه الأمة شيئاً مما تكلفتها الأمم قبلها؟! ما الذي تكلفتها أمة قبل الإسلام مما يشبه استلام المقام؟! هذا وهو يقول: فما زالت هذه الأمة يمسخونه حتى اخلولق وانمحي أثر عقب إبراهيم وأصابعه، ولم يذكر أي نكير عليه من غيره، فلا أقل من دلالة على عدم

المنع بدون قصد الورود، ولا نقول بالندب. وقد استمر الناس على هذا حتى هذه الأواخر، كما ذكر الشيخ طاهر الكردي المكي قال: لم نشاهد أثراً لأصابع القدمين مطلقاً فقد انمحي من مسح الناس له بأيديهم في طول الزمان^(٤٢).

وهل يتيسر تغيير محلّه للعلّة؟

وأخيراً نشر السماوي إبراهيم مقالاً في مجلة بعنوان: هل المناسب نقل مقام إبراهيم عليه السلام من مكانه؟! قال فيه: دعت الضرورة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أن يبعد المقام عن مكانه بجوار الكعبة إلى مكانه الحالي، وهي: كثرة الناس من الطائفتين وخشيته من أن يطؤوه بأقدامهم. ثم قال: وهذه الضرورة متحققة في عصرنا بل هي اليوم أظهر منها في العهود السابقة، فهي داعية إلى إعادته إلى مكانه السابق للسبب ذاته، أو أنها داعية إلى إبعاده عن الكعبة بجذاء مكانه الحالي في صحن المطاف قرب المسعى.

وحيث إن في تقديمه إلى مكانه السابق قرب الكعبة خشية الزحام عنده فإبعاده أولى؛ إذ المترجح أن المقصود بالمقام هو الحجر لا المكان المعين، والحجر يمكن نقله إلى مكان يحقق المصلحة للعامة، والتيسير على المسلمين... فمن المناسب أن يُعرض على كبار العلماء موضوع تحريك المقام من مكانه الحالي الذي يعرقل حركة سير الطائفتين في مواسم العمرة والحج، إلى مكانه السابق في عهد النبي ﷺ وزمان خليفته أبي بكر، أو نقله إلى آخر صحن المطاف بجذاء مكانه الحالي.

هذا ما قاله واقترحه وعرضه ودعا إليه السماوي إبراهيم بشأن مكان مقام إبراهيم عليه السلام، من خلال مقال في المجلة.

وقد روى الكليني في «روضة الكافي» خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال فيها:

قد عملت الولاية قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله ﷺ متعمدين لخلافه،

ناقضين لعهد، مغيرين لسنّته. ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى موضعها وإلى ما كانت عليه على عهد رسول الله ﷺ لتفرّق عني جُندي حتى أبقى وحدي! ثمّ قال كمثال: أرايتم لو أمرت بمقام إبراهيم ﷺ فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ... إذاً لتفرّقوا عني (٤٣).

ويظهر من هذا الخبر أنه ﷺ كان يرى ما عمله الوالي قبله في ولايته من نقل المقام من مكانه بجوار البيت إلى حيث هو اليوم، عملاً خالف فيه رسول الله ﷺ متعمداً خلافاً ناقضاً لعهد مغيراً لسنّته! وإنما منعه ﷺ أن يحوّل المقام مثلاً إلى موضعه الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ كما كانت على عهد، إنما منعه عن ذلك خشيته أن يتفرّق عنه جنده حتى يبقى وحده بلا ناصر ولا معين على أمر الدين، كما حكى الله تعالى عن لسان هارون اعتذاراً لأخيه موسى ﷺ بعد عودته من ميعات ربّه: ﴿...إني خشيتُ أن تقول فرقتَ بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي﴾ (٤٤).

وعليه، فلا مانع من تحويل المقام إلى موضعه الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ كما كانت على عهد، ويُعمل من الأمر باتخاذ مصلّى على ما قال ﷺ: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم» وكما قال تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلّا وسعها﴾ (٤٥) و﴿إلّا ما آتاه﴾ (٤٦).

الهوامش :

(١) مقام إبراهيم للشيخ محمد طاهر الكردي المكي: ١١٢ - ١١٤ ومشاهدته في سنة ١٣٦٧هـ.

(٢) تفسير العيّاشي ١: ٥٩ ح ٩٢.

(٣) علل الشرائع ٢: ١٣٣ ط. دار الحجّة.

(٤) قصص الأنبياء: ٤٩.

(٥) علل الشرائع ٢: ١٣٢ ومن قبل في أخبار مكة للأزرقي ١: ٢٢٦ وكذلك للفاكمي ١: ٩٤.

(٦) مجمع البيان ١: ٣٨٤، ولم يروه البخاري ولا مسلم وإن رواه علي شريطه البيهقي في سننه ٥: ٧٥، والترمذي ٣: ٢٢٦، وعبدالرزاق في مصنفه ٥: ٣٩، والأزرقي ٢: ٢٩، والفاكمي ١: ٤٤٠، وابن حبان في صحيحه ٩: ٢٤، وابن خزيمة في صحيحه ٤: ٢١٩.

(٧) فروع الكافي ١: ٢٢٧، ولم يذكر الخبر في تفسير القمي للآية، وذكره العياشي في تفسيره ١: ١٨٧.

(٨) تفسير القمي ٢: ٨٣، بلا إسناد إلى حجة معصوم، وسبقه الأزرقي (ت ٢٤٤هـ) في أخبار مكة ٢: ٣٠ عن أبي سعيد الخدري عن عبدالله بن سلام، والفاكمي (ت ٢٧٢هـ) ١: ٤٤٨ عن مجاهد عن ابن عباس: أن حجر المقام لما صعد عليه إبراهيم عليه السلام للأذان بالحج تطاول حتى كان كأطول جبل من الجبال، فنادى: يا أيها الناس أجيئوا ربكم.

ورواه عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ) في المصنف ٥: ٩٧، والمحب الطبري (ت ٦٩٤هـ) في القرى لقاصد أم القرى: ٦٠، وابن حجر (ت ٨٥٢هـ) في فتح الباري ٦: ٦٠٤ بحديث عثمان قال: لما فرغ إبراهيم من بناء الكعبة جاء جبرئيل فأراه المناسك كلها فقام إبراهيم على المقام فقال: يا أيها الناس أجيئوا ربكم، ورواها السيوطي في الدر المنثور ١: ١١٩ بل وجل المفسرين للآية ٢٧ من سورة الحج: «وأذن في الناس بالحج». فيما روى البخاري في صحيحه ٦: ٣٩٨ عن ابن عباس عنه عليه السلام قال: جعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وإسماعيل يناوله الحجر. وروى الأزرقي في أخبار مكة ٢: ٣٢ عن ابن عباس أيضاً قال: فلما ارتفع البناء وشق على الشيخ تناوله قرب له إسماعيل هذا الحجر فكان يقوم عليه ويبني ويحوّله في نواحي البيت حتى انتهى إلى وجه البيت... فذلك مقام إبراهيم.

وروى هاتين الروايتين عن ابن عباس سائد بكداش في كتابه في فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم: ٩٤، ٩٥، وفي ٩٦ و٩٩ قال: ولا مانع من تكرر صعوده على المقام للبناء وللنداء.

وقد مرّ خبر القمي: أن الصعود على المقام كان للبناء لا للبناء، وأنه ارتفع حتى كان أطول من الجبال كذلك للبناء، كما اشتهر عند مؤرخي مكة المتأخرين: أن المقام تطاول وعلا في السماء للبناء، وأقدم من ذكره أبو حيان التوحيدي (ت ٧٤٥هـ) في تفسيره البحر المحيط ٣: ٧ كما في كتاب سائد بكداش: ٩٧.

(٩) علل الشرائع ٢: ١٢٨.

(١٠) قصص الأنبياء: ١١١، ١١٢.

(١١) مجمع البيان ١: ٣٨٤، وهو ما حكاه الطوسي في التبيان ١: ٤٥٣ عن السدي، والطبري في جامع البيان ١: ٥٣٧، ثم الفخر الرازي في تفسيره ٤: ٥٣ ثم القرطبي في تفسيره ٢: ١١٣، ثم ابن كثير في تفسيره ١: ١٦٩، وذكر تضعيف سعيد بن جبّير للخبر.

(١٢) فروع الكافي ٤: ٢٢٣ ح ٢، وكتاب من لا يحضره الفقيه ٢: ١٥٨ ح ١٢.

- (١٣) علل الشرائع ٢: ١٢٨.
- (١٤) بحار الأنوار ٩٩: ٢٣١.
- (١٥) كتاب السرائر.
- (١٦) مسند عائشة: ٨٢ ح ٧٣، وانظر أخبار مكة للأزرقي ٢: ٣٠، والفاكهي ١: ٤٤٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٥: ٧٥، وابن حجر في فتح الباري ٨: ١٦٩.
- (١٧) تحفة المحتاج لابن حجر ٤: ٩٢ عن المدونة الكبرى للإمام مالك.
- (١٨) أخبار مكة للفاكهي ١: ٤٥٤.
- (١٩) تفسير ابن كثير ١: ١٧٠.
- (٢٠) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٦: ٤٠٦.
- (٢١) المصنّف لعبد الرزاق ٥: ٤٨ ونقله ابن حجر في فتح الباري وصحّحه ٨: ١٦٩، وروى مثله البخاري في صحيحه والبيهقي في السنن بإسناد صحيح.
- (٢٢) أخبار مكة للأزرقي ٢: ٣٥.
- (٢٣) أخبار مكة للفاكهي ١: ٤٤٥.
- (٢٤) أخبار مكة للأزرقي ٢: ٣٥.
- (٢٥) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسي ١: ٢٠٩.
- (٢٦) أخبار مكة للأزرقي ٢: ٣٣.
- (٢٧) تفسير ابن كثير ١: ١٧٠، البقرة: ١٢٥.
- (٢٨) تحفة المحتاج لابن حجر ٤: ٩٢ عن المدونة الكبرى.
- (٢٩) علل الشرائع ٢: ١٢٨.
- (٣٠) أخبار مكة للفاكهي ١: ٤٥٤.
- (٣١) فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم ﷺ لسائد بكداش: ١١٧.
- (٣٢) تفسير ابن كثير ١: ٣٨٤.
- (٣٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٨: ١٦٩.
- (٣٤) فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم، سائد بكداش: ١١٩.
- (٣٥) أخبار مكة للأزرقي ١: ٣٢٥.
- (٣٦) أخبار مكة للأزرقي ١: ٣٢٢ و ٢: ٢٩ وهي مرفوعة.
- (٣٧) أخبار مكة للأزرقي ٢: ٢٩، والنووي في المجموع ٨: ٣٦، وقال: اسناده صحيح. ورواه البيهقي في السنن ٥: ٧٥.
- (٣٨) فتح الباري ٨: ١٦٩.
- (٣٩) فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم، سائد بكداش: ١٠١.

(٤٠) جامع البيان ١: ٥٣٧، وأراه نقله عن الأزرق في أخبار مكة ٢: ٢٩ ونقله ابن حجر في فتح الباري ٨: ١٦٩ ولم ينكره.

(٤١) مقام إبراهيم للكردي: ١٠٧، وعنه في سائد بكداش: ٥٣ و ١٣٢.

(٤٢) مقام إبراهيم للكردي: ١١٣.

(٤٣) روضة الكافي: ٥١ ط. النجف الأشرف.

(٤٤) طه: ٩٤.

(٤٥) البقرة: ٢٨٦.

(٤٦) الطلاق: ٧.

لقاء وحوار

على هامش مؤتمر أهل البيت عليه السلام المنعقد في طهران بتاريخ ٥/شوال/١٤١٨، أجرى محسن الأسدي عضو الهيئة العلمية لتحرير مجلة ميقات الحج لقاءات مع بعض ضيوف المؤتمر حول الحج وما يتعلق به. إدارة التحرير

سماحة السيد محمد باقر
الحكيم

* كيف يمكننا التعرف على نظرة
أهل البيت عليه السلام لفريضة الحج ولكيفية
أدائها، وما هي وصاياهم في خصوص
ذلك؟

● يمكن أن نفهم بصورة إجمالية
نظرة أهل البيت عليه السلام إلى فريضة الحج

وكيفية أدائها من خلال تصويرهم
لطبيعة هذه الفريضة وأهدافها
وأغراضها العامة، وذلك من خلال
النقاط التالية:

الأولى: إن الحج هو عبارة عن
وفادة على الله تعالى وقصد وزيارة له
من خلال زيارة بيته المحرم، وتلبية
لنداء الله تعالى الذي أطلقه إبراهيم عليه السلام

كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾، ولذا كان أول عمل يؤديه الحاج هو التلبية التي ينعقد بها إحرامه.

وهذا يمكن أن نفهم الحج بأنه ركن من أركان تكامل الإنسان في مسيرته إلى الله تعالى وقصده إليه، ويتحقق ذلك كما ذكر أهل البيت عليهم السلام من خلال «استخراج الأموال وتعب الأبدان وحظرها عن الشهوات والملذات». وفي التذلل لله تعالى والتواضع لعباده وإذلال الجبايرة والطغاة، ومعرفة الإنسان لحاله وهويته عندما يخرج من كل مظاهر الدنيا وزينتها ويقف إلى صف سائر بني البشر على صعيد واحد.

الثانية: الطريق إلى الغفران
والخروج من كل ما اقتترف من الذنوب، والتوبة إلى الله تعالى والإنابة، حيث يرجع بعد الحج وقد غفرت له ذنوبه فأصبح كيوم ولدته أمه، فيكون أمامه استئناف العمل الجديد والبدء بصفحة جديدة من حياته يستفيد فيها من التجارب السابقة ومن الرؤية

الواضحة ومن الإرادة والعزم الجديد. فقد قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «حقّ الحج أن تعلم أنه وفادة إلى ربك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك».

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «علة الحج الوفادة إلى الله تعالى وطلب الزيادة، والخروج من كل ما اقتترف، وليكون تائباً مما مضى مستأنفاً لما يستقبل».

الثالثة: اختبار الإنسان في طاعته
لله تعالى ووفائه بعهده وميثاقه، وقد وصف ذلك الإمام علي عليه السلام هذا الجانب في خطبة له، حيث قال عليه السلام - على ما ورد -: «ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم صلوات الله عليه إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً، ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض... إلى آخر الوصف للبيت والظروف القاسية المحيطة به، وكذلك الحال الذي يكون عليه الحاج من التذلل ونزع الثياب والزينة... ابتلاءً

وغيرها من الأعمال والنشاطات الاقتصادية كلها منافع للناس.

فقد سأل هشام بن الحكم الإمام الصادق عليه السلام عن علة الحج عليه السلام : - علي ما روي عنه - «... وأمرهم ونهاهم ما يكون من أمر الطاعة في الدين ومصلحتهم من أمر دنياهم، فجعل فيه الاجتماع من المشرق والمغرب؛ ليتعارفوا وليتربح كل قوم من التجارات من بلد إلى بلد، وليستفيع بذلك المكاري والجمال».

ولابد من الالتفات هنا إلى أن هذه المنافع إنما هي في حاشية الحج ولا يصح للحاج أن يكون قصده من الحج التجارة والتكسب، بل يجوز له ذلك عندما يقصد الله تعالى ويعمل بطاعته.

الخامسة: التعرف على آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومواطن ذكريات الإسلام الأولى من نزول الوحي ومشاهد الجهاد في سبيل الله، والأعمال العظيمة ومواقع الحوادث التي ذكرها القرآن الكريم وقارنت سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتلاوته لآيات الله وإبلاغها، وتزكيته للأمة وتعليمهم

عظيماً، وامتحاناً شديداً، واختباراً مبيناً، وتمحيصاً بليغاً، جعله الله سبباً لرحمته، ووصلة إلى جنته...».

الرابعة: ما يحققه الحج من منافع للناس كما ذكر القرآن الكريم ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾.

وقد ذكر أهل البيت عليهم السلام منافع عديدة للناس:

١ - التعارف والتآلف والمحبة والمودة والمشاركة في الهموم والتصورات، فهو يمثل وحدتهم وقوتهم واصطفافهم أمام عدوهم، والنصرة لأوليائهم من المؤمنين والمسلمين، والبراءة من أعدائهم المشركين والمنافقين.

٢ - ابتغاء الفضل من الله تعالى في تبادل التجارات والبيع والشراء، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك أيضاً في قوله تعالى ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾، حيث فُسرَ الفضل هنا بالرزق الذي يأتي عن طريق التجارة.

٣ - المنافع التي يحصل عليها الفقراء والعمال وأهل المكاسب من خلال هذه العبادة، فالأضاحي والنقل والكسب

للكتاب والحكمة، لتكون دواعي التأسي والاعتداء به أعظم وأبلغ.

ولذلك جعل الإمام الصادق عليه السلام هذا الفرض من علل الحج «ولتعرف آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وتعرف أخباره ويذكر ولا ينسى».

ولا زال المسلمون يتطلعون إلى هذه الذكريات والمواقع عندما يقرأون القرآن، ويتحدثون بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وأعماله، ويفتشون عن غار حراء وثور ودار الأرقم ومواقع شجرة الرضوان وبدر وأحد والخندق، وأسطوانة التوبة ومسجد قبا ومحراب رسول الله صلى الله عليه وآله وغيرها من المواضع.

ويشعر الإنسان بالحزن والأسى - بل المقت أحياناً - عندما يجد هذا الإهمال أو الإغفاء لهذه الآثار والمواقع تحت دعاوى واجتهادات خاصة، ونظرة ضيقة متحجرة ما أنزل الله بها من سلطان ولا دلّ عليها دليل أو برهان.

السادسة: التفقه في الدين والاستزادة من المعرفة من خلال نقل الأخبار والأحاديث، والاطلاع على العلم والأحكام الشرعية؛ حيث كان

أصحاب الأئمة في عصورهم يبذلون جهوداً كبيرة في الحج من أجل الحصول على أكبر قدر ممكن من العلوم الدينية، وكذلك لا بدّ للمؤمنين من أن يبذلوا جهوداً كبيرة؛ للحصول على هذه العلوم من خلال لقاء العلماء والمجتهدين أهل المعرفة والثقافة الإسلامية الأصلية حيث تكون فرصة الحج فرصة ثمينة وغالية، لا سيما لأهل البلاد النائية أو التي يقل وجود العلماء أو يصعب الوصول إليهم فيها.

وقد طبق أهل البيت عليهم السلام آية النفر في أحد مصاديقها على الحج، فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام في بيان علل الحج قوله: «مع ما فيه من التفقه ونقل أخبار الأئمة عليهم السلام إلى كل صقع وناحية، كما قال الله عز وجل ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ وكما قال ﴿وليشهدوا منافع لهم﴾ فجعل ذلك من المنافع أيضاً.

وقد كان أهل بعض البلاد الإسلامية (مثل جزيرة جاوه) يعدّون الحاج إلى

بيت الله عزوجل من أهل العلم بعد أدائه للحج لما يمثل الحج ولأهمية هذه الفريضة.

السابعة: لقاء الإمام وولاية الأمر الشرعيين أو نوابهم وتجديد العهد والميثاق معهم، والتعبير عن البيعة والولاء والارتباط بهم، وقد ورد الأمر بزيارة النبي ﷺ والأئمة في البقيع باعتبار أن ذلك من كمال الحج وقامه، كما أن لقاء الإمام والارتباط به وبالقيادة الدينية السياسية النائية هو من تمام الحج وكماله.

فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «تمام الحج لقاء الإمام».

وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «أتموا برسول الله حجكم إذا خرجتم إلى بيت الله فإن تركه جفاء، وبذلك أمرتم، وأتموا بالقبور التي ألزمكم الله عزوجل حقها وزيارتها، واطلبوا الرزق عندها».

وورد عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً: «إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها، ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم».

إن هذه النقاط التي تتحدث عن أهداف الحج توضح الطريق في أداء هذه الفريضة، والوصايا التي لا بد للإنسان أن يلتزم بها في هذا الأداء.

✽ إنشاء الأبنية السكنية وغيرها في منى وعرفة... أمر قد تكون له أهميته، فهل هناك مانع عنه من الناحية الشرعية؟ نأمل الحصول على توضيح من سماحتكم.

● لا يوجد في الأساس مانع شرعي من إنشاء الأبنية في هذه الأماكن من المشاعر المقدسة (عرفات والمشرع الحرام ومنى) ولكن لا بد من أن يؤخذ بنظر الاعتبار في إنشاء هذه الأبنية الأمور التالية التي تكوّن الصورة النظرية حول هذا الموضوع وهو ما يشخصه ولي أمر المسلمين فيها:

الأول: أن لا يؤدي بناء هذه الأماكن إلى تعطيل طبيعة هذه الأماكن في كونها مشاعر أعدها الله تعالى لأداء فريضة الحج لكل المسلمين، أو إلى تغيير هويتها، أو عرقلة أداء المسلمين للواجبات المذكورة.

الثاني: أن يكون الهدف من هذه

الأبنية هو تحقيق الأمن والسلامة، وتسهيل أداء هذه الشعائر لعامة الحجاج فإن ذلك من أهم الواجبات، التي يتحمل مسؤوليتها ولاية أمرها والمسؤولون عن إدارتها.

الثالث: توفير الحد المعقول من الراحة والاستقرار للحجاج بحيث لا يتحول الحج - الذي بني على شيء من النصب والتعب والمشقة والتذلل لله تعالى والتعارف بين المسلمين على صعيد واحد - إلى عمل يشبه الأعمال السياحية وأسفار الراحة والدعة والأنس.

وبتعبير آخر أن لا يؤدي ذلك إلى تعطيل أهداف الحج وأغراضه الإسلامية المستنبطة من الكتاب الكريم والسنة الشريفة، التي أشرنا إليها؛ لأن الحج من الأركان التي بني عليها الإسلام، وله أغراض واضحة لا بد من المحافظة عليها في جميع مراحل أعماله ومناسكه.

* تتردد هذه الأيام دعوات عبر بعض المجالات حول تغيير مقام إبراهيم عليه السلام ونقله إما خارج المطاف

منعاً للزحام وإما إلصاقه حيث موضعه السابق عند جدار الكعبة، فما هو رأي سماحتكم في ذلك؟

● هذا الموضوع من القضايا التي طرحت مرات عديدة للبحث والنظر، ومنها البحث الذي تناوله المؤتمر الإسلامي المنعقد بمكة سنة ١٣٨٥ للهجرة، وقد كنت مشاركاً في ذلك البحث، وكان الرأي السائد في المؤتمر حينذاك هو إبقاء مقام إبراهيم في مكانه، ورفع البناء الذي كان قد أقيم عليه تسهيلاً للطواف، ولا زلت أعتقد أن هذا هو الرأي الصحيح في معالجة هذا الموضوع؛ لأنه:

أولاً: إن وجود المقام في وضعه الفعلي لا يولد مشكلة للطائفتين تتجاوز المشاكل التي يواجهها الحاج عادة في عمل الحج، الذي بُني بالأساس على الكثير من المشقة والتعب «إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم»، وهذا الادعاء هو الذي يتذرع به القائلون بنقله.

ثانياً: إن نقل المقام إلى أي مكان في

خامساً: إن وجود هذا المقام في هذا المحل شيء تلقيناه بالضرورة من عهد الصحابة بلا شك فهو أمر شرعي لا شك فيه ولا شبهة، وما يذكر من حديث نقله إنما هو رواية لا ترقى إلى درجة الاطمئنان فضلاً عن القطع واليقين، فلا يصح الركون إليها في مثل هذه الأمور الخطيرة.

وإذا كان النقل قد وقع حقيقة فهذا يعني أنه أمر قد عرفه الصحابة من أيام رسول الله وأخذوا جوازه منه، وإلا لاختلفوا فيه إذا كان لمجرد الاجتهاد كما نراه في الأمور الأخرى الاجتهادية التي حدثت بعد رسول الله، فلا يصح النقل الآن لمجرد الاجتهاد.

الدكتور أحمد عبدالمجيد

حمود - استراليا

الدكتور عضو المجمع العالمي لأهل البيت وله مؤلفات عديدة منها:
- الإمام جعفر الصادق عليه السلام رجل العلم والسياسة.
- دراسة حول مشايخ الكليني في كتاب الكافي.

المسجد الحرام الأصلي سوف يكون سبباً للمشكلة ذاتها في أيام الحج وغيرها من مواسم الازدحام إن لم تكن المشكلة عندئذٍ أعظم، ما لم يتم نقله إلى خارج المطاف، وبذلك يكون إلغاءً لدور المقام الذي أكدته القرآن الكريم بالصلاة عنده كجزءٍ من شعائر الحج.

ثالثاً: إن التصرف بمثل هذه الأمور، التي كان لها هذا القدر من الثبات والأصالة في تاريخنا يفتح الباب واسعاً أمام الاجتهادات والوقوع في تجاوزات خطيرة لا يعلم مداها إلا الله تعالى.

رابعاً: إن هذا العمل يؤدي إلى وقوع الاختلاف بين المسلمين، وقد وضع الله تعالى الحج من أجل أن يكون تجسيداً ومظهراً لوحدة المسلمين وتعاونهم، وقد كان من نعم الله العظيمة على المسلمين أن كانت شعائر الحج ومناسكه ومواضعه مما اتفق المسلمون على أركانه وأعماله العامة؛ لوجود النصوص المشتركة المتفق بينهم عليها ومنها الرواية التي يرويها الإمام الباقر عن جابر بن عبد الله الأنصاري في حج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي يرويها الفريقان.

- موقع النساء في الإسلام - باللغة الانكليزية -.

- نأمل أن يصدر له قريباً كتاب «الطاعة والثورة في فكر الإمام الحسين السياسي».

* ما هي نسبة المسلمين بالنسبة إلى مجموع سكان بلادكم؟ وما هي المقاطعات التي يتواجدون فيها؟ وهل هناك مؤسسات أو جمعيات تمثلهم وترعاهم وتحفظ لهم قيمهم وآدابهم؟ وما هي تلك الأنشطة التي تتحرك فيها مثل تلك المؤسسات أو الجمعيات؟

● إن المسلمين في استراليا - لمن دواعي الفخر - جيدون في تنظيمهم وعملهم، وهم منتشرون في أرجاء القارة الإسترالية، لقد بنوا المساجد، حتى بلغ عدد المساجد في استراليا اليوم أكثر من مائة مسجد، وقد بدأوا في إنشاء المدارس، ويعدّ الدين الإسلامي ثاني أكبر دين في استراليا، والمسلمون محترمون في الدولة، ولهم علاقات جيدة في جميع ولايات استراليا، ويتحركون بحرية من خلال مؤسساتهم، وجمعياتهم ومراكزهم،

ويقيمون صلاة الجمعة، والأعياد، في مسجد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في مدينة سيدني لإخواننا أهل السنة، فتضم صلاة الجمعة الآلاف من المصلين في مسجد الإمام. أمّا في صلاة العيدين فيبلغ عدد المصلين أكثر من ثلاثين ألف مصلٍ ومصلية. وكذلك تقام صلاة الجمعة في مركز الزهراء الإسلامي في مسجد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وفي باقي المساجد في جميع القارة الإسترالية، وهم في حالة نمو وتطور، وظهر في مدينة سيدني حديثاً مركز أهل البيت الإسلامي الإسترالي، ومركز الإمام الحسين عليه السلام. ويدرسون الإسلام في المدارس الحكومية، ويعمل المسلمون الآن على شراء إذاعة لتبث ٢٤ ساعة الثقافة الإسلامية.

* كلنا يعرف أن للحج آثاراً تربوية ومعنوية، فلو تفضلتم علينا بذكر بعض هذه الآثار.

● إن من أهم هذه الآثار التربوية والمعنوية أنك تعيش مع رحاب الله، وتذكرنا في يوم اللقاء مع الله، وتثبت في النفس روح الإيمان، وتدلنا على

طريق الله، وعلى آيات الله في خلقه على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، ويوضح لنا الحج قوة المسلمين من خلال اجتماعهم في هذا المكان، والمساواة بينهم، وتقوي عرى الإسلام.

* نحن نعرف أن للحج دوراً عظيماً في تقريب أبناء المذاهب الإسلامية بعضهم من بعض، وبالتالي له الدور العظيم أيضاً في وحدة المسلمين، فهلا تفضل الدكتور العزيز بالحديث عن ذلك الدور؟

● إن الحج هو مؤتمر الله الأكبر في الأرض - أنا لا أفهم كيف يتفرق المسلمون وكلهم ينادون لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ أنا لا أفهم كيف يتفرق المسلمون وهم جميعاً يصرخون، ليبيك اللهم ليبيك ...

لقد أعلنها رسول الله ﷺ صرخة مدوية إلى يوم الدين: «من تعصب ليس منا» فهذا أخطر إنذار لكل من يفرق المسلمين، وأكبر عامل لتوحيد كلمة المسلمين - فعلى العلماء الأعلام والمفكرين الإسلاميين، وأغني بهؤلاء العلماء والمفكرين من كل مذهب،

هؤلاء الذين سما بهم الفكر إلى أن يسبحوا في بحار العلم والمعرفة، وارتق بهم القلم والفكر إلى السماء العلى عليهم أن يجعلوا من الحج أكبر مناسبة لهم لتوحيد كلمة المسلمين، والذي يخرج عن دائرة الوحدة فهو جاهل. فعلى أي أساس لا تتوحد المذاهب؟ ولماذا لا تتوحد؟

فهل الله دعا إلى الفرقة، أم إلى الوحدة؟ وهل دعا الله إلى رص الصفوف وجعلها كالبنيان المرصوص أم إلى التجزئة؟! فعلى ماذا الاختلاف؟ وهل الله إلا واحد يجب الوحدة؟

* الذي أعنتقه أن أصحاب المذاهب الإسلامية وتابعيها لهم كامل الحق والحرية في أداء مناسك الحج والزيارة على ضوء ما تراه مذاهبهم، وليس لمذهب أن يكره الآخرين على اتباع آرائه، فما هو رأيكم في ذلك؟

● إذا كان الله عز وجل لم يكره أحداً على عبادته، فكيف يمكن لك أن تكرهني على ما لا أحب أو أكرهك على ما لا تحب. إن الحرية في المعتقد هي جزء من حرية الإنسان، ومناسك

الحج هي مناسك الله، ومناسك الحج مشرعة من الله. وهي ممّا أنعمه الله علينا. فللمناسك واحدة، والنعمة من الله لكلّ المسلمين واحدة فعلام الإكراه؟

* كما تعلمون أن هناك اختلافات

في آراء الفقهاء حول مسائل الحج، فما هي الطرق الكفيلة لحلّها؟

● أنا أو من بالحوار، وبالفكر، فإنّ كلّ ما في الكون له حلّ في الإسلام؟ فعلى الفقهاء أن يدعوا إلى مؤتمر يتبادلون فيه وجهات النظر حول هذه الآراء ويوفقون بإذن الله إلى حلّها.

* كلّ مثقف يعرف ما للآثار الإسلامية في مكّة والمدينة من أهمية تستدعي حفظها والعناية بها، فهل تفضل الاستاذ الكريم بإفادتنا حول ذلك؟!

● إن الآثار الإسلامية في مكّة والمدينة بل في أي موقع في الأرض لها آثارها الروحية على المسلمين؛ لأنها بمثابة الدروس والعبر للمسلم. إن كلّ الدول المتحضرة تحافظ على آثارها؛ لأنها جزء من حضارتها. ونحن المسلمين حضارتنا قد أثرت حضارات

البشرية جمعاء، فنحن أولى من كلّ حضارة بحفظ آثارنا الإسلامية والعناية بها؛ لأنها أحد المصادر الإسلامية، التي يأخذ منها المسلمون ويعتمدون عليها في حفظ تراثهم.

* حريق منى الذي لم يكن هو الأول وقد لا يكون الأخير - معاذ الله - ما هو رأيكم في الطرق الكفيلة للحيلولة دون تكراره مستقبلاً؟

● أن يجتمع أهل الخبرة من مخططي المدن، والمهندسين، من أهل الخبرة في التخطيط، وتقدير الهندسة اللازمة في ضرب الخيام وتوزيعها بشكل إذا شب الحريق لا سمح الله، أن لا يمتد الحريق إلى أماكن أخرى.

وعلى الحاج أن يكون واعياً وحذراً في منى؛ لأن المؤمن حذر. ونسأل الله عزّ وجلّ أن يدفع المكروه عن حجاج بيت الله الحرام، وأن يعيدهم إلى أهلهم سالمين غانمين بحج مبرور وسعي مشكور. * ما هي وصاياكم لزائري بيت الله الحرام؟

● أول وصية هي: فهم معاني الحج، وما هي أبعاد مضامين الحج؛ لأن

الحج هو جامع لكل معاني الحياة، لأن الحاج إذا فهم أبعاد فلسفة الحج فإنه يشعر بالسعادة، وبأنه أدى هذه الفريضة كما أمره الله.

والوصية الثانية : أن يتحلى الحاج بالأخلاق العظيمة، وأن لا ينسى جاره وأصدقائه وأخوانه سواءً أكان ذلك في سيره أو في ركوبه أو في صلاته.

والوصية الثالثة : أن يدعو الله أن يتقبل من حجاج بيت الله، وأن يدعو للمسلمين حاضرهم وغائبهم، وأن يدعو الله ليوحد الأمة الإسلامية، وينشر دينه في مشارق الأرض ومغاربها.

الدكتور الدمرداش

العقالي - مصر

* آيات الحج في القرآن الكريم متعددة، ما نتمناه من الدكتور - بعد شكرنا - هو أن يوجز لنا حديثاً عن بعضها. وعن الحج باعتباره العروة الوثقى الموصلة بين المسلمين والرابطة لهم ببيت رب العالمين والمظهرة لجامعتهم والمؤكد

لبراءتهم من أعدائهم.

● إن فريضة الحج ويأتي ترتيبها في سياق آيات سورة البقرة بعد الصلاة والصيام والحج إشارة إلى أنها يكتمل بها الدين، ويعز بها اليقين، ولذلك فإن الله تعالى أحاطها بمقدمات قليل من تفتن إليها، هذه المقدمات أن الله تعالى جعل الحج أشهراً معلومات فقال عز شأنه ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج﴾ المقدمة الأولى هي التهيؤ للحج بدءاً من أشهر الحج التي تبدأ بعد رمضان مباشرة وهذا التهيؤ ينطوي على قوله تعالى ﴿فمن فرض فيهن الحج﴾ أي فمن فرض على نفسه، وشرف الإنسان في هذا المقام بأن جعله يفرض على نفسه مع أن الفارض الحاكم هو الله عز وجل ﴿فمن فرض فيهن الحج﴾ أي من ألزم نفسه بأن يؤدي فريضة الحج فليبدأ بالتأدب بالأدب الإلهي ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ هذه الفريضة التي جعلها الله عز وجل علامة أمان لمن أداها بقوله تعالى وصفاً للبيت العتيق ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي

ببكة مباركاً وهدى للعالمين • فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً».

ثم بعد أن كتب الأمن للحاج الذي سعى متطوعاً راغباً حذر من التفریط في الفريضة فبين أنها فريضة تطلب من الناس بالحب «فمن فرض فيهن الحج» أي فمن رغب وفرض على نفسه، لكنها في الحقيقة فريضة ينقص الدين وينقض بغيرها بقوله تعالى «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين» فجعل البديل عن عدم الحج للقادر هو الاتصاف بالكفر، ومن هنا فتارك الحج عمداً كافر بإجماع الأمة على اختلاف مذاهبها، ولعل هذا من الأحكام الجليلة التي تتفق فيها أوجه نظر المذاهب العامة ومذهب أهل البيت صلوات الله عليهم وهو اعتبار الحج فريضة وأن عدم أدائها مع القدرة كفر.

* الدكتور: هل لكم أن تحدثونا عن مسألة تترتب عليها أمور مهمة وهي كون فريضة الحج عند الإمامية على الفور لا التراخي الذي تأخذ به

المذاهب الأخرى؟

• إن مذهب أهل البيت يتميز في خصوص الحج بميزة دقيقة ذلك لأن تعريف الحج عند أهل السنة أنه فريضة على التراخي بما أن الإنسان محوّل أن يسوف فيه ويؤديه قبل موته وعند الإمامية فإن الحج فريضة على الفور ويأثم من يؤخره بغير عذر قهري، معنى فريضة على الفور أن يحجّ الناس شباباً.

ومعنى فريضة على التراخي ان يحج الناس عجائز، ولذلك تجد هذا المعلم لو تفحصت في وجوه الحجيج من البلاد الاسلامية غير الشيعة تجد الحجيج من العجائز والمسنين وقل أن تجد فيهم شاباً جلدأ، ولكنك إذا تفحصت وجوه الحجيج من الجمهورية الإسلامية - وهذه ملاحظة كانت تستوقفني، وقد أكرمني الله تعالى بالحج أكثر من عشر مرات - فكان ممّا يستوقفني أن أرى شباباً في مقتبل العمر يحج، ولقد قادني هذا إلى أن أرجع إلى فريضة الحج عند الشيعة الإمامية فوقفت على هذا الحكم أن الحج فريضة

على الفور، وكنت وقتها عند هذا التأمل لم أكن قد تشيعت بعد، كانت هذه خطوة في طريق التشيع عبر هذه التأملات - ومن التأملات التي يثيرها افتراض الحج على الفور وانطلاق الشباب لأداء الفريضة أن يعلمهم التنشئة على طاعة الله تعالى فيبدأ عمره بمعاهدة مع الله عند بيت الله ويقوم وفقاً لهذه المعاهدة في اصلاح نفسه وتقويم سلوكه على مقتضى منهج الله ما يشرح صدره ويثبت يقينه. ثم إن كون وفود الحجيج تنطوي على الشباب مع الشيوخ مع اجتماع الاجيال في الحج يهيئ الفرصة لتعلم الجيل القادم من الجيل الذي يتهىء للرحيل ويعين على كثرة التعارف بين وفود الحجيج من البلاد المختلفة.

* فريضة الحج طريق واسع للتعارف بين المسلمين، فهل لاحظتم هذا في حجكم وقد وفقتم له مرات متعددة؟

● استطيع أن أقول: إن ها هنا وقفة هامة بأنه مما يؤسف له أن الحج الذي شرع لتوثيق روابط المسلمين وجمعهم

على كلمة سواء وتعارف بعضهم ببعض أصبح يبدأ وينفض، وكلّ فريق بم عزل عن الفريق الآخر، فنجد الحجاج الايرانيين وحدهم والمصريين وحدهم والترك وحدهم والحجازيين وحدهم.. ولا بدّ من أن تضع الأمة الإسلامية برنامجاً للحجيج يتيح لكلّ هذه الوفود أن تلتقي وأن تتعارف في أقدس مكان يتم فيه التعارف، والحقّ أن المسلمين لو نهضوا بأداء الحج وأعانوا بعضهم بعضاً على أدائه بمعنى أن يتاح لكلّ مسلم أن يحج حجة الإسلام على الأقل فعنى ذلك أن الحج لن يقل عدده في كلّ عام عن (١٠) ملايين؛ لأننا ألف مليون مسلم لو قسمتهم على أن يحجوا على خمسين سنة فيطلع عشرون مليون حاج، وخمسون سنة هي عمر جيل وتصور يا أخي لو يتم التعارف بين هؤلاء الحجيج وهو بهذه الكثرة كم ستكون آثاره الطيبة على بلادنا الإسلامية. فعلى الأمة الإسلامية أن تتواصل بتيسير الحج وتسهيله لكي تخرج من عهدة الله الذي أمرها بإحياء هذه الفريضة، وحذر من النكوص

عنها، ثم على المجتمعات الإسلامية والدول الإسلامية أن تهيب حجاجها لأداء الفريضة وتعرفهم المناسك قبل الوصول الى البيت الحرام؛ لأنه مما يؤسف له أن يفد الوافد وهو لا يدري شيئاً عن المناسك فيتخبط وقد يؤخر ويقدم ويخل بالترتيب ويلحق حجه الإحباط، فلا بد من أن يحج وهو على معرفة بمناسكه وبمن حوله، وأتطلع الى اليوم الذي تصبح فيه المشاعر المقدسة وعلى الأخص الصفا والمروة والمزدلفة ومنى أن تصبح أماكنها أماكن خاصة بالحج؛ لكي يتسع المجال لقضاء الليل في المزدلفة بنظام وعبادة وراحة لمن يستريح؛ لأن الذي عايش أماكن الحجيج يجد أنها تضيق بالكثرة نتيجة استيلاء القلة على مساحات هائلة من هذه الأراضي الكبيرة، التي هي وقف لكل الحجاج.

* إنشاء الأبنية السكنية في منى وحتى في المزدلفة وعرفات قد يكون أمراً يتطلبه أمن الحجاج وسلامتهم، فما هو رأيكم بذلك؟
● هذا ما عرضت له في أن منى هي

وقف على المسلمين جميعاً والمزدلفة وعرفات... وينبغي أن لا يبني فيها إلا ما هو لازم لسلامة الحجيج كأن يبني مستشفى ولا يبني سكناً دائماً للحجيج، بناء المساكن هذا غير صحيح. فالإقامة في المزدلفة قليلة وليس الأمر كذلك في منى، ومع هذا لا يصح البناء في منى، فمضى لابد من أن يدخل فيها الإحساس بهوان الدنيا، وأنها لا تستحق خيمة تعيش فيها ليالٍ ثلاثة، وأنت قادم من عرفات قادم من البعث قادم من النشور قادم إلى منى فهي مرحلة الاصل فيها انقطاع صلتها بالدنيا، والمباني تثبت الصلة بالدنيا وتطفئ وهج وضوء ونور البساطة، يا سلام لما يشعر الحاج أن الدنيا عمرها لا يساوي الخيمة التي نصبت لتعود فتهدم بعد انقضاء أيامنا الثلاثة، والذي يلقي نظره على منى بعد أن ينصرف الحجيج منها يجدها بلقاً ليس فيها شيء.

* لا شك في أن ذاكرة استاذنا الدكتور قد احتفظت بأمور وملاحظات، فهل هناك أمر استوقفكم؟
● ومن الملاحظات التي بدت لي في

معينة ثم توزع بلا ثمن على ذوي الحاجة والفقراء وخاصة فقراء بعض الدول الاسلامية كأفريقيا ومناطق أخرى من العالم.

● يا أخي الحبيب لو عدت الى ما قدمت له من أن المسلمين لو صدعوا بأمر الله في تيسير فريضة الحج لكل مسلم لكان عندنا حجيج لا يقل عن (١٠) ملايين من ألف مليون. هذا الحجيج سيكون أغلبهم - لو تم التيسير - من الفقراء العاجزين عن الذبح أو تقديم الهدي، هذا العدد لو احتشد لأكل ما يذبح الاغنياء، وعندئذ يتم التكامل في الفريضة.

إنما الكارثة هنا أن الذي يحج هو القادر، فالذبح أكثر من استهلاك الحجيج جميعاً، إنما المفروض أن يحج القادر بأسبابه الشخصية وغير القادر بمعونة المسلمين له؛ لأنها فريضة خطيرة ومهمة وما أعجب التعبير القرآني ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾. ولم يقل الغني أو الموسر، فقد يوجد السبيل من غير مال بأن تعمل جمعيات للحج من أصحاب

عدة سنوات من الحج وخصوصاً في أيام الصيف وقد أثارت عجيبي، فهي عندما يأتي الحج في الصيف وبعد الذبح وانقضاء أيام التشريق، والذي يبقى في منى بعد يوم الرابع عشر من ذي الحجة يلاحظ أن أمطاراً غزيرة تهطل في منى، أمطاراً غزيرة جداً تغسل الأرض غسلاً وسيولاً تدفع بالجيف والحاجات المتبقية وبالتالي تغسل هذه الأرض غسلاً عجيباً.

فقد حججت أكثر من عشر مرات ولاحظت هذه الملاحظة في حج الصيف بالذات حيث إن الروائح والبقايا سريعة التلف تنتهي بعد أن تمطر في منى في اليوم الرابع عشر والخامس عشر من ذي الحجة نعم لا يأتي الخامس عشر إلا ومنى ممطرة مطراً شديداً. وهذا من تطهير الله عز وجل لأن الله يقول، ما معناه تطهرتم من ذنوبكم وأنا أطهر الأرض..

* على ذكر الاضاحي، الرأي الفقهي عند كثير من الإمامية أن هذه الاضاحي يمكن الاستفادة منها بتعليبها بشكل مناسب وبشروط

الاحساس والنذور وأشكال كثيرة أخرى على توفير الاستطاعة لمن لم يكن قادراً عليها.

ثم لو أن المسلمين قد تواصلوا بأداء الفريضة وأصبح الفقير يعتقد أن له نصيباً لازداد حباً للغني وتقديراً له، وإنك إذا دخلت قرية من قرى أهل السنة - أنا لا أعرف الوضع في إيران - فستجد أنه لا يحج في قرى أهل السنة إلا الأغنياء، فتكون نظرات الفقراء إليهم كأنها نظرات مجتمع منفصل عن أهل هذه القرية، وكأن الأمر يصدق عليه أنه لكم دين يا أصحاب القدرة ونحن المساكين الذين لا نقدر على الحج لنا دين آخر. وكأن الحج للأغنياء.

ولهذا أنا في خطبة يوم الجمعة في قريتي وكانت في شهر رمضان وكان بعض الأغنياء يتجهزون للحج، والعادات في الصعيد أن المتجهز يجلس في بيته يوم الجمعة ليزوره الناس، فيكون معروفاً أنه يريد الحج، فكنت أرى نظرات الكادحين والمستضعفين ترمق هؤلاء كما لو كانت تقول لهم:

هؤلاء عالم ثاني، فجعلت الخطبة في أن من استشعر أنه ينظر إلى الكعبة وهو يصلي فقد حج، ما دام قد عجز عن أسباب الحج. فزيدوا من تصوركم للكعبة، أقول ذلك بعاطفة لتسلية هؤلاء الكادحين، فقام لي أحد المستضعفين فأخجلني بقوله: كيف أتصورها وأنا ما شفتها عايز اشوفه عشان أتصورها بصلاقي.

لا إله إلا الله محمد رسول الله
فسأله الأضاحي والأبحاث الفرعية هذه ما أغنانا عنها لو نظرنا للحج نظرة كلية، ولقد كان إلى عهد قريب - فنحن الآن أصبحنا في مشكلة خطيرة - قبل وسائل المواصلات الحديثة يوم كان الحج على ظهور الأبل أو الدواب أو المشي أو السفن كان يحج حتى الفقير القوي الصحة يحج ماشياً، وعندي من أهلي وديرتي أن آباءهم حجوا على أقدامهم. فكان يحج الناس كلهم ولو على أقدامهم فقيراً كان الحاج أو غنياً، فتستهلك الأضاحي، وما كانت تفسد؛ لأن عدد الحاج يكفي لاستهلاك تلك الأضاحي، ولكن ولما أصبحت وسائل

المواصلات لها أثمان وقيم ومبالغ عالية فلا يقدر عليها إلا الغني، أما الفقير فقد عجز عنها، ولا يفكر الفقير بأن يحج على قدميه؛ لأنه غير متيسر له وليس معه رفيق للأنس.

كانت تخرج القوافل مبكرة ﴿الحج أشهر معلومات﴾ تخرج في شهر ويسير الفقير مع الغني. فعلى المسلمين أن يتواصوا لتيسير فريضة الحج؛ ليحج العدد الكافي وبالتالي تكتمل دورة حج كل المسلمين كل خمسين سنة، يعني نقسم الألف مليون على خمسين فحاصل القسمة يجب أن يحج، فيكون كل مسلم قد حج لأن الحج فريضة نال سهمه منها، واكتمل به الدين؛ لأن الذين حجوا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع كانوا فوق المئة ألف، ولو جعلت نسبة لهم إلى سكان الجزيرة في هذا الوقت لوجدتهم معظم سكان الجزيرة؛ وليس ^١ بل هم معظم السكان، فالحج فريضة خطيرة جداً غبنها المسلمون وحرّموا أنفسهم من آثارها.

* كانوا في خطبة الغدير أكثر من ١٠٠ ألف، وقيل ١١٤ ألفاً.

● ولهذا يا أخي فحديث الغدير أصبح أكثر الأحاديث تواتراً، جموع عن جموع، وليس جمعاً عن جمع، قال من قال وكنتم من كنتم، لا حول ولا قوة إلا بالله.

* أنا أطمع كثيراً للاستفادة منكم ● حياكم الله.

* عندنا مسألة أمن البيت فقد جعل الله البيت الحرام مثابة للناس وأمناء... ﴿حرماً آمناً﴾ هذا الأمن الذي ورد اخترق عدّة مرات..

● الأمن في البيت نعمة أنعمها الله تعالى على عباده، وذكر في عدّة آيات هذا الامتنان ﴿أو لم نمكن لهم حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم...﴾.

وكلّ نعمة لا يغيرها الله إلا إذا غيرها الناس أنفسهم ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ فإذا حدث من الناس تغير في خصوص أمن الكعبة بشغب أو بغيره فأحدث فيها ما يروع فهذا من شأن العباد بأنفسهم غيروا فغير الله عليهم لكن يظل أن القاعدة

العامة فيها أنها آمنة. فلا يجوز فعل ما يخالف الأمن، نعم لا يجوز، وهي ليس حكماً بل هي نعمة يمن الله بها، وشأنها شأن أي نعمة، كما تقول القرآن نعمة والامانة نعمة، رحمة، أما أن الناس لا ترضى بها فليس معناه أن الحكم حكم النعمة ارتفع لا، إنما الناس كفروا بالنعمة والرحمة فحرموا منها ﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾.

* سيدنا إبراهيم ﷺ نتمنى أن يكون الحديث عنه آخر لقائنا هذا..

● هناك من هو مصمم على أن أبا إبراهيم كان كافراً، وقياساً على ذلك يستجيز الجرأة على والد النبي ﷺ وعمه أبي طالب، في الوقت الذي يفرق القرآن الكريم بين الأب المعني بالكفر (آزر) وبين الوالد المحكوم بإيمانه، فأبراهيم وعد أباه آزر أن يستغفر له، ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه﴾ وهذا الأب هو الوارد في الآية ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر...﴾ وهذا كله في أول حياة إبراهيم ﴿سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيماً﴾ ثم علم أنه عدو لله فتبرأ منه

فتمت البراءة. ابراهيم بعد أن رزق بإسماعيل وإسحاق، يقول ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي﴾ فهذه في أواخر عمره؛ لأنه لم يرزق بإسماعيل وإسحاق إلا في آخر عمره.

﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء ● رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ● ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾.

فما كان ليستغفر له لو كان هو عين الذي تبرأ منه.

والأب هو العم إذا سمي؛ ولهذا قال القرآن: ﴿وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر اتّخذ أصناماً آلهة...﴾ والأصل في الخطاب أنه لو كان أبوه ﴿لأبيه﴾ والده لا يذكر الاسم، لكن لأن الأعمام كثيرون، فلا بد من تعيينه وقال ﴿لأبيه آزر﴾ هذا وجه.

والوجه الثاني هو استغفار إبراهيم لوالديه، وهنا لم يقل اغفر لي ولأبي، فهناك قال ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه...﴾.

وهنا ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي
وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾.
فلا يستغفر لكافر.

سماحة الشيخ محمد باقر
الأنصاري مسؤول المركز
الإسلامي في هامبورغ - ألمانيا
* فريضة الحج تحتل مكاناً عظيماً
في نفوس وأنشطة أئمة أهل البيت:
وأتباعهم فهلاً تفضل سماحة الشيخ
بالحديث عن ذلك؟

● كان ولا يزال دور أهل
البيت ﷺ بارزاً وذا أهمية كبيرة في
الحج وزيارة بيت الله الحرام، والحج
ركنٌ من أركان الدين الإسلامي المهمة،
وتجمع عظيم للمسلمين من مختلف
المذاهب والفرق الإسلامية حيث
يتعرفون هناك على بعضهم البعض عند
أدائهم لتلك الفريضة الكبيرة والعبادة
السياسية المهمة. لقد غني أئمتنا ﷺ
كثيراً بمسألة الحج رغم إبعادهم عن
المسرح السياسي ورغم سلب حقهم
المشروع من أن يظهروا على ذلك
المسرح، وكانوا يداومون على التشرف

بالحج وزيارة بيت الله الحرام، ويطالعنا
التأريخ من خلال التحوّلات وسيرة
الأئمة الأطهار أن أئمتنا كانوا يولون
الحج أهمية استثنائية، ولعل أفضل
شاهد على ما نقول هو تشرف الإمامين
المهمين الحسن المجتبي والحسين ﷺ
بزيارة بيت الله الحرام عدّة مرات سيراً
على الاقدام من المدينة إلى مكة، يظهر
ذلك من خلال مطالعة سيرة حياة
هذين الإمامين ﷺ بما يدل على اهتمامهم
الكبير بهذه الفريضة العظيمة،
وارتباطهم الروحي بهذا المكان
المقدس، والعبادة الخالصة التي كانوا
يؤدونها هناك، وكذلك التقاء الشيعة
والتعرف عليهم ومدّ جسور المحبة
والعلائق الوثيقة معهم، ومع الاصدقاء
الذين قد يتشرفون إلى الحج. وعلى
هذا فإن الحج أضحى من المسائل
المهمة التي تمّ تأكيدها مراراً، ويبدو
ذلك واضحاً من خلال هذه السيرة
والأحاديث والروايات وتأريخ أئمتنا
الهداة.

إنّ مجمع أهل البيت والمجمع العالمي
لأهل البيت كلاهما يستطيعان القيام

فبالإضافة إلى المظاهرات وحمل الشعارات التي تتم في كل عام خلال مراسم البراءة، فقد كانت الأعمال الثقافية والاتصالات التي تمت مع المسلمين الآخرين من قبل الشيعة ومُريدي مذهب أهل البيت، والحمد لله، جيدة جداً ونحن نرى آثار تلك الأعمال بوضوح في مكة والمدينة على السواء، ولاحظنا أن الاتصالات وبناء الوشائج مع رفاقنا المحليين هناك أو مع آخرين من أقطار أخرى من قبل أعضاء هذه الهيئات في الجمهورية الإسلامية ومجمع أهل البيت، كانت قد آتت أكلها على أفضل ما يكون، وكانت كذلك مفيدة وبنّاءة.

أتمنى أن تواصل هذه الحركة مسيرها، وأن يعمل المسؤولون في المجمع العالمي لأهل البيت وأن يبذلوا جهدهم في هذا المجال وذلك عبر تقديم البرامج الخاصة والدقيقة والفعّالة، حتى يتم نشر رسالة مذهب أهل البيت بين المسلمين بصورة أوسع إن شاء الله.

* نظراً لمكانتكم بين المسلمين في ألمانيا ولأنكم على رأس المركز

بالكثير حول هذه المسألة وأن يلعباً دوراً مهماً على هذا السبيل، وخصوصاً أن المجتمع الشيعي وموالي مدرسة أهل البيت كانوا دوماً قدوةً ومثالاً يُحتذى به على مدى التاريخ وأُسوة حسنة للمسلمين سواء من حيث العمل أو السلوك أو من حيث الرؤى العقائدية لهم. ولذا فإن على هذا المجمع المقدس، مجمع أهل البيت أن يُبدي حضوراً فعّالاً في الحج على الدوام، وعليه اتخاذ البرامج المنظّمة حتى يتم له الحصول على الاستفادة القصوى من أيام الحج، الركيزة الأساسية لكل العالم الإسلامي إن شاء الله تعالى.

لقد تمّ والحمد لله خلال السنين القليلة الماضية القيام بإنجازات رائعة كثيرة في هذه السنين من خلال زيارة الإيرانيين لبيت الله الحرام وخصوصاً الزوّار من الهيئات والمؤسسات المقدسة في الجمهورية الإسلامية ونظراً للعناية الخاصة التي كان يوليها قائد الثورة سماحة الإمام الخميني (رحمه الله) وكذلك سماحة آية الله الخامنئي للحج واعتباره فريضة عبادة إسلامية اجتماعية وسياسية

الإسلامي هناك، فهل تتوفر لديكم أنشطة وفعاليات خاصة بموسم الحج للمسلمين في المانيا؟

● نعم، هناك برامج خاصة، فقد قمنا بتشكيل عدة قوافل على التوالي لأداء فريضة الحج والعمرة وقمنا بنقل الكثير منهم إلى الديار المقدسة والحمد لله، وقام رفاق كثر بعدنا بالقيام بما قمنا به على غرار ما فعلناه في مدن المانية أخرى، مثل فرانكفورت وبرلين وفي ميونخ وهامبورغ، فقد قامت وتشكلت عدّة قوافل للحج، والاعلان عن ذلك بين العرب والاييرانيين، وكذلك الأخوة الافغان والباكستانيين حيث تتوفر اعدادهم بكثرة في هذه القوافل وهم يقومون بهذه السفرات سنوياً سواء للحج أو العمرة، ولقد كانت لذلك آثاره الطيبة. هذا وقد أبدى الشيعة خلال السنوات الأربع أو الخمس الأخيرة اهتماماً واضحاً وكبيراً بالنسبة للحج والحمد لله، وتعدّ هذه الرحلات من أهم العناصر الروحية والمعنوية خصوصاً وأنّ أوروبا مثقلة بالمشاكل الحياتية والمادية وغارقة فيها إلى حدّ

كبير، ومما يزيد من تلك الأهمية أنهم يأتون إلى ايران لزيارة الإمام الرضا عليه السلام فكلّ ذلك يمكن أن يضع آثاره الايجابية والجيدة على هؤلاء المسلمين معنوياً وروحياً.

سماحة الشيخ علي عزيز - لبنان

✽ قالت السماء كلمتها في اهداف الحج: ﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات...﴾ إن الله تعالى يحب أن يذكر في أمكنة معينة وأزمنة معينة فللمكان وللزمان خصوصية، وإلا فالمنافع قد تحصل للناس وهم في بلدانهم، وذكر الله تعالى قد يقع منهم وهم في أوطانهم... فلا بد من أن تكون هذه المنافع ذات طعم آخر... وأن يكون هذا الذكر ذا ميزة أخرى... فهلا تفضلتم بكلمة لبيان أهمية هذين العنصرين في منافعنا ودعائنا وأعمالنا...؟

● إن الحق جلّ وعلا يقول في أهداف الحج، ﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾.

يحفظ في أهله وماله وهو أدنى ما يرجع به الحاج». هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهو مؤتمر مجمعي سنوي يتلاقى المسلمون فيه من شتى أصقاع الأرض عربيههم وأعجميههم وأبيضهم وأسودهم، فقيرهم وغنيهم، عالمهم وجاهلهم، رئيسهم ومروءسهم فتتلاقح المعارف والآداب والقيم والتراث، وتبث الشكوى والأحزان والأفراح، وهنا فالغني يخشع، والفقير يتحمل، والعالم ينصح بعلمه، والجاهل يتعلم، والجميع في موكب النور إلى عطاءات السماء، وذكر الله على كل حال عند أحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، جعلها الله بيته الحرام للناس قياماً بأوعر بقاع الأرض حجراً، وأقل الدنيا مدرأً، وأضيق بطون الأرض قطراً بين جبال خشنة، ورمال رمثة، وعيون وشلة، وأخرى منقطعة لا يزكو بها خف ولا حافر ولا ظلف.

* لئن تظافرت أيدي أنبياء (إبراهيم وإسماعيل... ورسول الله محمد ﷺ) فجعلت مكةً بلداً آمناً وحرماً مقدساً يؤتى إليه من كل فج

نعم فإن الجنة حقت بالمكاهره كما أن النار تكتنفها الشهوات، فالوصول إلى حضرة الباري لا يكون بالتلذذ والرفاهية ولا بد من ارتكاب الصعاب، وتحمل الأذى والمشقات، والمعاناة في النفس والمال، وتحشم المخاطر في كل منسك، وتحمل العنف في كل حركة. فأعمال الحج هي سامقة صعبة، ولكنها لذية الطعم طيبة المذاق، لمن جاس تلك الديار.

ولأنها بعيدة تماماً عن الملذات والشهوات والطيبات، فهي لا تتأق إلا عن باعث العمل للامتثال والانقياد لأوامر الله تعالى، ومن أجل هذا كان النفع عظيماً، والتجارة رابحة، والصفقة ناجزة يقول علي عليه السلام: «واختار من خلقه سمعاً أجابوا إليه دعوته، وصدقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الأرباح في متجر عبادته، ويتبادرون عند موعد مغفرته» وعن الصادق عليه السلام «الحاج ثلاث أصناف صنف يعتق من النار، وصنف يخرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه، وصنف

عميق... فإن المدينة صارت بلداً
وحرماً مقدساً بجهد نبّي واحد
محمد ﷺ، فهو قد شارك مشاركة كبيرة
في الأولى، وهو المؤسس في الثانية.
فهل من ضوء يسلط على هذا الدور
الكبير وتلك المشاركة العظيمة؟!

● نعم فإنّ المدينة المنورة التي كان
لها شرف إحتضان دعوة رسول
المحبة ﷺ ومنها انتشر الدين الإسلامي
الحنيف الى أصقاع الأرض، وإذا جاز
لنا القول: إنّ الدين بدءه مكّي
واستمرارة ودعوته وعطاؤه مدني،
فإنك لا تستطيع أن تسقط من
حساباتك ما قام به الأنصار من
إحتضان لإخوانهم المهاجرين من مكّة،
ومن التضحيات الجسام التي قدموها في
سبيل الدين الجديد، فطيبة هي القاعدة
التي انطلقت منها جحافل الإيمان والنور
ومشاعل الهداية إلى بقاع الأرض
جميعاً، وهي التي زحفت لتقاتل
صناديد قريش في بدر وأحد
والأحزاب وغيرها بمشاركة أكيدة
وصميمية من إخوانهم المهاجرين تحت
قيادة رسول الأمة ﷺ وقد جاء في

فضل المدينة أحاديث صحيحة منها.
١ - إن الإيمان ليأرز الى المدينة كما
تأرز الحية إلى حجرها. أي ينضم
ويجتمع بعضه إلى بعض فيها.
٢ - صلاة في مسجدي هذا خير من
ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.
وكلّ عمل بالمدينة بألف.
٣ - لما دخل رسول الله ﷺ المدينة
قال: «اللهم حبّب إلينا المدينة كما
حببت إلينا مكّة أو أشد، وبارك في
صاعها ومدّها.
٤ - عن علي عليه السلام «لا تشدّ الرحال
إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام
ومسجد رسول الله ﷺ ومسجد الكوفة.
* الدعاء كان السمة البارزة في
حركة نبي الله إبراهيم عليه السلام، وهو يترك
أهله بوادي غير ذي زرع، وهو يبني
الكعبة، وهو يدعو الناس لحجّها، وهو
يؤدي مناسك الحج نراه يدعو بالأمان
وبالرزق الوفير؛ لأنه يعلم أنّ تلك
المناسك الشاقة لا يمكن أن تؤدّى دون
أن يتوفر عنصر الأمن والرزق... وأن
قوافل الإيمان التي يُراد لها أن تنطلق
لا يمكنها أن تؤدي دورها على أحسن

وجه، وهي تتعرض للخطف والقتل والسلب والحرمان والجوع... فلو تفضلتم لتوضيح أهمية الدعاء وأهمية الأمن والرزق لهذه الأرض ولهذه الفريضة المباركة.

● قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

وقال ﷺ: «الدعاء سلاح المؤمن» «الدعاء مخ العبادة» وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «أنا دعوة أبي إبراهيم خليل الرحمن».

والدعاء ركن من أركان عبادة المؤمن، وقلعة حصينة يلجأ إليها المسلم إذا داهمته الخطوب، والكهف الحصين للمسلم عند شدة الابتلاء. وأعمال الحج قاعدتها وسنامها التوسل والدعاء في أيام مباركة وأماكن معينة، ولا سيما في الوقوف بعرفة والمشعر الحرام، وحول الكعبة المطهرة، وفي السعي بين الصفا والمروة. وينبغي للمسلم أن يكون في أثناء الدعاء طاهراً نقياً قد خلع عنه كل شيء سوى الاستغفار والتوبة

والتضرع، صافياً نظيفاً في البدن والروح، خالصاً من الدنيا والاهتمام بالولد والأهل والمتجر، مقبلاً على ربه، داحراً للشيطان والملذات، خالفاً ثوب الكبرياء والرئاسة، متدرباً بقميص العبودية وبالبیت الحرام الآمن بأمان الله، وبدعوة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل نبي الرحمة ﷺ هو خير مكان يسند المسلم ظهره إليه، يطلب من الله المغفرة والعق من النار، ويدعو الباري عز وجل الجنة وروي أنه من أدام الحج لا يفتقر أبداً، وأن كثرة الجلوس في الصفا مدعاة للرزق وفي الصحيح أن العمرة والحج تدحضان الذنب وتنميان الرزق. ولا بد من الأمان والاستطاعة في أعمال الحج. وفي الختام وفي هذه العجالة نسأل الله أن يتقبل منا حجنا ويغفر ذنوبنا إنه أرحم الراحمين.

سماحة السيد سامي البدري

* هناك ارتباط وثيق جداً بين مسألة الإمامة ومسألة بيت الله والحج، تبدأ هذه العلاقة منذ إقامة القواعد من قبل إبراهيم وإسماعيل

المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ كما أن الدعاء هو السمة البارزة في حركة خليل الرحمن وهو يؤدي وظيفة السماء: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ● رَبَّنَا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك. ﴿فَهَلَّا تَفْضُلُ سَمَاحَتَكُمْ مَشْكُوراً بِالْقَاءِ الضَّوِّ عَلَى تِلْكَ الْعَلَاقَةِ وَهَذِهِ السِّمَةِ وَثَمَارَهَا؟

● القرآن ينص هنا أن دعاء إبراهيم وإسماعيل في ذلك الوقت كانا يطلبان من الله تعالى ذرية مسلمة، وهذه الذرية المسلمة، القرآن ينص على أنها كإسلام إبراهيم وإسماعيل، ولا شك في أن إسلام إبراهيم وإسماعيل الإسلام اللغوي وليس الإسلام الاصطلاحي، يعني الانقياد التام، الانقياد الخالص لله تعالى - فإذن إبراهيم وإسماعيل يطلبان من الله تعالى أن يرزقهم ذرية مسلمة كإسلامهما، تمثل الامتداد الحقيقي ﴿وَمَنْ ذَرَيْتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ ثم بعد ذلك يقول: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ يعني في هذه الأمة المسلمة أن

تبعث فيها رسولاً منها، أي مسلماً ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ هنا القرآن الكريم في هذه الآية يلفت نظرنا إلى قضية مهمة جداً، فحينما يتحدث عن المؤمنين يقدم التزكية على التعليم، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ فهذا التقديم والتأخير ليس اعتباطاً؛ لأن الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم هي أمة مسلمة كإسلام إبراهيم وإسماعيل فهي لا تحتاج إلى تطهير، فهي مطهرة، فيبعث فيها من أحد أفرادها رسولاً منها بعثة خاصة، وبالتالي هؤلاء يحتاجون فقط إلى التعليم ﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ فإذا استوعبوه استيعاباً خاصاً أظهر عظيم فضلهم، (يزكيهم) يعني يظهر عظيم فضلهم يثني عليهم، يمدحهم؛ لأن الزكاة في اللغة تأتي بمعنى المدح، وتأتي بمعنى التطهير. أما أهل مكة هناك، باعتبارهم مشركين فهم يحتاجون إلى التطهير أولاً، يزكيهم، يعني يطهرهم، ثم بعد

ذلك إذا أعلنوا إسلامهم وطهارتهم العامة من الشرك صاروا مؤهلين إلى أن يتعلموا الكتاب والحكمة.

فهنا في الحقيقة يشير النص إلى أهل البيت عليهم السلام إلى البقية من عترة إبراهيم، أن الله سبحانه وتعالى وعد إبراهيم وأجابه بأن سيرزقه ذرية مسلمة على طول الخط، من زمن إسماعيل إلى بعثة النبي صلى الله عليه وآله وهذه عقيدتنا بالحقيقة، أن أباء النبي صلى الله عليه وآله في مكة في الحقيقة بعث من هذه الأسرة المسلمة من عترة إبراهيم، من ذرية إبراهيم، التي بقيت إلى آخر الزمان، بُعث منها، ولذلك ورد في روايات السيرة أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقول: «يا بني هاشم إني بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة». يشير في الحقيقة إلى هذا المعنى، ويشير أيضاً الإمام الصادق عليه السلام إلى ما في هذه الآية، هؤلاء نحن، الأمة المسلمة هؤلاء نحن، يشير إلى الأئمة عليهم السلام. فإذا نستفيد من هذه الآية أن الارتباط بين أهل البيت عليهم السلام وبين البيت، ومع الموسم ارتباط صميمي؛ لأن هذا البيت يحمل ذكرى

التبشير بالنبي الخاتم وبأهل بيته عليهم السلام هذا البيت مؤسس حتى يستقبل النبي الخاتم بعد ٢٠٠٠ سنة. لذلك تلاحظون أن الله تعالى ختم بعض الآيات هكذا وهو العزيز الحكيم؛ لأن مثل هذه الإجابة: أن الله تعالى يجب دعاء إبراهيم وإسماعيل بعد ألفي سنة ويبقى الخط من الذرية مستمراً، وليس كل ذرية إبراهيم مسلمين إسلاماً خاصاً، أن يستمر هذا الخط فهذا لا يقدر عليه إلا الله تعالى. ومن هنا قال وهو العزيز الحكيم فالعزيز الذي لا يمتنع منه شيء، والحكيم الذي يصدر منه الأمر الحكيم في محله.

على هذا الأساس إذن مكة والكعبة والذكريات التأسيسية الأولى على يد إبراهيم وإسماعيل تحمل البشرية بمحمد صلى الله عليه وآله وآل بيته، وهذه البشرية مذكورة أو حفظتها إلى اليوم التوراة نفسها، حينما تقول على لسان الله تعالى: أما إسماعيل فقد أجبتك فيه فأنا أباركه واثمه وأغنيه محمد صلى الله عليه وآله واثني عشر إماماً من أهل بيته. وفي ضوء هذه الحقيقة، وإضافة إلى كون الحج فريضة إسلامية

تجمع كل المسلمين جاء تبني أهل البيت لموسم الحج تبنيًا خاصاً؛ لأنه الموسم الوحيد الذي يشكل أوسع الأبواب لطرح قضية أهل البيت (عليه السلام) على كل المسلمين.

سماحة الشيخ الخزرجي إمام وخطيب مسجد محمد رسول الله - البرازيل

* سماحة الشيخ الخزرجي: من سنين وأنتم عاكفون على تأدية واجباتكم الإسلامية في هذه البلاد.. فهلاً تفضلتم بالحديث عن عدد المسلمين في البرازيل، وما هي المناطق التي يتواجدون فيها وهل هناك جمعيات تحتضنهم؟

● بالنسبة الى عدد المسلمين المتواجدين في البرازيل، هذا العدد ما رأيت - في الواقع - احصائية دقيقة تحدد أو تذكر رقماً دقيقاً في هذا الباب. ولكن الأرقام التقديرية تذكر بأن المسلمين يبلغ تعدادهم ثلاثة الى أربعة ملايين مسلم تقريباً، وهي نسبة لا بأس بها، وهم منتشرون على مساحة

تقدر بـ ٨/٥٠٠ ألف كيلو متر وهي مساحة البرازيل. أمّا أهم المناطق التي يتواجد فيها المسلمون هي اربودو جانيرو التي كانت العاصمة سابقاً. وكذلك برازيليا العاصمة الحالية. وسامباولو التي فيها كثافة وجود إسلامي لا بأس به، وكذلك في ولاية برنا التي تضم مدينتين (تورنينا ومدينة فوزدي اغوا) وفي مناطق أخرى.

وكل المسلمين عندهم جمعيات وعندهم اتحادات تنظم امورهم، وتحيي مناسباتهم، افراحهم اتراحهم. هذه الجمعيات ولو أنها لا تقوم بالواجب المطلوب ولكن وجودها أفضل من عدم وجودها.

* ما هي الكيفية التي يستقبلون بها موسم الحج؟ وما هي عاداتهم توديعاً للحجاج واستقبالاً؟

● وأما بالنسبة الى موسم الحج. أنا ذهبت الى البرازيل سنة ١٩٨٩ فرأيت أن مسألة الحج تكاد تكون ميتة إلا عند البعض، يعني التزامهم بهذا المنسك، التزامهم بهذه الفريضة توجههم ليس هناك توجه بالمعنى

الجيد، وإنما عند بعض الافراد فقط . ولكن بعدما استقر بنا الحال وصارت الاتصالات والاجتماعات، وصارت الزيارات، وبعده مدّة ليست قصيرة صار هناك تقارب مع إخواننا من أبناء السنّة، وبدأوا يحضرون احتفالاتنا احتفالات الشيعة ونحضر احتفالاتهم، يطلبون منا التحدث ونطلب منهم أن يتحدثوا في احتفالاتنا صار هناك تيار، وصار هناك شيء لا بأس به، يشجع الآخرين على الذهاب الى الحج، فالآن تقريباً يذهب من البرازيل ما يقارب مأتين الى ثلاثمائة حاج سنوياً، من الشيعة ومن السنّة .

وأما العادات والتقاليد والأعراف التي تعارفوا عليها هو أنهم حينما يريدون الذهاب الى الحج والى زيارة بيت الله الحرام، يأتي الناس الى زيارتهم ويودعونهم في المطار ويستقبلونهم في المطار أيضاً حين عودتهم وهم يحملون الورود، فالتوديع لا بأس يكون توديعاً جماعياً وكذلك حينما يأتون من الحج يستقبلونهم استقبالا جماعياً أيضاً وهو استقبال

واضح لا أنه استقبال لشخص ذاهب الى زيارة عادية الى بلدة وراجع وإنما هو استقبال له طابع خاص، استقبال لشخص يحمل آثار الحج، استقبال يتم من قبل أصدقائه وأقاربه وجيرانه وحتى من غيرهم ومن غير أرحامه، ويرافقون الحاج من المطار حتى بيته وهذه سنة لا بأس بها وهي جيدة .

* لو تحدثتم شيئاً عن نظرة أهل البيت لفريضة الحج وأثرها في وحدة المسلمين وحل كثير من مشاكلهم سواء أكانت سياسية أو اجتماعية..

● في الحقيقة بالنسبة الى خط أهل البيت هو في الواقع خط واضح، خط يحاول أن يجمع أكبر عدد ممكن من المسلمين في ظلال الإسلام الصحيح؛ فلذلك نرى الروايات والأحاديث والمواقف التي كان يقفها أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم، فقد كانوا يجتمعون بالناس ويشجعونهم على الحج، كانوا يذهبون معهم، كانوا يجالسونهم، كانوا يحدثونهم، كانوا يحبون الشعائر والمناسك معهم، لذلك تلاحظ في دعاء عرفة للإمام

الحسين عليه السلام حينما يقرأوه الإنسان لا يتمالك نفسه يعيش في عالم عرفاني عالم ملكوتي، وهذا هو جوهر حركة الإنسان والساعات التي يقضيها في عرفات، وقد لاحظنا ذلك حينما يجتمع الحجاج تحت خيمة واحدة، وحينما يستمعون هذا الدعاء المبارك دعاء الإمام الحسين في عرفة فلا يتمالك الإنسان نفسه ودموعه ووضع بحيث يعيش في حالة من حالات الذوبان في الله سبحانه وتعالى. حالة العشق الإلهي، فلذلك نلاحظ أئمتنا: كانوا يستثمرون هذه المناسبات ويغذونها بالغذاء الجيد والصالح؛ لأن النفوس والأرواح متفتحة ولأن العقول متفتحة، والإنسان قادم إلى أرض جرداء ليس فيها شيء، لقاءه مع الله ليس هناك شيء يعيقه من تجارة أو ولد أو امرأة أو زينة، فهو ذاهب إلى ذلك المكان إلى عرفات وهكذا في بقية المناسك، في هذه البقاع يعترف الإنسان بخطاياہ وبذنبه وما جرى بين يدي مولاه سبحانه وتعالى.

فلذلك أهل البيت في الحقيقة قدموا

الكثير وأدخلوا روح الحج في فكرنا، الحج ميت إذا لم يكن هناك اتصال بالله سبحانه وتعالى، الله لا يريد أجسادنا تذهب إلى هناك بل يريد أرواحنا تذهب إلى هناك في هذه السفرة الملكوتية وفي هذه الهجرة إلى الله سبحانه وتعالى، لا يريد منا أن نذهب وأن نلتقي بتلك المواقع من خلال المادة وإنما من خلال النفس والعقل والفكر والروح والقلب - حينما يلتقي الإنسان ويعرف مع من يلتقي وإلى أين يذهب يؤثر الحج في نفسه، وتكون له آثار إيجابية مباركة، والإنسان يصنعه الحج صناعة جديدة وحقيقية حينما يذهب الإنسان إلى الحج ويعود، ففلان الذي كان قبل الحج فهو غيره حينما يأتي بعد الحج، يصنعه الحج من جديد، ويربيه تربية جديدة؛ لأنه كان في ضيافة الله تعالى، وفي الحقيقة الإنسان دائماً في ضيافة الله تعالى، ودائماً في عين الله سبحانه وتعالى كما يقول الإمام الراحل الخميني رحمه الله عليه: «العالم كله في محضر الله، في محضر الله لا تعصوا» فداًئماً الإنسان في محضر الله تعالى،

ولكن كلما يقترب الإنسان من ساحته سبحانه وتعالى في مكة، في الأماكن المقدسة العظيمة يستشعر تلك العظمة ويتكهرب أكثر ويتمغط أكثر، تكون روحيته أكثر شفافية، أي أن قوة الجذب العظيمة تسحره أكثر، تملك روحه وتصنعه وتؤثر فيه أكثر.

* ختاماً لهذا اللقاء، ما هي

وصاياكم لحجاج بيت الله الحرام؟

● وصيتي هي حينما يريد الإنسان، الذي يوفقه الله لزيارة البيت الحرام، ينبغي أن يعد العدة وأن يتهيأ لهذا السفر الملوكوتي؛ لأن سفره إلى الحج ليس كسفره إلى بقية الأماكن، ينبغي أن يتهيأ روحياً، نفسياً عقلياً فكرياً؛ لأنه يذهب إلى بيت الله الحرام ويستجمع كل شيء كل أخطائه يستجمعها حتى يعترف بين يدي الله تعالى. الشيء الآخر هو أن يستعد الإنسان من الناحية العلمية حتى يهيئ المادة التي يتحرك بها في الحج وهي معرفته بالمناسك؛ لأن الإنسان إذا لم يكن عارفاً بهذه المناسك فسوف يخطأ وإذا أخطأ لا تكون أعماله ومناسكه كما

يريدها الله تعالى، فلذلك تصحيحها يكون صعباً بالنسبة إليه؛ لذلك أوصي اخواني وأخواتي وجميع الذين يذهبون إلى زيارة بيت الله الحرام أن يأخذوا دورة فقهية ولو سريعة، يتعرفون ولو على الحد الأدنى، يتعرفون على أهم مناسك الحج، حتى إذا ذهبوا إلى ذلك المكان يذهبون وهم على علم بذلك. والشيء الآخر حينما يذهب الإنسان إلى زيارة بيت الله الحرام ينبغي أن يأخذه فالإنسان كلما يقترب من الله سبحانه وتعالى أكثر وكلما يقترب من معاني الحج أكثر وكلما يقترب من هذه المناسك أكثر ويتعلم أكثر كلما تكون آثاره على نفسه وعلى روحيته وعلى سلوكه تكون أكثر.

نسأل الله تعالى التوفيق

سماحة الشيخ العباسي - اوغندا

* ما هي نسبة المسلمين بالنسبة إلى مجموع سكان بلادكم؟ وما هي المقاطعات التي يتواجدون فيها؟ وهل هناك مؤسسات أو جمعيات تمثلهم وترعاهم وتحفظ لهم قيمهم وآدابهم؟

وما هي الأنشطة التي تتحرك فيها مثل تلك المؤسسات أو الجمعيات؟

● لا توجد احصائية دقيقة للمسلمين في اوغنده غير أنهم يذكرون في محافلهم أن المسلمين يتراوح عددهم من ٣٠ - ٣٥٪ من مجموع ١٨ مليون نسمة.

وهم يقطنون جميع المحافظات ويختلطون مع النصارى الذين يشكّلون الأغلبية وبلا حساسية بينهم، ومن المؤلم ان بعض المسلمات يتزوجن من النصارى رغم وجود المؤسسات والجمعيات الإسلامية، التي تؤكد حرمة مثل هذا الزواج.

والجمعيات الإسلامية تفعل كلّ ما هو ممكن لها مثل فتح المدارس الدينية وصفوف تعليم القرآن الكريم والمراكز الثقافية وعقد المؤتمرات والندوات

وكفالة الايتام والأرامل، ورغم كثرة هذه المؤسسات إلا أنها لا تغطي حاجة ١٠٪ من المسلمين لضعف برامجها وبساطة امكانياتها.

* وما هو الاهتمام بفريضة الحج في بلادكم استعداداً أو توديعاً للحجاج واستقبالاً لهم؟ وكيف تتم رحلات الحج: شكلها، نوعها، عددها، مجموع الحجاج فيها؟

● إنّ ما يتعلق بموضوع الحج - فبسبب حالة الفقر لدى أغلب المسلمين حيث إن معدل الدخل لديهم لا يتجاوز لـ ٢٥٠ دولاراً سنوياً قياساً بحالة الغلاء الفاحش - فإنّ أغلبهم لا يتمكن من أداء فريضة الحج التي تبلغ تكاليفها ٢٠٠٠ دولاراً، ولذلك يكون عدد الحجاج سنوياً من ٢٥٠ - ٣٠٠ حاج من مجموع ٥ مليون مسلم تقريباً.

الحلّة الخراسانية تكسي الكعبة الشريفة

آصف فكري

السطور القليلة القادمة تحكي قصة حَدَثٍ تاريخيّ مهم في القرن التاسع الهجري، ألا وهو مراسم إكساء الكعبة الشريفة بأول حلّة صنعت بأيدي خراسانية. وكان ذلك بهمة شاهرخ بن الأمير تيمور غوركاني، وقد عمل المذكور جهده كما ستقرأ ذلك فيما بعد - ولفترة طويلة من حكمه - للوصول إلى مراده ذاك. ولهذا السبب كان قد أرسل عدّة بعثات إلى مصر؛ لإثبات حُسن النية، وصرف في سبيل ذلك مبالغ طائلة حتى نال في النهاية هدفه، ولولا ذلك لاقتصرت مسألة إكساء الكعبة على العرب وحدهم، ولحُرِّمَ غيرهم من الأمم المسلمة شرف ذلك.

لقد ظلّ موضوع اكساء الكعبة - ومنذ العهد الجاهلي حتى عهد الخلفاء وعلى مرّ العصور - موضع اهتمام المؤرّخين والمحقّقين، ويمكن الوصول إلى ما يتعلّق بهذه المسألة بمجرد الرجوع إلى المصادر المتعلّقة بذلك الموضوع. وليس هدفنا من هذه المقالة الموجزة إلا الإطّلاع على جوانب بسيطة من هذا الموضوع، والاشارة إليه دون إطناب أو تفصيل.

روى القلقشندي في «صبح الأعشى» نقلاً عن «أخبار مكة» للأزرقي قوله: إنَّ أسعد الحميري (من تابعة اليمن) كان أول من كسا الكعبة الشريفة بالحُلَّة في زمن الجاهلية.

حُلَّة الكعبة أيام الجاهلية:

كانت الكعبة الشريفة تُكسى بأقشعة وحُلل ملوّنة ومتنوعة في الجاهلية. وكانت تلك الحُلَّة في الزمن المذكور تُصنَّع وتهبى بمعونة مختلف القبائل ومساعدة الجماعات وهمّتهم، حتى اقترح أحد التجّار آنذاك - ويُدعى أبو ربيعة عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكان يعمل بالتجارة مع اليمن - أن يقوم هو بإكساء الكعبة سنة ويلبسها كسوتها وتقوم قريش كلّها بذلك سنة أخرى. فاستمرّ ذلك النهج حتى توفي أبو ربيعة. والمجدير بالذكر أنَّ الكعبة كانت تُكسى بالنّطع (وهو نوع من الجلد) مدّة من الزمن.

في صدر الإسلام وما بعده:

كُسيّت الكعبة أيام حياة رسول الله ﷺ بالنسيج اليمانيّ، وسار الخلفاء الراشدون على هذا النهج كذلك. وكان لون تلك الحُلَّة في تلك الأيام أبيض أحياناً أو أحمر أحياناً أخرى. وأمّا خلفاء بني العباس الذين كان شعارهم اللون الأسود فقد ألبسوا الكعبة بلباس أسود أيضاً.

فلما استولى ملوك مصر على الحجاز اقتصرت مسألة إكساء الكعبة عليهم وحدهم، فدام هذا النهج حتى القرن التاسع للهجرة.

وأما الحُدث الذي نحن بصده في هذه المقالة فيرجع تأريخه إلى النصف الأول من القرن التاسع الهجري، وذلك أيام حكم المماليك في مصر - الملك الأشرف حتى الملك الظاهر - وحاكم خراسان أو كما يسميه المؤرخون العرب بـ «ملك الشرق»

شاهرخ ميرزا (ولد سنة ٨٥٠هـ) بن الأمير تيمور غوركاني.

طموح وهمّة شاهرخ:

اعتلى شاهرخ عرش خراسان الكبيرة بعد وفاة الأمير تيمور سنة ٨٠٧هـ. واتّخذ هرات عاصمة لحكمه. وتعدّ فترة حكمه بحقّ من ألمع فترات الحكم وأكثرها ازدهاراً في مجال العلم والفن والعمارة والبناء في هذه البقعة من الأرض. وكانت فكرة إكساء الكعبة حلّت لها تدور في ذهنه منذ ارتقائه عرش أبيه، وكانت هي أمله الوحيد الذي كان حِكراً على الحكام العرب حتى ذلك الحين، ولم يكن لأحد من العجم حقّ في أداء ذلك على الإطلاق.

وكان شاهرخ في الحقيقة يهدف من وراء كلّ ذلك الحصول على شرف معنويّ لا مثيل له أولاً، وثانياً كان يريد كسر طوق التمييز بين مختلف الأقوام المسلمة والنهج اللامنتقي لماليك مصر، وثالثاً العروج الى المرتبة العليا بين الأمم. يصف عبد الرزاق السمرقندي، صاحب مطلع السعدين، شاهرخ بأنّه «كان يحمل في جنابه دوماً طموحاً لا يُقاوم وهو إكساء بيت الله الحرام بالحلّة على يديه متى طُلِبَ منه ذلك، إلّا أن هذا الطموح لم يكن ليحدث على أرض الواقع دون إذن من سلطان مصر».

المحاولة الأولى:

شرع شاهرخ بإعداد أرضية مناسبة لمحاولته الأولى منذ عام ٨٣٣هـ. ويذكر مؤرخو مصر أن مبعوث شاهرخ ملك شرق (خراسان) وصل الى القاهرة في ٢٤ محرّم سنة ٨٣٣هـ. وقام بتسليم الملك الأشرف رسالة من السلطان المذكور. وأمّا الرسالة فقد تضمّنت ثلاثة أمور رئيسية، هي:

الأمر الأول: كان شاهرخ قد طلب في الرسالة في بداية الأمر الهداء كتأيين هما:

- ١- شرح البخاري لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني.
 - ٢- تاريخ السلوك لدول الملوك لتقي الدين أحمد بن علي المقرئ.
- هذا الأمر يذهب بنا إلى مدى اهتمام الحلقات العلمية في هرات بالاكتشافات الجديدة في عالم العلوم في تلك الحقبة.

الأمر الثاني: كان شاهرخ قد ذكر في رسالته تلك أنه كان قد نذر أن يُهيء حُلة للكعبة الشريفة ويرسلها لإكسائها هناك، وأمّا الأمر الثالث: فقد أبدى شاهرخ اقتراحه في فتح غدير ماء ويجريه إلى مدينة مكّة، وكأنّه أراد بذلك أن يضع التجارب الخاصة بالإرواء والسقي بواسطة القنوات ومجاري المياه، المعمول بها في خراسان آنذاك موضع الفعل في مدينة مكّة للاستفادة منها هناك.

ويذكر ابن تغري بردي مؤلف كتاب «النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة» أن أياً من مطالب ملك الشرق لم تُجب من قبل ملك مصر، على خلاف ابن إياس مؤلف «بدائع الزهور» الذي كتب يقول: إن السلطان قام بإرسال شرح البخاري وتاريخ المقرئ إلى شاهرخ، إلا أنه امتنع عن قبول اقتراح شاهرخ بإرسال حُلة للكعبة الشريفة، أو في فتح القناة إلى مكّة. وكتب الملك الأشرف إلى شاهرخ يقول: إن هناك أوقافاً تجرى لتهيئة حُلة الكعبة، وأنه لا حاجة لأيّ من الملوك في تهيئة ذلك. وأمّا ما يتعلق بالقناة فقد ذكر الملك الأشرف شاهرخ أن في مكّة آباراً وعيون ماء كثيرة، ولا داعي لإنشاء غيرها (ويظهر أن الملك الأشرف لم يكن على علم أو اطلاع حول ما قصده شاهرخ من قنوات ومجارٍ مائية، ولعلّه حسبها كآبار عادية وعيون كالتّي توجد في مكّة).

وذكر ابن حجر كذلك أن ثلاثة مجلّدات من «فتح الباري بشرح البخاري» أرسلت إلى ملك الشرق.

غضب وتهديد:

كان لرفض حاكم مصر اقتراح شاهرخ وقعه الشديد على هذا الأخير، وأثار

غضبه وسخطه، فقام بإرسال مبعوث آخر يُدعى هاشم شريف الى القاهرة حمّله رسالة تهديدية لملك مصر. فوصل هاشم شريف القاهرة يوم الرابع والعشرين من شهر رمضان المبارك من تلك السنة. وخَلَتْ رسالة شاهرخ من البسمة والختم المعهود، والتي دَلَّت على مدّى غضب ملك الشرق (سلطان خراسان) واستيائه. وابتدأت الرسالة بالآيات الشريفة من سورة الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ...﴾ ولم يذكر شاهرخ أيّ لقب رسمي أو غير رسمي، وكانت الرسالة على العموم تنمّ عن تهديد ووعد لملك مصر. وعلى قول المقرئ كان الرسالة مدوّية كالرّعد وقوية كالصاعقة. وكان شاهرخ، مع كلّ ذلك، قد أرسل بهدية الى حاكم مصر ذكرها صاحب «بدائع الزهور» باسم «الهدية الغشروية».

إلا أنّ الملك الأشرف لم يخضع لرسالة شاهرخ ولا تهديدها، بل بعث جواباً عليها لا تقلّ شدة في اللهجة عن تلك التي أرسلها شاهرخ، وعلى رأي ابن أبياس «من دقّ الباب سمع الجواب». هذا وتكررت رسائل العتاب والمعاتبة، التي بعث بها شاهرخ إلاّ أنّه لم يلقِ النتيجة المرجوة. وكتب ابن تغري بردي - الذي تنمّ كتاباته عن آثار ومواطن كثيرة ترمز الى العنصرية واللّون - فيما يتعلّق بمسألة العناد، الذي أبداه الملك الأشرف ورفضه مقترح شاهرخ: لقد كان صمود وثبات الملك الأشرف إزاء مرامات شاهرخ ومطالبه - وذلك بعد فتح قبرص - أهمّ ما قام به الملك الأشرف طول سنيّ حكمه.

وكتب أيضاً: إنّ الملك الأشرف باحتكاره مسألة إكساء الكعبة بحلّتها قد حفظ لمصر هيبتها وحرمتها، ولحكام مصر شأنهم ومنزلتهم الى يوم القيامة. ولا جرم أنّ ما دُوّن من قبَل مؤرخين مصريين في هذا الشأن يدلّ بوضوح على أنّ ابن تغري بردي كان يُبالغ في كتاباته ويشطط فيها، وأنّه كان من المتملقين لحكام مصر، ويبدو من فحوى الرسالة التي بعث بها شاهرخ الى الملك الأشرف فيما بعد أنّ شاهرخ يقوم بطمأنّة الملك الأشرف على وصول هداياه.

مبعوث آخر:

كان تاج الدين علي بن عبد الله الشريف مبعوثاً آخر من قِبَلِ شاهرخ، حمل معه هدايا ورسالة تتضمن إثارةً للمقترح السابق، وكان تاج الدين صهر السيّد الشريف الجرجاني، كما روى ابن حجر الذي كان قد رآه بنفسه: وصل المبعوث المذكور في ٢٧ محرم ٨٣٨هـ. قام شاهرخ بذكر نذره السابق في الرسالة حول إرسال حُلّةٍ للكعبة الشريفة لتعليقها داخل الكعبة، وطلب من الملك الأشرف إرسال مبعوث من قبله إلى هرات ليستلم الحُلّة المذكورة.

فدعا الملك الأشرف قضاةً من المذاهب الأربعة، وأقام لهم مجلساً، وقرأ عليهم اقتراح شاهرخ، وطلب منهم إبداء رأيهم، وإصدار فتوى بهذا الشأن. فأجاب قاضي القضاة بدر الدين الحنفي: أن مثل هذا النذر لا أساس له.

هذا وقد انتقد ابن حجر قضاة المذاهب الأربعة أشدّ انتقاد، وذكر بعض أجوبتهم، التي لا تنسجم ومنطق العقل. وذكر ما قوله: «لقد قام بعض القضاة بكتابة الأسئلة والأجوبة المتعلقة بهذا الموضوع دون أن يُطلب منهم ذلك. وكتب البعض الآخر قائلين: إن من شأن هذا النذر أن يعطل الوقف وهو ممّا لا يجوز». وكتب أحدهم يقول: «إنّه لما كان هذا العمل من شأنه أن يتحكّم بسلطان مصر فهو غير جائز». وأمّا السلطان فقد كان رأيّه غلق هذا الباب تماماً؛ لئلا يتيح لسلطين آخرين فرصة إكساء الكعبة. ويذكر ابن حجر أن رأيّه كان كما قال السلطان؛ لأنّ من شأن هذا العمل أن يفتح المجال للآخرين للدخول إلى هذا الملعب.

ورافق الشريف تاج الدين، أثناء عودته إلى خراسان، أقطوة موساوي مؤيّد المضيّف حاملاً رسالة جوابية من السلطان في مصر إلى شاهرخ.

أمر الكعبة مناط بملوك مصر:

وكتب الأشرف في رسالته إلى شاهرخ: أن مسألة إكساء الكعبة الشريفة أمرٌ مناط بملوك مصر ومتعلّق بهم دائماً وهم، أي ملوك مصر، يقومون بتهيئة الأموال

اللازمة لعمل ذلك من دار الأوقاف المخصّص لهذا الغرض. وكان السلطان الأشرف قد اقترح على 'شاهرخ' أن يبيع الخلّة، التي صنعها للكعبة ويتصدّق بها على فقراء مكّة إن هو أراد أن يفيّ بنذره ممّا سيضاعف له الثواب، ويستفيد أكبر عدد ممكن من الناس من ذلك المال.

وفي ٤ شوال وصلت رسالة من شاهرخ الى القاهرة تتضمن تهديداً وانتقاداً لما يؤخذ من التجار من أموال باسم (حقّ النزول الى الميناء)، وتلمّح الرسالة ضمناً أنّ شاهرخ يعتزم التحرك باتجاه القدس الشريف.

وأما اقطوة - مبعوث سلطان مصر - فقد رجع الى القاهرة في ٢٨ جمادى الآخر عام ٨٣٩هـ. ثم وصل على إثره في صباح اليوم التالي الشيخ صفا مبعوث شاهرخ الى القاهرة حاملاً رسالة أخرى من ملك الشرق.

كيف عومل الرسول؟

استقبل الملك الأشرف الشيخ صفا الهروي في الاصطبل السلطاني، وقام الشيخ بتلاوة رسالة شاهرخ بصوت عالٍ، وكان الملك الأشرف يستمع. وأمّا الرسالة فكانت تسمّى - بلسان شاهرخ - سلطان مصر نائباً لشاهرخ، ويأمره فيها أن يبدأ خطبته ويضرب المسكوكات النقدية باسمه. فلما انتهى الشيخ من قراءة هذه الفقرة من الرسالة، تقدّم الشيخ نحو السلطان ليسلمه الخلعة، التي أرسلت إليه من خراسان لكي يلبسها، وكذلك أرسل مع الخلعة المذكورة تاجاً للملك الأشرف.

فشاط بالملك الأشرف الغضب، وأمر بتمزيق الخلعة، وأمر بالشيخ التّعيس فضرب ضرباً مبرحاً، وغطّس بالمسكين في حوض الاصطبل في يوم ذي زمهرير، حتى شارف الشيخ على الموت، ولم يتجرأ أحد على التوسّط لإنقاذه. ويقول ابن تغري بردي ما شرحه: أنّه لم ير السلطان في هذه الحالة من الغضب فيما مضى قطّ. ثم دعا السلطان الشيخ صفا وسلمه رسالة تحتوي على مضامين عنيفة وعبارات شديدة جواباً على من بعثه. ومن بعض ما قاله السلطان في رسالته هو أنّه لن يقبل

شاهرخ هذا أن يكون حتى أصغر حراسه الليليين في أقصى قرية تقع تحت ملكه، وهو يدعو نائباً له على مصر. فأمر أن يُطرد مبعوث شاهرخ ومراقبيه من مصر ويركبوا البحر راجعين. فوصل الجماعة إلى مكة، وظلّوا هناك حتى جاء موسم الحج فأدّوا المراسم، وطفقوا راجعين إلى بلدتهم.

وأما ابن تغري بردي فقد وصف ضرب وشتم مبعوث شاهرخ وتمزيق الرسالة بأنّه من أفضل أعمال الملك الأشرف وأقدرها، وقام بكيال المديح له على فعلته تلك، التي لم تكن لتُضاهيها فعلة أخرى طول فترة حكم السلطان المذكور. وأما الملك الأشرف فلم يبق على قيد الحياة بعد تلك الواقعة طويلاً، حيث مات سنة ٨٤١هـ. وتسلم العرش مكانه ابنه الملك العزيز، الذي لم يدم حكمه فترة طويلة، وخلع عن ملكه وارتقى العرش مكانه الملك الظاهر.

حلم السائس الذي تحوّل إلى واقع!

في يوم ١٢ جمادى الآخرة سنة ٨٤٣هـ. دعا الملك الظاهر مبعوث شاهرخ القادم من هرات، وكتب مؤرخو خراسان من جملتهم عبد الرزاق وخواند مير يقولون: كان جقماق بيك - وهو نفسه الملك الظاهر - سائساً أيام حكم الملك الأشرف. فرأى في ليلة حلماً وكأن شاهرخ رفعه وأجلسه على العرش. فلما وصل جقماق هذا إلى الحكم، أرسل مبعوثاً إلى شاهرخ في هرات يُدعى جيچكتوقا، الذي كان من الأمراء الخاصين عنده. فوصل جيچكتوقا إلى هرات في ٨٤٣هـ. ووُفق إلى تقبيل يد شاهرخ.

مبعوث مصر يلقي حفاوة بالغة:

سأل شاهرخ المبعوث المصري عن أحوال الملك الظاهر بعد أن أجلسه عن يمينه، وأقيم له استقبال منقطع النظير وضيافة كريمة، وكانت معظم الأواني والأطباق المستخدمة في تلك الضيافة مطعمة بالجواهر الحمراء. وأقام له الأمراء الآخرون ضيافة مستقلة وقدّموا إليه هدايا ثمينة جداً.

علماء مصر يطلبون كتباً من خراسان:

وفي هذه المرة على عكس المرة السابقة طلب علماء مصر من خراسان كتباً عدّة. وتقدّم جيچكتوقا بطلب من السلطان جقماق (الملك الظاهر) لإرسال خمسة كتب قيّمة من مكتبة هرات هي:

- ١- تأويلات أهل السُنّة والجماعة للشيخ أبو منصور الماتريدي.
- ٢- التفسير الكبير للعلامة الرازي.
- ٣- شرح تلخيص جامع للخواجه مسعود البخاري.
- ٤- شرح الكشف لمولانا علاء الدين بهلوان.
- ٥- الروضة، في المذهب الشافعي.

وروى خواند مير أنّه بالرغم من وجود تلك الكتب في مكتبة هرات إلا أن تلك الكتب أمر بها أن تُكتب بخط جيّد وجديد وتمّ فهرستها، وأعطيت إلى جيچكتوقا. وبعد أن تسلّم جيچكتوقا مبلغ (٥٠) ألف دينار وهدايا ثمينة أخرى عاد إلى مصر. وأعطى لكلّ خادم له وهم خمسون، ألف دينار كهدية له إضافة إلى الفرس والحلّة الشخصية. ثم أمر شاهرخ حكامه في اصفهان وشيراز ويزد وكاشان أن يقوموا باستقبال مبعوث مصر ومرافقيه أحسن استقبال، وأن يقدموا لهم ما استطاعوا من الهدايا.

المبعوث الذي قضى نحبه في الطريق:

قام مولانا حسان الدين مباركشاه پروانجي أحد علماء هرات بمرافقة مبعوث السلطان المصري حتى مصر إلا أنّه قبل بلوغه القاهرة توفي في (١٣) ربيع الآخر ٨٤٤هـ) وقام ابنه خواجه كلان أو كلال نيابة عنه بإيصال هدية شاهرخ ورسالته إلى القاهرة.

عاصمة مصر تزدان بمبعوثي خراسان:

وصل الخواجه كلال ومرافقوه إلى القاهرة في ٢٦ ربيع الثاني ٨٤٤هـ. وكانت

العاصمة المصرية قد زُيِّنَتْ بالمصاييح في كلِّ ركن منها، وخرج ابن سلطان مصر مع جماعة من الأمراء؛ لاستقبال الوفد القادم. ووصف ابن تغري بردي والمقريزي ذلك اليوم بأنه كان يوماً مشهوداً، وأن القاهرة لم تشهد طول حياتها مثل ذلك اليوم. وكان شاه رخ قد أرفق رسالته بهدايا قيِّمة شملت (١٠٠) فصٍّ من الفيروز و(٨١) بالة من الحرير، وعدداً من الحُلل والجلود والقرب، وثلاثين بعيراً خراسانياً وأشياء ثمينة أخرى. وتسلم المبعوثون الخراسانيون بالمقابل هدايا قيِّمة كذلك. ثم توفي الخواجة كلال ودُفِنَ الأب والابن معاً في القدس الشريف بصورة مؤقتة.

مَنْ صَبَرَ ظَفَرَ!

غادر السيد محمد زمزمي في ٨٤٧هـ. إلى مصر، فوافق الملك الظاهر على طلب شاه رخ لإكساء الكعبة بالحُلَّة وأن يفي بنذره كيف ما ارتأى. فأنيط أمر نقل الحُلَّة إلى بعض من كبار رجال خراسان منهم الشيخ محمد المرشدي شيخ الإسلام وشمس الدين محمد أبهرى. ويروي مؤرخو مصر أن إحدى زوجات تيمورلنك كانت ترافق القافلة المذكورة.

حُلَّة يزدية:

كان قد تمَّ صنع حُلَّة الكعبة الشريفة في دار العبادة في يزد، ثم أرسلت إلى هرات وحُفِظَتْ في خزانة العاصمة. فحمل المبعوثون في هذه السنة (٨٤٨هـ) تلك الحُلَّة وتوجهوا إلى مصر.

كانت ترافق الحُلَّة مجموعة مؤلفة ممَّا يقارب مئة شخص. فلما وصلت القافلة إلى الشام استقبلهم أمراء وأعيان تلك المنطقة بحفاوة بالغة. وأثناء وصولهم إلى مصر في يوم الخميس ١٥ شعبان ٨٤٨هـ. خرج جمعٌ من المقرَّبين إلى الملك الظاهر وبعض خواصه؛ لاستقبال القادمين، وأنزلهم في دار جمال الدين المحافظ في ناحية بين القصرين. ثم تمَّ استقبالهم من قِبَل الملك الظاهر سلطان مصر يوم الاثنين ١١ رمضان ٨٤٨هـ. وكان قد أصدر السلطان أمراً بإعداد حفلٍ بهيٍّ ترحيباً بالضيوف،

وقد وصف السخاوي وابن تغري بردي ذلك الحفل بإسهاب وإطناب.

السَّرَقَةُ تَطَالُ الْمَبْعُوثِينَ:

بالرغم من أنَّ السلطان كان قد أمر بوضع ما أُتِيَ به المبعوثون من الهدايا، وكذلك حُلَّة الكعبة في مكان آمن وأمين، إلا أنَّ مجموعة من المماليك الذين بلغ عددهم (٣٠٠) نفر قامت بالهجوم على الضيوف أثناء عودتهم من قصر السلطان إلى منزلهم، وسلبوا ما كان معهم من الهدايا والأشياء النفيسة الأخرى من كُتُب وفُصُوص وقِرَب وذهب وجلود..

وهُرعَ اثنان من أمراء مصر وهما يلخجا (يل خواجة) وبنال علايي دوادار والأمير تنبك حاجب الحجاب على إثر سماع صياح وأصوات المبعوثين الخراسانيين وانقذوهم من براثن اللصوص.

السلطان يقدّم اعتذاره

ويروي عبد الرزاق السمرقندي أنَّ السلطان تأثر كثيراً بعد سماعه نبأ الهجوم على المبعوثين الخراسانيين وقال: لقد أغضبَ المشاغبون صديقي وألبوه عليّ. فقدّم اعتذاره لخراسان، ثم أمر بإرجاع كلِّ ما سُلِبَ إلى أصحابه، وأغدق عليهم من الهدايا ما زاد عما فقدوه.

معاقبة اللصوص:

عوقِبَ المماليك الذين قاموا بالهجوم على المبعوثين، وقطعت رواتب بعضهم، وقُيِّدَ البعض الآخر بالسلاسل وطيف بهم في طول المدينة وعرضها، ونودي بين الناس أنَّ هذا هو عقاب من يقوم بسرقة أموال حجّاج بيت الله. ثم بعث سلطان مصر بجُجّاج مصريين رافقوا المبعوثين الخراسانيين إلى مكة، وعُلِّقت الحُلَّة أخيراً داخل الكعبة في يوم عيد الأضحى المبارك، ثم عاد المبعوثون إلى هرات بعد أدائهم مراسم الحجّ، وعند وصولهم إلى هناك قاموا بتقديم تقرير مفصّل عن رحلتهم تلك المليئة بالمغامرات إلى شاه رخ.

(المصادر)

- ابن إياس الحنفي، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٢ ص ٢٤٤ - ٢٤٥.
- ابن تغري بردي يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ١٤، ص ٧٧، ٢٦٥ - ٢٦٦، ج ١٥، ص ٣٦٤ - ٣٦٦.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، أنباء الغمر بأبناء العمر، بيروت، ١٤٠٦ هـ. ج ٨، ص ٤٩، ٣٢٩ - ٣٣٠.
- خواند مير، غياث الدين محمد، حبيب السّير، طهران، ج ٣، ص ٦٢٦ - ٦٣٣.
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، التبر المسبوك في ذيل الملوك، القاهرة.
- عبد الرزاق السمرقندي، مطلع اليفسدين ومجمع البحرين، مخطوطة.
- القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، بيروت ١٤٠٧ هـ.
- المقرئ، تقي الدين أحمد، السلوك لمعرفة دول الملوك، القاهرة، صفحات مختلفة.

كلمة التحرير	٥
الحج في أحاديث الإمام الخميني ١	٨
الحج في أحاديث الإمام الخامنئي - مد ظله العالی -	١٠
مناسك الحج، للمحقق الكركي	١٢
من معالم الحج والزيارة	٤٤
يللملم	٤٤
شروط حج المرأة في بحث فقهي مقارن	٦٥
تحول القبلة ومسجد القبلتين	٩٣
أم المؤمنين خديجة	١٢٣
رحلة رجل من البلاط القاجاري	١٤٢
شعر الحج	١٦٩
مهمات مشبوهة في الديار المقدسة (٢)	١٧٣
من الآيات البيّنات: مقام إبراهيم ٧	١٩١
أين مكانه؟ وهل تغير؟ وهل يتغير؟	١٩١
لقاء وحوار	٢٠٧
الحلّة الخراسانية تكسي الكعبة الشريفة	٢٣٨
الوضع الاقتصادي	٢٥٠

ضياء الدين الصابوني

أربعة

المحفة، ولأهل اليمن يللم، ولأهل الجعفري القمي.

لا يشترط إذن الزوج للزوجة في الحج الواجب^(٢٦).

وقال أيضاً في خصوص قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾: هذه الآية لا تتناول النساء حال عدم الزوج أو المحرم؛ لأن المرأة لا تقدر على الركوب والنزول بنفسها، فتحتاج إلى من يركبها، وينزلها، ولا يجوز ذلك لغير الزوج والمحرم فلم تكن مستطاعة في هذه الحالة فلا يتناولها النص...^(٣٧)

لانتفاء وجود الزوج بوفاته.

أبي هريرة. استعداداتها

عباس تلك الرواية التي ذكرناها تعارض ما قال ولا تفيد شيئاً.

شعبان

الحرام، وقد رجعت إلى طهران في الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٩٧، وما رأيت عيني في هذه الرحلة، كتبه يدي في السطور

يطؤوه

الوفادة إلى الله تعالى وطلب الزيادة،
 منهم إلى الديار المقدسة والحمد لله، وقام
 «إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار
 عني فإني قريب أجيب دعوة الداع
 هؤلاء الذين سما بهم الفكر إلى أن
 صلوات الله وسلامه عليهم، فقد كانوا
 يتواصوا لتيسير فريضة الحج؛ ليحج
 وعندهم اتحادات تنظم أمورهم،
 آزر» هذا وجه.

فدعا فدعا الإصطبل

شاهرخ هذا أن يكون حتى أصغر حراسه الليليين في أقصى قرية تقع تحت ملكه،
 وقُبِدَ البعض الآخر بالسلاسل وطيف بهم في طول المدينة وعرضها، ونودي بين
 الناس أن هذا هو عقاب من يقوم بسرقة أموال حجاج بيت الله.

كلمة التحرير	٥
الحج في أحاديث الإمام الخميني ١	٨
الحج في أحاديث الإمام الخامنئي - مد ظله العالی -	١٠
مناسك الحج، للمحقق الكركي	١٢
من معالم الحج والزيارة	٤٤
يللمم	٤٤
شروط حج المرأة في بحث فقهي مقارن	٦٥
تحول القبلة ومسجد القبلتين	٩٣
أم المؤمنين خديجة	١٢٣
رحلة رجل من البلاط القاجاري	١٤٢
شعر الحج	١٦٩
مهمّات مشبوهة في الديار المقدّسة (٢)	١٧٣
من الآيات البيّنات: مقام إبراهيم ٧	١٩١
لقاء وحوار	٢٠٧
الحلّة الخراسانية تكسي الكعبة الشريفة	٢٣٨

الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية

كاظم النصيري

كان البدو يحترفون المهن، وكسب الرزق عن طريق الصناعة، وقد اقتصر عملهم فيها على مصنوعات بسيطة، يصنعها العربي لنفسه. أمّا الزراعة فإن الجفاف وطبيعة البلاد العربية، قد جعلت الأرض قاحلة. وحتى التجارة فإنه لم يكن للبدو خلق يؤهلهم لها، وقليلاً ما كانوا يمارسونها، بيد أنهم قد استخدموا حراساً للقوافل التجارية، أو أدلاء لها لقاء أجور يتقاضونها من أصحاب القوافل، الذين ربما استأجروا منهم جمالاً لنقل بضاعتهم. ومع كون التجارة هي المهنة التي يكتنون لها شيئاً من الاحترام أكثر من سواها، فإنهم كانوا يكرهون التكالب عليها، وينددون باندفاع قريش فيها. إنما كانت معيشة البدو قائمة على ما تنتجه مواشيهم من ألبان ولحوم يتغذون بها، ومن صوف ينسجون منه خيامهم ولباسهم، ومن جلود يستعملون منها قراباً أو أحذية يحتذونها. كما كانوا يعتمدون على الموارد التي تأتيهم من الغزو، الذي كان ركناً من أركان الحياة في الصحراء. ولم يكن نوعاً من اللصوصية، بالرغم من

أنه شبيه بها، بل كان في نظرهم نوعاً من الممارسة المباحة ومن التقاليد المتعارف عليها، إذ تغير قبيلة على أخرى بسبب عداوة بينهما، أو حتى بسبب كونها أضعف منها، تأخذ إبلها وماشيتها ومتاعها، وتسبي نساءها وأولادها، فتتحفز القبيلة المعتدئ عليها للأخذ بالثأر، وتتربص بالأولى، حتى إذا واثتها فرصة سانحة، انقضت عليها لتغزوها بدورها، وتسلبها ما تملكه، ثأراً منها لما فعلته بها. ومما درج عليه العرب أنهم يحتفظون بالسبي من نساء وأولاد، حتى ترسل قبيلتهم الفدية التي تطلبها القبيلة المنتصرة، كما كان المغيرون يتحاشون جهد استطاعتهم إراقة الدماء^(١).

فالبيئة البدوية بيئة غزو وغارات، وما ذلك إلا لأن الصحراء قليلة الموارد شحيحة بالنبات. فالقبيلة التي تشعر بأنها لا تملك ما يؤمن لها موارد الرزق والمعيشة، ترى من حقها أن تأخذ ممن يملك، حتى أصبح الغزو جزءاً من عقلية البدوي وطبعه.

التجارة في الحضر:

يختلف الأمر بالنسبة للحضر، ذلك أن التجارة هي التي حظيت بالاهتمام في المجتمعات الحضرية، فأقبل القوم عليها إقبالاً شديداً إلى درجة أن المؤرخ اليوناني (سترابون) الذي اهتم بأحوال العرب في الجاهلية، كان يرى أن كل عربي فيها تاجر أو دليل^(٢). ويقول (درمنجهيم): إن العرب كانوا الرواد الأوائل للتجارة العالمية، ولم يكن باستطاعة (الرومان) القدماء الاستغناء عنهم في هذا الميدان. وبلغ من أهمية التجارة لديهم، أن الملوك والزعماء كانوا أحياناً تجاراً، فلوك المناذرة كانوا يرسلون (القوافل التجارية) إلى أسواق الحجاز في كل عام، كما كان ولاية الأمر في تدمر قد مارسوا التجارة، وكذلك عليّة قريش ورؤسائها.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن التجارة كانت العامل الهام في نشوء دولة الشمال العربي. وكان أثرها كبيراً على أوضاع دول الجنوب العربي، من حيث

تذبذب عواصمها، وانتقالها تبعاً لانتقال الأهمية التجارية من مكان إلى آخر، حتى أن سقوط بعض الدول ونشوء غيرها، سواء في الجنوب أو في الشمال، كان على الغالب مبنياً على أساس ازدهار التجارة في الدولة الجديدة الناشئة، وانحطاط التجارة لدى الدولة الزائلة بسبب تحوّل الطرق التجارية عنها، وانحيازها إلى الدولة الناشئة. فضلاً عن ذلك، فإن العامل التجاري قد كَيّف سياسة الدول الأجنبية المحيطة بشبه جزيرة العرب، وحدّد موقفها تجاه بعض الدول التي قامت فيها، إذ طمعت فيها كلّ من بيزنطة والحبشة، وصمّمت إمّا على انتزاع مقاليد التجارة من يدها، بالسيطرة على المسالك التجارية الهامة التي تصلها بالشرق الأقصى، أو باحتلالها. والواقع أن بعض أطراف شبه الجزيرة قد رزحت تحت الاحتلال الحبشي..^(٣)

تجارة مكّة:

يقول (درمنجهيم): إنّ الازدهار التجاري الذي تصيبه شبه جزيرة العرب بعامة ومكّة بخاصة، كان مرتين بطريق الهند، فبحسب أن يمرّ الطريق إلى الهند من الشمال عبر وادي الرافدين - فارس - أفغانستان أو من الجنوب والغرب، عبر شبه جزيرة العرب والخليج واليمن، يكون العرب إمّا فقراء أو أغنياء^(٤). والواقع أن مكّة قد استفادت من وقوعها على طريق (الهند)، ذلك أن القوافل التجارية الآتية من (اليمن) ببضائع (الهند)، والذاهبة إليها، كانت تمرّ فيها بوصفها محطة تجارية، لا بدّ لها من النزول فيها. كما أعان على ازدهار مكّة وارتقائها من محطة تجارية إلى مدينة عامرة تدهور العلاقات بين إيران وبلاد الشام البيزنطيتين، ونشوب حروب طويلة بين الطرفين، في القرنين اللذين سبقا ظهور الإسلام، مما أدى إلى تعطيل التجارة بين بلاد الشام والهند عبر إيران وأفغانستان، وإلى انتقال النشاط التجاري إلى شبه جزيرة العرب، وخاصة إلى ساحلها الغربي الواقع على البحر الأحمر، فاتّجه المكيون إلى التجارة، وانصرفوا إليها بكليتهم، ولا سيما أن سقوط اليمن في

أيدي الأحباش، قد أدّى إلى خروج مقاليد التجارة من أيدي اليمنيين، وانتقالها بطبيعة الحال إلى أيدي المكّيّين، فعوّضتهم التجارة ما حرمتهم الطبيعة من موارد الزراعة، بسبب كون الحجاز اقليماً يسوده الجفاف والفقر في النبات. أسهم المكّيّون إضافةً إلى نشاطهم التجاري الداخلي، في التجارة العالمية، فتاجروا مع مصر والحبشة، عبر البحر الأحمر عن طريق ميناء الشعبيّة؛ الذي كان ميناءً لمكّة في العهد الجاهلي ومع اليمن، ولا سيما بعد أن نظّم هاشم بن عبد مناف رحلتي الشتاء والصيف، الأولى إلى اليمن والثانية إلى الشام، فجعلهما منتظمين^(٥). وكان لقريش عداهما رحلات تجارية تسير في أوقات مختلفة غير معينة، فأرسل المكّيّون قوافلهم إلى أسواق الحيرة، كما أرسلوها إلى الشام، يحملون إليها بضائع الهند من مجوهرات وتوابل وأقمشة نادرة، وبضائع الصين من ملابس حريرية مترفة للأباطرة والرهبان ورجال البلاط، ومن عطور وبضائع شرقي أفريقيا ومن ريش نعام وعاج ومسحوق الذهب وصبوغ للكنائس، علاوة على صادرات الجنوب العربي من بخور ولبان وجلود ومعادن ثمينة وعطور^(٦)، ويعودون منها بالحبوب والزيت والخمور، والمنسوجات القطنية والكتانية، والحريرية، وحتى بالأسلحة التي كانت بيزنطة تفرض الحظر على تصديرها، فيلجأ العرب إلى تهريبها. وكان ارتحال القوافل أو قدومها يثير ضجة عظيمة في مكّة، فما أن يعلن عن قدوم إحداها حتى يهب سكانها في شبه هيجان، ويستقبلوها بالدفوف والهاثافات^(٧)، لم تكن تجارة قريش ضيقة المجال، بل كانت عظيمة الاتساع، ولم تكن قوافلها ملك أفراد، بل كانت تعبيراً عن آمال مدينة بأسرها، تحمل أموالاً لأهل مكّة جميعاً، منهم من يسافر معها، ومنهم من يستأجر رجالاً يقومون بهذه المهمة، ويسهم الجميع في رأس مالها، وقد تبلغ قيمة أسهم أحدهم كأبي أحيحة بن سعيد بن العاص بن أمية، وهو من أبرز أثرياء مكّة، (ثلاثين ألف دينار)، وقد لا يتجاوز سهم أحد الفقراء منهم نصف دينار. ويصل

عدد الإبل السائرة فيها إلى أكثر من (١٥٠٠) بعير، شاهد (استرابون) إحداها فقال: إنها أشبه بجيش سائر، إذ يرافقها حراس يتراوح عددهم بين (٢٠٠ - ٣٠٠) مسلح^(٨).

والواقع أن تجارة قريش كانت تسير بقوافل لضمان حماية الأموال، إذ يرافقها رؤساء وحراس وأدلاء يقل عددهم أو يكثر، بحسب قلة الأموال الثمينة التي تحملها أو كثرتها.

ويختار الادلاء من القبائل التي تمر القافلة في أراضيها، لأنهم أعلم بطرقها من غيرهم، وأكثر خبرة بمواطن الماء والكلاء، وأكثر علماً بمكامن الخطر الذي قد تتعرض له القافلة، كوجود عوارض طبيعية، يمكن أن يتخذها اللصوص وقطاع الطرق كمائن للإغارة عليها. كما يحرص المكثون على أن يكون رؤساء القوافل وحراسها، من الشجعان القادرين على تأمين حمايتها. ويعقدون الاتفاقات مع رؤساء القبائل التي تمر القوافل في أراضيهم، ويدفعون لهؤلاء الرؤساء أتاوات وهدايا كي يسمحوا لها بالمرور، ويتعهدوا بحمايتها من اللصوص وقطاع الطرق، حتى إذا تعرض للقافلة أحد من هؤلاء بسوء، كان من واجب الرئيس المتعاقد معه، الذي يقع الاعتداء في منطقته، أن يتعقب المعتدين ويؤدبهم، وأن يعيد الأشياء المنهوبة إلى أصحابها. وكان التجار يضيفون مبالغ هذه الأتاوات والهدايا إلى أسعار مبيع البضائع، الأمر الذي يجعلها غالية الثمن. وكثيراً ما كان أصحاب البضائع يلجأون إلى الوسائل المعنوية لحماية تجارتهم، مثل تقديم الهدايا والقرايين للآلهة عند مغادرة قوافلهم أو عند عودتها، وقد اتخذ بعض الأقوام كالانباط والتدمريين إلهاً خاصاً لحماية القوافل (ذو الثرى) عند الانباط و(ساعي القوم) أي حامي القوافل عند التدمريين.

ويعقد القائمون على الحكم العهود والمواثيق مع رؤساء وحكام الدول المحيطة بهم، التي تقصدها قوافلهم، وهي التي تخوّلهم حقّ المرور في أراضيهم والاتجار فيها

وتوفير الأمان لها وحسن الجوار^(٩). أشبه شيء بالاتفاقات التجارية، التي تعقد بين الدول في أيامنا الحاضرة، ووفقاً لهذه العهود يتاح للتجار القرشيين التنقل في البلاد التي تعقد معها دون أن يعترضهم أحد، كما يتاح لأي دولة منها إذا شاءت أن تراقب الوافدين إليها. فالقوافل العربية التي كانت تقصد الشام كانت تتسوق من أسواق عينتها الحكومة البيزنطية لتحصل منها الضرائب، ولتراقب الوافدين الأجانب إلى بلادها^(١٠).

وقد اعتمد الروم البيزنطيون على تجارة مكة في كثير من شؤونهم ووسائل ترفهم، ولا سيما في الحصول على الأقمشة الحريرية المزركشة الموشاة، ولم يكن بوسعهم الاستغناء عما يأتونهم به. وقد ذكر بعض مؤرخي الغرب أنه كان للبيزنطيين بيوت تجارية في مكة يستخدمونها للشؤون التجارية وللتجسس على أحوال العرب^(١١).

وتقاسم بنو عبد عوف النشاط التجاري في مختلف البلدان المجاورة، فكان هاشم الذي يروى أنه قد حصل على عهد أمان من القيصر البيزنطي لتجار مكة، يذهب إلى الشام، وعبد شمس الذي حصل على عهد مماثل إلى الحبشة، والمطلب إلى اليمن، ونوفل إلى فارس، وكلّ منهما حصل على عهد (إيلاف) من كلّ من ملكي اليمن وفارس^(١٢). وقد نشطت التجارة في عهد عبد المطلب بن هاشم، وازدهرت مكة وأصبحت مركزاً للصيرفة، كما يقول المستشرق (أوليدي)، ويمكن أن يدفع فيها التجار أثمان السلع، التي يُتجر بها مع بلاد بعيدة، وكانت عمليات الشحن والتفريغ للتجارة الدولية تتم في مكة، ويجري فيها التأمين على التجارة عند نقلها من مكة إلى مختلف الجهات عبر طريق محفوفة بالمخاطر^(١٣). وقامت طبقة من الصيارفة، يؤمنون للتجار عملات الدول الأجنبية التي يتعامل معها القرشيون. ومثلما كان لبيزنطة وفارس، وربما للحبشة أيضاً، ممثلون تجاريون في قلب مكة، كان لمكة أيضاً وكلاء تجاريون في أماكن مختلفة مثل غزة والشام ونجران.

كما كان يأتي إلى مكة قلة تجاراً جانب من روم و فرس وغيرهم سكنوا فيها، وخالطوا أهلها؛ وتحالفوا مع أثريائها، وأقام بعضهم فيها لقاء جزية سنوية يدفعونها لهم، لتأمين حمايتهم ولحفظ أموالهم وتجارتهم. وقد اتخذ بعض التجار الأجانب مستودعات فيها، لحزن بضائعهم التي يأتون بها كالقمح والزيت والزيتون والحمور^(١٤)، وقد أدّى اختلاط قوافل تجار العرب من قديم الزمن بعرب الشام وغيرهم، إلى تسرّب كثير من الكلمات التجارية والحضارية من يونانية وغير يونانية إلى لغة العرب فتعربت بمرور الزمن في العهد الجاهلي^(١٥). ومما يدل على اهتمام الحجازيين بالتجارة كثرة الكلمات والعبارات المجازية، التي وردت في القرآن الكريم، سواء فيما يتعلق بالتجارة مثل الحساب والميزان والقسط والمثقال والذرة والقرض والربا والدينار والدرهم الخ... أو فيما يخاطب التنزيل الحكيم قريشاً باللغة، التي تفهمها وهي التجارة، من ذلك الآيات الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ • تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١٦).

يقول (درمنجهايم): إن القرشيين قد تميزوا عن العرب جميعاً بحسن تذوقهم للعمل التجاري، فدعموا عملياتهم التجارية بتنظيم مالي ومصرفي مدهش، واستعملوا عملات مختلفة منها الدينار البيزنطي، الذي كان له المقام الأول في شبه الجزيرة، ومنها عملات يونانية أو فارسية (الدرهم الفضي الفارسي)، أو حميرية كما كان لهم موازين عامة، ويعتقد بأنهم استعملوا الميزان ذا الكفتين، كما يستدل من بعض الآيات الكريمة، ومكايل (صاع، مد، ربع صاع) أشار إليها القرآن الكريم. وكان لهم موازين خاصة دقيقة يزنون بها السبائك الذهبية الخام، ومكايل خاصة يكيلون بها مساحيق الذهب. وقد عمد التجار المكيّون إلى استعمال دفاتر حسابات تولوا مسكها، كما استعملوا أختاماً وأساليب معقدة ورموزاً في الكتاب

كانت تثير تهكم البدو لجهلهم بها^(١٧).

لم يكن التجار القرشيون يجمدون أموالهم الفائضة، بل كانوا يوظفونها في مشاريع استثمارية خارج الحجاز. فقد كان آل أبي ربيعة يشغلون أنوالاً لنسج الحرير في اليمن، وكان لأبي احيحة الثري الكبير أموال موظفة في مشاريع زراعية في الطائف، ولأبي سفيان أملاك وولايات تجارية في شرق الأردن وفلسطين، ولعقبة بن أبي معيط مركز تجاري في مدينة صفورية بفلسطين. ومن الدراسات التي قام بها بعض المستشرقين يستدل على أن تجار مكة كانوا يراعون بعض المعاملات التجارية المالية، ويذكر الباحثون بعض الطرق التي كانوا يتبعونها، مثل طريقة عقد القرض، وطريقة الشراكة والمضاربة، إذ كانت تكتب بها صكوك، فيقدم امرؤ مالاً ويأخذ ربحاً، فيصبح شريكاً مضارباً، دون أن يشترك في العمل. وكثيراً ما كان الفقراء أو البدو البسطاء ضحية أساليب الغش، التي يلجأ إليها التجار من ذوي الضمائر الفاسدة، أو الصيارفة الجشعون، الذين كانوا يقرضون المال بفائدة فاحشة تزيد عن (٥٠ في المائة) أو حتى (مائة في المائة) أو السمسرة والوسطاء المريبون، الذين يبتغون جمع الأموال دون ما حاجة إلى رأس مال^(١٨)، كما كانوا فريسة للمزورين الذين يكتبون بالقروش المؤداة إلى المدين مستندات يسجلون فيها ضعف المبلغ الذي يؤدونه له، والذين كانوا يستعملون أساليب لا حصر لها في الخداع والغش، فيحصلون على فوائد القروض مضاعفة، وتضاعف كلما تأخر المدين عن أداء الدين السابق، وهو الذي عبر عنه التنزيل الحكيم باسم (الربا) وحرّمه. ومن التجارة التي راجت في مكة تجارة الرقيق، فأصبحت أكبر سوق لها، كما اصطبغت مكة بصبغة دولية، لكثرة ما كان يرتادها من غرباء جاءوا من أمم ومن أصقاع مختلفة، وأصبحت تعجّ بهم عجباً، بينهم فرس وروم وأحباش وزنوج، كما كان منهم النصارى واليهود، يشكلون جاليات جاء أفرادها للتجارة أو للعمل اليدوي في البناء والزراعة والصناعة، أو جاء بعضهم هرباً من

الاضطهادات الدينية في بلادهم الأصلية، مثل المسيحيين واليهود، وهذا ما يفسر لنا ما دخل لغة قريش من ألفاظ رومية أو فارسية أو حبشية وغيرها^(١٩).

أسواق العرب:

كان للعرب أسواق تجارية عامّة، يقصدها الناس من شتى أنحاء شبه الجزيرة للبيع والشراء. وقد اختيرت لها الأماكن المناسبة، من حيث الاتساع والقرب من المدن المتحضرة وتوفر الماء. وهي تكون عادة محاذية للسواحل، حيث المنخفضات، التي تتجمع فيها السيول الهابطة من المرتفعات المجاورة، أو مجاورة للوديان التي تتوفر فيها البنايع، أو متمركزة في واحات هي في الوقت نفسه محطات للتزود بالغذاء والماء، ومراكز تجارية ترتادها القوافل للبيع والشراء والراحة. ولم يكن عرب شبه الجزيرة فقط هم الذين يقصدون هذه الأسواق، بل كان يأتيها تجار من خارج البلاد. فقد كان الروم مثلاً يتوغلون إلى مسافات بعيدة في أراضي العرب الشاسعة للبيع والشراء^(٢٠).

من هذه الأسواق ما هو دائم، ومنها ما هو موسمي مؤقت، يعقد في شهر معين من السنة، ومنها ما هو عام يرتاده العرب من شتى أنحاء شبه الجزيرة، أو ما هو محلي يتم فيه التبادل بين التجار والبدو المجاورين. ومع أن هذه الأسواق اقيمت لغاية أساسية هي التجارة وتبادل السلع المختلفة من طعام وشراب وثياب وسلاح وخيل وإبل، غير أنها لم تكن تقتصر على هذا الأمر، بل كان الشعراء والخطباء والمبشرون الدينيون من مسيحيين، وغيرهم يقصدونها للمباراة في الشعر والخطابة وبحث الدعوات الدينية. ومما يُرى أن الرسول ﷺ كان يخرج إلى هذه الأسواق، ويعرض دينه على القبائل العربية، التي ترتادها لهدايتهم. وربما جاء أحدهم لبحث عن غريم، أو عن عبد هرب من داره، أو عن دابة سُرق له^(٢١)، أو ليسعى. وفي هذه الأسواق، لاسيما في سوق عكاظ، كان العقلاء ينتهزون فرصة اللقاء الزعماء من شتى القبائل، ليوفقوا بين المتخاصمين منهم والمتنازعين،

وليصالحوا بين قبيلة وأخرى تقتتلان، وتحلّ المشاكل الموجهة للنزاع من دفع ديات أو وفاء بالتزامات، أو دفع ديون. كما تعقد فيها عهود الجوار والمحالفات، وتعلن فيها القرارات التي تتخذها القبائل لخلع السفهاء من أفرادها. كانت الأسواق منتشرة في جميع أنحاء شبه جزيرة العرب، وموزعة على أيام السنة كلها بوجه التقريب. يقول القلقشندي^(٢٢): «كان للعرب في الجاهلية أسواق يقيمونها في شهور السنة، وينتقلون من بعضها إلى بعض، ويحضرها سائر قبائل العرب، من بعد منهم ومن قُرب، فكانوا ينزلون دومة الجندل أول يوم من ربيع الأول فيقيمون أسواقها بالبيع والشراء والأخذ والعطاء فيعشرهم رؤساء آل بدر في دومة الجندل، وربما غلب على السوق بنو كلب فيعشرهم بعض رؤساء كلب، فتقوم سوقهم إلى آخر. ثم ينتقلون إلى سوق هجر، من البحرين في شهر ربيع الآخر فتقوم أسواقهم بها. وكان يعشرهم (المنذر بن ساوى) أحد بني (عبدالله بن دارم)، ثم یرتحلون نحو عمان بالبحرين، فتقوم سوقهم بها، ثم یرتحلون فينزلون عدن من الين أيضاً، فيشترون منه اللطائم وأنواع الطيب، ثم یرتحلون فينزلون الرابية من حضر موت، ومنهم من يجوزها إلى صنعاء، ثم تقوم أسواقهم بها ويجلبون منها الخرز الأدم والبرود، وكانت تجلب إليها من معافر، ثم یرتحلون إلى عكاظ في الأشهر الحرم، فتقوم أسواقهم ويتناشدون الأشعار ويتحاجون، ومن له أسير سعى في فدائه، ومن له حكومة ارتفع إلى الذي يقوم بأمر الحكومة، وكان الذي يقوم بأمر الحكومة فيها من بني تميم، وكان آخر من قام بها منهم (الاقرع بن حابس التميمي)، ثم يقيمون بعرفة يقضون مناسك الحج ويرجعون إلى أوطانهم». إن أشهر أسواق شرقي شبه الجزيرة العربية: سوق (المشقر) بالبحرين قرب هجر، وكان یرتادها ساكنو الجهات الشرقية والغربية من شبه الجزيرة، كما یرتادها تجار الهند وفارس. ویرتاد هؤلاء سوقاً أخرى في البحرين هي سوق هجر. وفي عمان وُجد سوقان احدهما سوق (دبا) وكانت مقصد الصينيين والهنود

إلى جانب من يقصدها من سكان شبه الجزيرة، والأخرى سوق (صحار). واشتهر في جنوبي شبه الجزيرة العربية: سوق (الشحر) في المهرة، وسوق (عدن) وسوق (الرابية) بمحضر موت وسوق (صنعاء) في اليمن. وفي شمالي شبه الجزيرة سوق (دومة الجندل) وتقع على منتصف الخط الواصل بين العقبة والبصرة تقريباً، وبالقرب من جبلي طي (أجأ وسلمى) وكان يتنافس على رئاستها كل من أكيدر العبادي من السكون، وقنافة من بني كلب أيهما كانت له الغلبة عثر السوق. وأكيدر هو صاحب حصن دومة الجندل الشهير، وقد دهمه خالد بن الوليد بمناسبة وقعة تبوك، وتغلب عليه فأسلم بعدئذ. كان البيع يجري في هذه بطريقة (بيع الحصة)، ولم يكن أحد ممن يرتاد السوق يشتري أو يبيع حتى يبيع (الأكيدر)، ملك السوق، كل شيء يريد بيعه، ثم يشرع في استيفاء المكس على بيوع رواد السوق^(٢٣).

أما غربي شبه الجزيرة، ولا سيما الحجاز فقد حفل بكثير من الأسواق، وكان السبب في كثرتها أولاً: وجود الكعبة كمركز ديني يستقطب الوافدين إليه لاقامة الشعائر الدينية، وبالمناسبة للقيام بالاعمال التجارية في أسواق أُقيمت لمد الحجاج بما يحتاجون إليه. ثانياً: وقوع حواضره الهامة على المسالك التجارية المارة من الجنوب إلى الشمال. ثالثاً: لأن المنطقة متعددة الفعاليات، ففيها تجارة قريش المزدهرة، وبعض الواحات والحرث التي يتعاطى أهلها الزراعة، وتكثر فيها الغلات، وتقوم فيها بعض الصناعات، كما في يثرب وفدك وتيماء وغيرها من الحرث التي سكنها اليهود. وقد اشتهر هؤلاء بصناعات كثيرة نقلوها إلى هذه الجهات، مما جعل في المنطقة حركة مبادلات تجارية نشيطة.

سوق عكاظ:

ومن أشهر أسواق غربي شبه الجزيرة العربية: سوق عكاظ التي عرفت بأهميتها التجارية العظيمة إلى جانب أهميتها من الناحيتين الاجتماعية والادبية. ففيها تباع أفخر الملابس وأطيب الخمر وأشهر أنواع الأسلحة، ويرد إليها من

الين البرود الموشاة وأحسن أنواع الطيوب، ومن الشام الزيوت والزبيب والخمور، ويبيع فيها الحرير والأحذية وشتى الأدوات المعدنية ويعرض فيها الرقيق. وقد يأتي إليها غازٍ بما سلب من أسلحة خصم قتله في غرة، فيرى ذوو المقتول سلاح قتيْلهم، فيترصدون بائعه، حتى إذا ظفروا به خارج السوق ثأروا منه لدم قريْبهم. وكان من عادة فرسان العرب المبرزين أن يأتوا السوق ملثمين، كي لا ينكشف أمرهم ويتعرف عليهم ذوو الثارات عندهم، فيذهبوا ضحية الثأر. وسوق عكاظ معرض لكثير من عادات العرب وأحوالهم الاجتماعية، ولحل بعض مشاكلهم السياسية، إذ كان يتم التحكيم بين القبائل المتحاربة ويتبادل الفرقاء المتخاصمون ديات قتلهم. ومن كان له أتاوة على قوم نزل على عكاظ فجاؤوه بها، ومن أراد إجارة أحد هتَفَ بذلك في السوق، ليعلم عامة الناس بذلك. والقبيلة التي تريد خلع أحد السفهاء من أفرادها ينادي مناديا بذلك فيها. وإذا أراد أحد أن يلحق آخر بنسبه أعلن ذلك. وفي السوق تعقد معاهدات الصلح والسلام، ويتفق المتخاصمون على دفع الديات. فالسوق كانت بمثابة جريدة من الجرائد الدورية والرسمية، أو بالاحرى وسيلة من وسائل الاعلام العامة. وإلى جانب كون سوق عكاظ معرضاً من معارض التجارة، وندوة من ندوات السياسة والاجتماع، فهي معرض من معارض الأدب والخطابة، إذ تعقد فيها حلقات الأدب والشعر، ويتناشد الشعراء قصائدهم، يحكم فيها أخصائيون يكونون في الغالب من فطاحل شعراء الجاهلية، ففي الروايات أن (نابغة بني ذبيان) كانت تضرب له قبة من آدم أحمر اللون في سوق عكاظ، يجتمع إليه فيها الشعراء، ويستمع إلى ما ينشدونه من قصائد فيعطي رأيه فيها. ولعل ما عرف باسم المعلقات هو ممّا كان يعجب به هذا الشاعر الكبير، وهذا يتم في كل موسم من مواسم السوق. ومعلقات الشعراء الجاهليين كثيرة، وهي من عيون الشعر في الجاهلية، ولعل تسميتها جاءت من تشبيهها لجودتها بالقلائد التي تعلق في نحور الغانيات. ولم يكن أقل من

ذلك شأن الخطباء والوعاظ، إذا يحتشد الناس حول أحدهم، وتشخص إليه الابصار، فيطلع عليهم بخطبة كخطبة قيس بن ساعدة الأيادي التي يقول فيها: (أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات،...) وهي معروفة^(٢٤). وكان إلى جانب سوق عكاظ أسواق أخرى أقل أهمية، مثل (مجنة) و(ذي مجاز) وهي قريبة من مكة. وفي يثرب وحوها قامت بعض الأسواق مثل سوق (بني قينقاع) في يثرب نفسها، حيث كان العرب يبتاعون مصنوعات اليهود الذهبية والمعدنية وغيرها، وقد اشتهر بنو قينقاع بالصياغة. كما وجد في يثرب سوق يقيمها النصارى من سكانها تسمى (سوق النبط)، والمعتقد أن نبط الشام كانوا ينزلون فيها للتجار بالحبوب، كما قام خارج يثرب وإلى مسافة غير بعيدة منها سوق بدر، حيث وقعت الواقعة الشهيرة في الإسلام بين الرسول وكفار قريش وهو موضع توفر فيه الماء.

حماية التجارة في الأسواق:

تعارف العرب على تقاليد يلتزمون بها في أمور تجارتهم، ومواسم حجهم إلى الكعبة. وهي تقضي بتحريم القتال خلال أربعة أشهر في السنة سموها الأشهر الحرم، ثلاثة منها متتابعة هي ذو القعدة، ذو الحجة، المحرم، وشهر واحد منفرد هو رجب الفرد، أو رجب الأصم، وربما كان السبب في تسميته (الأصم) كونه لا تسمع فيه قعقة السلاح. وكان من أعظم العار عندهم، أن يخرق أحدهم حرمة هذه الأشهر فيسفك فيها دماً، حتى تنقضي تماماً، وحتى يغادر الناس المكان الحرام، أي الكعبة وما يجاورها من أماكن محدودة المعالم، والحرب محرمة فيها طوال أيام السنة، فإذا لقي المرء قاتل أبيه ما وسعه التعرض له بسوء فيها. ولذا سمي العرب الحروب التي جرت بين كنانة وقيس عيلان في عكاظ باسم (حروب الفجار) لأنهم اقتتلوا في الأشهر الحرم، وامتدت اشتباكاتهم حتى الأماكن المقدسة. والسبب الذي حمل العرب على اتباع هذه التقاليد، هو حرصهم على توفير

جو من السلام والطمأنينة، خلال مواسمهم الدينية التي يشترك الناس والقبائل من أرجاء شبه الجزيرة العربية كافة فيها. وقد حرصوا على جعل أكبر أسواقهم تقام في الأشهر الحرم؛ لتوفير جو السلام والهدوء للتجارة أيضاً. فكانت سوق حُباشة وسوق صحار في رجب، وسوق حضرموت في ذي القعدة، وأسواق عكاظ ومجنة وذي مجاز في ذي الحجة^(٢٥)، بحيث لا ينتهي بيعهم وشراؤهم من سوق عكاظ حتى ينصرفوا إلى السوق التي تعقد بعدها، ويستمر تنقلهم على هذا المنوال طوال أيام السنة تقريباً. كما أن من الأسواق ما كانت تقام في غير الأشهر الحرم، الأمر الذي أوجب أن يكون قدوم الناس إليها بعروضهم التجارية بخفارة، ورجوعهم منها كذلك، خوفاً على هذه العروض من أن تكون نهباً مقسماً للصوص وقطاع الطرق. فتجارة العرب كانت أروج ما يكون حيث يستتب الأمن، ويعم الهدوء، وتعم الثقة. وقد تميزت مكة وما يجاورها من مناطق بهذه الميزة لمجاورتها الكعبة، فغنيت وازدهرت من التجارة، وفرضت نفوذها الأدبي على القبائل العربية كافة. بيد أن رعاية التقاليد الآفة الذكر ليست بالشيء المطرد على إطلاقه، بل قد يحدث أن بعض القبائل لا تعرف لهذه الحرمات حقاً، فتسفك الدم ولو في الشهر الحرام وفي البلد الحرام^(٢٦)، أو أن طالب ثأر لا يملك أعصابه حينما يشاهد قاتل أخيه أو أبيه فيقتله، الأمر الذي حمل القوم على التفكير في توفير الحماية لهذه الأسواق. وقد أُطلق على من يقومون بهذه المهمة اسم (الذادة المحرمين)، بينما أُطلق على الذين يهتكون حرمة التقاليد المتعارف عليها اسم (المُحِلين). ويشرف على مهمة الذود عن (التحريم) الملوك، إذا كانت الأسواق تعقد في أرض مملكة، أو رؤساء القبائل الذين تقوم الأسواق في جوارهم. والرئيس الذي يحمي السوق يلقب باسم (ملك السوق)، وربما تنافس رئيسا قبيلتين مجاورتين على ملكية السوق، فيجري الاتفاق بينهما على التناوب في القيام بهذه المهمة. وتتجلى سيادة الرئيس بأخذ العشر من التجار عملاً يباع، ويطلق عليه اسم (المكس)، وكان يقال للعشار

صاحب المكس^(٢٧).

وربما اعتبر بعضهم المكوس بمثابة غرامات ، وإلى ذلك يشير الشاعر (جابر ابن حنّ التغلبي) بقوله :

أفي كلّ أسواق العراق أتاوة وفي كلّ ما باع امرؤ مكس درهم

طرق البيع ومصطلحاته:

هناك طرق مختلفة للبيع والشراء عرفت في الجاهلية . وبعضها يبدو على شيء من الغرابة ، بحيث لا يختلف عما هو معروف لدينا الآن باسم (الحظ واليانصيب) ، وقد أبطلها الإسلام إثر قيامه . ولعل أشهرها طريقة بيع الحصاة التي كانت معروفة في سوق دومة الجندل .

وتتم على أشكال مختلفة ، كأن يقول البائع للمشتري : إرم هذه الحصاة على أي ثوب وقعت فهو لك بكذا من الدراهم . أو أن يعترض المشتري قطيعاً من الغنم فيقول له صاحبه : إرم حصاة (فأي شاة أصابتها فهي لك بكذا) . أو أن يبيع رجل من أرضه بقدر ما تنتهي إليه رمية حصاة بكذا من النقود . أو أن يقبض على كف من الحصى ويقول : لي بكلّ حصاة درهم ثمناً لكذا من الأشياء أو السلع التي يبيعها . أو أن يجتمع نفر على سلعة يساومون صاحبها عليها ، فأيهم رضي القى حصاته فيقع عليه البيع^(٢٨) .

ومنها بيع الملامسة: وذلك بأن يأتي البائع بثوب مطوي نهراً أو في ظلمة ، فيلمسه المستام ، فيقول له صاحب الثوب : «بعتكه بكذا شرط أن يقوم لمسك له ، مقام نظرك ، ولا خيار لك إذا رأيته ، فلا يقلب المشتري الثوب لا ليلاً ولا نهراً . ومن طرق بيوع الجاهلية :

بيع المعاومة: كأن يبيع الرجل ثمرة شجرة عامين أو ثلاثة أو أكثر . وهو بيع مجهول وغير مملوك .

بيع المزابنة: وهو بيع الرطب في رؤوس النخل بالتمر كيلاً، أي بيع شيء لا يسلم كيله ولا عدده ولا وزنه بمسمى من مكيل وموزون ومعدود، وقد يكون بيع معلوم بمجهول من جنسه، ويحتل فيه الغبن فهو بيع مغابنة. وسمي بيع المزابنة؛ لأنَّ أحد المتابعين إذا ندم زين صاحبه عما عقد عليه، أي دافعه في ذلك.

بيع التصرية: وتتلخص بأن الرجل إذا أراد بيع شاة أو ناقة امتنع عن حلها أياماً، فيحتفل اللبن في ضرعها فيعظم. فإذا كان ذلك منها عرضها للبيع، فيظن المشتري أن كثرة لبنها واحتفال ضرعها عادة مستمرة لها، فلا يلبث أن يتبين خطأه بعد شرائها. والتصرية تعني الجمع، يقال: صرَّ الماء في الحوض إذا جمعه. ومن بيوع الجاهلية بيع ما في بطون الحوابل من الحيوانات، وأخيراً هناك ما يقال له:

بيع النجش: وهو أن يواطئ البائع رجلاً آخر، فيحملة على امتداح بضاعته، أو أن يساومه عليها بثمن مرتفع، فينظر إليه ناظر يرغب في شرائها، فتجوز عليه الخدعة ويشترى السلعة بثمن مرتفع^(٢٩).

وأخيراً هناك:

بيع الناجز: وهو البيع المعروف لجميع الناس بآدين وحاضرين وذلك إذا كانت المبادلة يداً بيد. قالوا: بيع السوق ناجزاً بناجزاً أي حاضراً بحاضر^(٣٠).

الهوامش:

(١) Henri Mass: I. Islam. P. 10

(٢) Emile Dermenghem: Ibid. , pp. 24, 26.

(٣) claud cahen: L`Islamdes originesau Debutde l`Empire of toman, p. 10

إدوار بروي / القرون الوسطى / ص ١١١

(٤) Emile Dermenghem: Ibid, p _ 27.

(٥) Henri Massé: L `Islam, p. 21.

(٦) المصدر السابق.

(٧) Emile Dermacngnem: Ibid., pp. 27 _ 28.

(٨) Dermenghem, 29. أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ١٤

(٩) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول: ص ٩٣.

(١٠) المصدر السابق.

(١١) O `Ieary: Arabia nefore Muhammad, p. 184.

(١٢) أبو علي القالي: الأمالي: ١٩٩/٣، سعيد الأفغاني: أسواق العرب: ص ١٥٥-١٥٦.

(١٣) O `Ieary: Ibid., p. 182.

(١٤) د. جواد علي: مفصل تاريخ العرب قبل الإسلام: ٢٠٢/٤.

(١٥) الأفغاني: أسواق العرب: ص ٣٨.

(١٦) الصف: ١٠-١١.

(١٧) Dermenghem: Ibid, pp. 26, 29, 32.

(١٨) المصدر السابق.

(١٩) أحمد إبراهيم الشريف: مصدر سابق: ص ٢١٣.

(٢٠) د. جواد علي، مفصل تاريخ العرب ٤١٣/٤.

(٢١) د. عمر فروخ، العرب في حضارتهم وثقافتهم: ص ٨٦.

(٢٢) القلقشندي، نهاية الارب في معرفة انساب العرب: ص ٤٦٤.

(٢٣) الأفغاني، أسواق العرب: ص ٢٣٢-٢٣٨.

(٢٤) الأفغاني، أسواق العرب: ص ٢٧٧-٣١٥.

(٢٥) الأفغاني، أسواق العرب: ص ٧٠.

(٢٦) المصدر السابق: ص ٧٣.

(٢٧) المصدر السابق: ٥٦.

(٢٨) الآلوسي، بلوغ الارب ١/٢٦٤.

(٢٩) الافغاني، أسواق العرب: ص ٤٩-٥٤.

(٣٠) المصدر السابق: ص ٥٥-٥٦.

معجم ما كتب في الحجّ والزيارة... (٦)

عبد الجبار الرفاعي

- الدائرة بين مكة والبلاد  ص ٥٤٠-٥٤٢.
- ابن فضل العمري القرشي  دار القلائد فيما يتعلق بزمام
(٧٠٠-٧٤٩هـ)
وسقاية العباس من العوائد
ابن علان المكي
ظ: المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥
= (٣-٤/١٤١٠هـ)
١٠-١١/١٩٨٩م) ص ٢٠٥.
دار الأرقم بن أبي الأرقم أول 
مدرسة في الإسلام
أحمد العربي
المنهل (جدة) مج ٦: ج ١١-١٢
= (١١-١٢/١٣٦٥هـ)
١٠-١١/١٩٤٦م)
دار الندوة 
فؤاد طرزي
العربي ع ٣٥ (١٩٦١م) ص ٢٤-٢٧.
دار الهجرة وأهلها 
عزالدين الخطيب التميمي

- هدی الإسلام س ۲۶: ۱ع  دانستنی‌های پیش از سفر به
خانه خدا (۱۴۰۲هـ) ص ۸- ۱۴.
- داروهای حج  (بالفارسیه)
مهدی ملتجی طهران: ط ۱، ۱۳۷۱ش.
- داستان به حج رفتن مرد سفیه  (بالفارسیه)
مجهول المؤلف ط: سنا ۱۳۳/۲ «حکایت...»،
فهرستواره منزوی ۳۴۰/۱.
- داستان حج مالک (ملک) دینار  (بالفارسیه)
قصه حج مالک بن دینار،
مجهول المؤلف ط: فیلم‌ها ۲۶۹/۲، فهرستواره
منزوی ۳۴۸/۱.
- دانستنی‌های پیش از حج  عربستان سعودی و تاریخ مکه
ومدینه (بالفارسیه)
جعفر شهیدی طهران: دفتر تبلیغات و آموزش
حج، ط ۱، ۱۳۶۱ش، ۶۴ص.
- دانستنی‌های سفر حج  (بالفارسیه)
محمد علی بسطامی طهران: انتشارات مهدیه،
۱۳۵۰ش، ۱۵۰ص.
- دانستنی‌های شنیدی از فتح مکه  و جنگ حنین
(بالفارسیه)
محمد محمدی اشتهاردی قم: جماعة المدرسين في الحوزة
العلمية، ۱۳۶۸ش =

- (بالفارسية) ١٩٨٩م، ١٥٨ص.
- عباس بهلوان
طهران: انتشارات جاویدان،
١٣٥٢ش، ٢٠ + ١٥٨ص.
- 📖 در حريم دوست [خاطرات سفر
حج] (بالفارسية)
غلام حسين جمی
مِيقَات حج س ٢: ٥٤ (پائيز
١٣٧٢ش) ص ١٩٥ - ٢٠٠.
- 📖 الدر الثمين في معالم دار الرسول
الأمين ﷺ
غالي محمد الأمين الشنقيطي
جدة: دار القبلة - بيروت:
مؤسسة علوم القرآن، ط ٣،
١٤١١هـ - ١٩٩١م، ٢٧٠ص،
٢٤سم.
- 📖 در جستجوی اهداف و حکمتهای
مراسم حج
(بالفارسية)
محمد باقر حجتی
مِيقَات حج: ١٦٤ (تابستان
١٣٧٥هـ) ص ١٠ - ٢٨.
- ع ١٨ (زمستان ١٣٧٥ش)
ص ١٠ - ٢٨.
- 📖 در حريم بيت العتيق سفر به مکه
(بالفارسية)
عباس علي عميد زنجاني
طهران: وزارة الثقافة والارشاد
الإسلامي، ط ١، ١٣٦٦ش،
١٨٢ص، ٢١سم.
- 📖 در راه خانه خدا
(بالفارسية)

- عزالدين قلّوز
ترجمة: جعفر شهیدی
طهران: دانش نور، ط ١،
١٣٥٧ ش، ٢ ج.
در زیارت مدینه منوره
(بالفارسیه)
محیی لاری
مِیقَات حج س ٢: ٨٤ (تابستان
١٣٧٣ ش)، ص ١٤٤ - ١٤٨.
الدر الکمین فی ذیل العقد الثمین
فی تاریخ البلد الأمين
ابن فهد المکی
حققه ونشره: حمد الجاسر.
صدر عن: دار الیمامة للترجمة
والنشر
ظ: المنهل (جدة) س ٥٦: ٤٧٥
(٣ - ٤/١٠٤١٠ هـ =
١٠ - ١١/١٩٨٩ م) ص ٢٠٥.
در محضر نور امامان علیهما السلام در حجر
اسماعیل
(بالفارسیه)
محمد أمين پورامینی
مِیقَات حج. س ٤: ١١ (بهار
١٣٧٤ ش) ص ١٨٠ - ١٩٥.
الدر المنیف فی زیارة أهل البيت
الشریف
أحمد بن أحمد مقل المصري
فرغ منه سنة ١٢٦٧ هـ
خ: الخدیویة بمصر
ظ: ایضاح المکنون ١/٥٢٢،
الذریعة ٨/٧٩، معجم ماکتب عن
الرسول وأهل البيت صلوات الله
عليهم ٩/٥٤٤.
الدر النصیع فی زیارة النبي
وأئمة البقیع
محمد صالح بن أحمد آل طعان
ت ١٣٣٣ هـ.
خ: مكتبة السيد عبدالکریم بن
محمد الشیخ بالمنطقة الشرقية فی
السعودية.
الموسم مج ٣: ٩، ١٠ (١٤١١ هـ)،
ص ٤٤١.
دراسات عن الأضاحي ومدی
الاستفادة منها
حفیظ أحمد باشا وآخرون
جدة: جامعة الملك

- عبدالعزیز، ٤٦ ص.
- ❏ دراسات في تاريخ الدول العربية في عصور الجاهلية والنبوة والراشدين والأمويين (١-١٣٢هـ/٦٢٢-٧٤٩م) مصطفى أبو ضيف أحمد الدار البيضاء: دار النشر المغربية، ١٩٨٣، ٥٥٦ ص، خرائط، شجرات انساب.
- ❏ دراسات موسم الحج لعام ١٤٠٠هـ حفيظ أحمد باشا وآخرون جدة: جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ، ١٦ ص.
- ❏ دراسات موسم الحج لعام ١٤٠١هـ حفيظ أحمد باشا وآخرون جدة: جامعة الملك عبدالعزيز، ١٢٥ ص.
- ❏ دراسات موسم الحج لعام ١٤٠٢هـ حفيظ أحمد باشا وآخرون جدة: جامعة الملك عبدالعزيز، ٢١٠ ص.
- ❏ دراسة تاريخية لمساجد المشاعر المقدسة «مسجد الحنيف» و«مسجد البيعة» بمنى ناصر عبدالله البركاتي ومحمد نيسان سليمان مناع جدة: دار المدن، ط ١، ١٤٠٨هـ، ٢٦٠ ص، ٢٤ سم.
- ❏ دراسة جغرافية لموقع غزوات الرسول ﷺ ابراهيم حسن النصيرات الرياض: جامعة محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، ٤٠٠ هـ. (رسالة ماجستير).
- ❏ دراسة عن مواقع المساجد بمدينة مكة المكرمة عبدالعزيز بن صقر الغامدي مكة: مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤٠٦هـ، ٥٦ ص، ٢٤ سم.
- ❏ دراسة موجزة لبعض مؤلفات كرستيان سنكوك هورغروني عن تاريخ الجزيرة العربية عبداللطيف بن دهيش في: الندوة العالمية الأولى

يونس وهبي الرومي الحنفي
ط: المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥
(٣ - ٤ / ١٠٤١ هـ =

١٠ - ١١ / ١٩٨٩ م) ص ٢٠٥.

❏ در الفوائد المنظمة (يشتمل على

جل تاريخ مكة)

عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر
الأنصاري الجزيري، كان أمير
الحج المصري ما يقرب من نصف
قرن ت ٩٧٧ هـ

طبع سنة ١٤٠٣ هـ، ٣ مج

العرب. س ١٨: ع ٧ - ٨ (١)،
٢ / ١٤٠٤ هـ = ١٠، ١١ / ١٩٨٣ م)
ص ٤٣٣ - ١٤٨٠ (حمد الجاسر)

❏ درس هايی از فقه سیاسی اسلام

(اسرار، مناسك، أدله حج)

(بالفارسية)

د. م: صوت اسلام، ط ٢،
١٣٦٢ ش، ٤٦٤ ص، ٢٤ سم.

❏ درسهايی از حج

(بالفارسية)

مِيقَاتُ حَجِّ س ٢: ع ٥ (پائیز
١٣٧٢ ش) ص ٤١ - ٤٤.

لدراسات تاريخ الجزيرة العربية
(الرياض: ١٣٩٧/٥ هـ =
١٩٧٧/٤ م).

❏ دراسة نقدية لحال الحجاز قبل

الإسلام

عبد الأمير الأعسم

رسالة الإسلام (كلية أصول
الدين: بغداد) س ٢: ع ٣،
ص ٩٨ - ١١١.

❏ دراسة نقدية لطريق الحج بين

الكوفة ومكة

المنهل (جدة) مج ٣٩: ج ١
(١ / ١٣٩٨ هـ = ١٢ - ١ / ١٩٧٨ م)
ص ٢٦ - ٢٩.

❏ درب زبیده

طريق الحج من الكوفة إلى مكة

«دراسة تاريخية وحضارية أثرية»

سعد عبدالعزيز سعد الراشد
الرياض: دار الوطن للنشر
والإعلام.

❏ درر الحكم في أسرار مناسك الحج

والبيت الحرام

(رسالة)

درس هائي از ولايت با ضميمه

ع ٩ (١٤١١هـ) ص ٤٣٢.

سوغاتی از حج

الدرة الثمينة في فضل المدينة

(بالفارسية)

محمد بن محمود البغدادي الشافعي

د. م. د. ن. ط ١، ١٣٦٢ ش.

المعروف بابن النجار ت ٦٤٣هـ

الدرة الثمينة في أخبار المدينة

خ: مكتبة الحرم المكي الشريف في

مكة المكرمة

محب الدين محمد بن محمود بن

النجار ت ٦٤٣هـ

طُبِعَ في سنة ١٩٥٦م، (مع شفاء

تحقيق: صالح جمال

السقام)

بيروت: دار الفكر، ١٣٩١هـ.

ظ: الغدير ٩٩/٥، ١٠٤، ١٠٥،

الدرة الثمينة في تاريخ المدينة

ريحانة الأدب ٢٤٨/٨، فهرس

محمد بن جعفر بن هارون بن فروة

الفهارس والاثبات ٦٨٠، نشرة

الكوفي النحوي الشيعي من مشايخ

أخبار التراث العربي ع ١٨ (٣)،

النجاشي ت ٤٢٠هـ

٤/١٩٨٥م) ص ١١.

ظ: ريحانة الأدب ٢٤٧/٨،

الدرة الثمينة فيما لזائر قبر

الذريعة ٩٦/٨

النبي ﷺ إلى المدينة

الدرة الثمينة في زيارة

أحمد بن محمد بن يونس القشاش

المعصومين في المدينة

(٩٩١ - ١١٠٧هـ)

محمد صالح بن أحمد آل طعان

القاهرة: مطبعة التقدم العلمية،

الستري البحراني ت ١٣٣٣هـ.

١٣٢٦هـ، ١٥٧ ص.

(رتبه على اثني عشر باباً في أعمال

ظ: ايضاح المكنون ٤٥٧/١،

المدينة، فرغ منه سنة ١٣٢٥هـ)

هدية العارفين ١٦١/١، معجم

خ: مكتبة آل طعان في القطيف.

المطبوعات العربية لسركيس

ط: الذريعة ٩٥/٨، الموسم مج ٣:

١٧٢٠، معجم ما ألف عن

- رسول الله ﷺ ٣٥٤.
- ❏ الدرّة الفاخرة في زيارات العترة الطاهرة
- محمد صادق بن محمد النميني
اللكراني
ظ: الذريعة ١٠٦/٨، معجم ما
كتب عن الرسول وأهل البيت عليه السلام
٤٥٧/٩.
- ❏ الدرّة في أحكام الحج والعمرة
- سليمان بن أحمد آل عبد الجبار
القطيفي ت ١٢٦٦هـ
ظ: الذريعة ٨٩/٨، ٢٧٦/٢٢.
- ❏ الدرّة في مناسك الحج والعمرة (بالفارسية)
- محمد الفيروز آبادي اليزدي
النجف: المطبعة الحيدرية،
١٣٣٨هـ، ٣٩ص.
- ❏ الدرّة المضيئة في الزيارة المصطفوية
- علي بن سلطان القاري الهروي
ت ١٠١٤هـ
خ: في مكتبة حسن حسني باشا
٢٥١/١.
- (باسم الدرّة المضيئة في زيارة الروضة الرضوية) عارف حكمت، ٧٢ مجاميع.
- ظ: كشف الظنون ٧٤٣/٢،
ايضاح المكنون ٤٦٠/١، الذريعة
١٠٨/٨، معجم ما ألف عن
رسول الله ﷺ ٣٥٥.
- ❏ الدرّة المضيئة في الزيارة المصطفوية
- محمد أمين بن عابدين ت ١٢٥٣هـ
ظ: الغدير ١٢١/٥
- ❏ الدرّة المكّلة في فتح مكة المشرفة المبجلة
- محمد بن محمد بن عبد الرحمن
البكري الصديقي ٨٩٨-٩٥٢هـ
طبع في:
مصر: ١٢٨٧هـ، ١٢٨٢هـ،
١٠٤ص.
- مصر: ١٢٩٧هـ.
- المطبعة الميمنية: ١٣٠٠هـ
و ١٣٠٨هـ، ٨٤ص.
- مطبعة عثمان عبدالرزاق: ١٣٠١هـ
و ١٣٠٣هـ.

- المطبعة العثمانية: ١٣١٠هـ، (٦/١٩٩٠م) ص ٤-٥.
- ٧٩ ص. دروس وعبر من غزوة فتح مكة
- مصر: ١٣١٧هـ، ٦٣ ص. محمود شيت خطاب
- المطبعة الشرفية: ١٣٢٤هـ، مجلة درع الوطن (أبو ظبي) ع ٦٦
- ٦٣ ص، ١٩٣٥، ٢٠٠ ص. (محرم ١٣٩٧هـ) ص ٣٨-٣٩.
- القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، دروس وفتاوى في الحرم المكي
- ١٩٨٧م، ١٨٢ ص. محمد بن صالح عثيمين
- ظ: معجم المطبوعات لسركيس اعداد: بهاء الدين بن عبد المنعم آل
٥٨١. دحروج
- دروس حجة الوداع الرياض: مكتبة أولي النهى
- أحمد غراب بيروت: دار حضر، ط ٢،
- في: ندوة الحج الدولية (لندن: ١٤١١هـ، ٤٤٤ ص، ٢٤ سم.
- المعهد الإسلامي، ٤-٧ أغسطس درون كعبه در دو ديدار
- ١٩٨٢م). هادي فرهنگ انصاري
- دروس من السماء؛ الأضحى مِيقَاتُ حَج: ١٨٤ (زمستان
- ومشروعيتها ١٣٧٥ش) ص ١٨٦-١٩٩.
- اسماعيل الطحان دستور حج وعمره
- الرسالة الإسلامية (بغداد) ع ٩٩ (بالفارسية)
- ١٣٩٦هـ) ص ١٣-١٧. علي العلامة الفاني الاصفهاني
- دروس الوحدة والتضحية في لقاء النجف الأشرف: مط النعمان،
- الحج والاحتفال بعيد الأضحى ١٣٨٥هـ، ١٤٩ ص.
- محمد حامد أبو النصر دستور العمل في الحج والمزار
- لواء الإسلام (القاهرة) س ٤٥: ع ٤ باقر بن غلام علي التستري

- ت ١٣٢٧ هـ .
 ❷ دعاء عرفه للإمام علي بن الحسين عليه السلام
 مشهد: (د.ن) (د.ت)، ٢٠ ص.
 ❷ دعائي عرفه
 (بالفارسية)
 اعداد وتنظيم: معاونت آموزش وتحقيقات بعثه مقام معظم رهبري طهران: نشر مشعر، ١٣٧٢ ش، ٧٩ ص.
 ❷ دعائي عرفه امام حسين عليه السلام
 (بالفارسية)
 حسين عماد زاده اصفهاني طهران: مكتب قرآن، ١٣٥٣ ش، ١٢١ ص، ٢٤ سم.
 ❷ الدعوات والزيارات
 خ: الرضوية، ١٢٤ ص.
 ظ: فهرس الرضوية ٢/٢٩٣، الذريعة ٨/٢٠٥، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩/٤٧١.
 ❷ الدعوات والزيارات
 خ: الرضوية، تاريخ وقفها سنة ١٣٠٩ هـ.
- ت ١٣٢٧ هـ .
 ❷ دعاء عرفه للإمام علي بن الحسين عليه السلام
 طهران: انتشارات الغدير، ١٣٥١ ش، ١٦ ص، ١٧ سم.
 ❷ دعاها واذكار حج
 (بالفارسية)
 اصفهان: اداره كل ارشاد اسلامي، ط ١، ١٣٦٠ ش.
 ❷ دعاها واذكار مناسك حج، زيارات اعباب مقدسة مكة ومدينة
 (بالفارسية)
 حسين عماد زاده طهران: مكتبة سعدي، ط ١، ١٣٩٦ هـ.
 ❷ دعائي عرفه (روز شناخت)
 (بالفارسية)
 عبدالكريم بي آزار شيرازي طهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامي، ١٣٧٣ ش، ٦٤ ص، ٢٤ سم.
 ❷ دعائي عرفه
 (بالفارسية)

خ: سیهسالار في ٥٨ ص، سنة
١٢٥٠ هـ، بخط عبدالوهاب
الطباطبائي

ظ: فهرس سیهسالار ٥١/١،
الذريعة ٢٠٥/٨، معجم ما كتب
عن الرسول وأهل البيت عليه السلام
٤٧٢/٩.

الذريعة والزيارات

جلال الدين التبريزي

ظ: الذريعة ٢٠٤/٨، معجم ما
كتب عن الرسول وأهل البيت عليه السلام
٤٧٢/٩.

الذريعة والزيارات

خ: الرضوية في ٦٢ ص، سنة
١٢٢٧ هـ، بخط محمد حسين
المازندراني

ظ: فهرس الرضوية ٢٨٩/٢،
الذريعة ٢٠٥/٨، معجم ما كتب
عن الرسول وأهل البيت عليه السلام
٤٧٣/٩.

الذريعة والزيارات

عبدالحالقي اليزدي
خ: الرضوية

ظ: الذريعة ٢٠٤/٨، معجم ما
كتب عن الرسول وأهل البيت عليه السلام
٤٧١/٩.

الذريعة والزيارات

خ: الرضوية، في ٢٤٨ صفحة.
ظ: فهرس الرضوية ٨٨/٢،
الذريعة ٢٠٥/٨، معجم ما كتب
عن الرسول وأهل البيت عليه السلام
٤٧١/٩.

الذريعة والزيارات

خ: سیهسالار، في ٤٧٤ ص.
ظ: فهرس سیهسالار ٥٦/١،
الذريعة ٢٠٤/٨، معجم ما كتب
عن الرسول وأهل البيت عليه السلام
٤٧١/٩.

الذريعة والزيارات

خ: الرضوية، وقَّفها علي أصغر،
سنة ١٢٥٠ هـ، في ٢١٤ ص.
ظ: فهرس الرضوية ٢٩٦/٢،
الذريعة ٢٠٥/٨، معجم ما كتب
عن الرسول وأهل البيت عليه السلام
٤٧٢/٩.

الذريعة والزيارات

- ظ : فهرس الرضوية ٢/٢٨٩،
الذريعة ٨/٢٠٥، معجم ما كتب
عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام
٩/٤٧٢.
- 📖 الدعوات والزيارات
غلام رضا الخراساني
خ: الرضوية، في ١٦٠ ص،
تاريخها ١٢٧١ هـ.
- ظ : فهرس الرضوية ٢/٢٨٨،
الذريعة ٨/٢٠٤، معجم ما كتب
عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام
٩/٤٧٢.
- 📖 الدعوات والزيارات المأثورة
المعتبرة
دونها: علي بن عبد الخالق الحسني
الرازي، فرغ من بعض أجزاءها في
سنة ١١٧٥ هـ.
- ظ : الذريعة ٨/٢٠٤، معجم ما
كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام
٩/٤٧٢.
- 📖 دعوات فراموش نشدني
[خاطرات سفر حج]
(بالفارسية)
- محمد تقي باشاني
مِيقَاتُ حَجِّ س ٢: ٥٤ (پائیز
١٣٧٢ ش) ص ٢٠١ - ٢٠٨.
📖 دعوة ابراهيم واسماعيل عند رفع
القواعد من البيت
سامي البدري
مِيقَاتُ الْحَجِّ ع ١ (١٤١٥ هـ)
ص ٢٤٤ - ٢٧٨.
- 📖 الدعوة الإسلامية في عهدها
المدني: مناهجها وغاياتها
رؤوف شلبي
الكويت: دار القلم، ١٤٠٣ هـ =
١٩٨٣ م، ٥٧٠ ص، ٢٤ سم.
القاهرة: ١٩٨٥ م، ٦١٧ ص،
٢٤ سم، (موسوعة الدعوة
الإسلامية: ٣).
- 📖 الدعوة الإسلامية في عهدها المكي
رؤوف شلبي
القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية
الكويت: دار القلم، ط ٣،
١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م، ٦٧٢ ص،
١٧ + ٢٤ سم.
📖 الدعوة في عهدها المكي

- ممدوح عبدالعزيز الهياثي
الرياض: جامعة الإمام محمد بن
سعود الإسلامية، المعهد العالي
للدعوة الإسلامية، ١٤٠٤هـ
(رسالة ماجستير).
﴿ دعوة للعلماء لتبيين حدود
عرفات - مزدلفة - منى
حمد الجاسر
العرب س ٥: ع ٢ (١٣٩٠/٧هـ)
ص ٩٧، ٢٠٢، س ٦: ص ٣٧٥،
س ٢٠: ص ٤٧.
﴿ دلائل قدم جدة
عبد القدوس الانصاري
المنهل (جدة) حج ٢٣: ج ٤
(١٣٨٢/٤هـ = ١٩٦٢/٩م)
ص ٢٠٩ - ٢١٣.
﴿ الدلائل المُبينة في فضائل المدينة
يحيى بن علي القرشي الأموي
المالكي ت ٦٦٢هـ.
ظ: الغدير ٩٥/٥.
﴿ دلالات المسترشد على أن الروضة
(أي في المدينة المنورة) هي
المسجد
- جمال الدين محمد الرمي
ظ: كشف الظنون ٧٥٨/٢.
﴿ دلالة الحركة في مسيرة الحاج
عبدالرحمن حلي
نهج الاسلام (دمشق) ع ٦٤
(١٤١٦/١٢هـ - ١٩٩٦/٥م)
ص ٦٠ - ٦٤.
﴿ دليل الأنام في سبيل زيارت
بيت الله الحرام
(رحلة إلى مكة في سنة ١٢٩٧هـ
سجل فيها مشاهداته يومياً
بالفارسية)
سلطان مراد ميرزا حسام السلطنة
ظ: نسخه ها ٤٠٠٠/٦، استوري
١١٥٧/١، مجلس ٤٤١/٢ (الرقم
٦٩٣)، ملك ٢٥١/٢، فهرستواره
مزوي ٧٧/١.
﴿ دليل الحاج
بشير الزعبي
دمشق: دار الفكر، ١٩٨٠م،
٦٣ ص.
﴿ دليل الحاج
حسن الموسوي البجنوردي

- النجف: مط الأداب، ١٩٧٤م،
١٥٨م.
دليل الحاج
- شيت عوض العبد الله
الموصل: مط أم الربيعين، د. ت،
٥٤ص.
دليل الحاج
- عبد الوهاب الأعظمي
بغداد: دار البصري، ط ٤،
١٩٦٩م، ٥٦ص.
دليل الحاج
- محسن الطباطبائي الحكيم
النجف: مط النجف، ط ٢،
١٩٦٣م، ١٧٦ص (معه دليل
الحاج في أعمال المدينة وزيارة
القبور للسيد هادي الطباطبائي
الحكيم).
دليل الحاج
- محسن فهمي
التصوف الإسلامي (القاهرة)
س ١٠: ع ٦ (١٩٨٨/٦م) ص ٢٢
- ٢٥.
دليل الحاج
- محمد حسنين مخلوف
القاهرة: مكتبة مصطفى البابي
الحلي، ط ٣، ١٣٩٩هـ.
دليل الحاج
- هادي الطباطبائي الحكيم
النجف: مط النجف، ١٩٦٥م،
٨٢ص.
دليل الحاج
- يونس إبراهيم السامرائي
بغداد: دار البصري، ١٩٧٠م،
٤٨ص.
دليل الحاج إلى بيت الله الحرام
- السيد محمود الفيض المستوفي
القاهرة: الهيئة المصرية العامة
للكتاب، ١٩٦٨م، ٧٩ص.
دليل الحاج: بحث في بيان مناسك
الحج
- اعداد: البعثة الدينية - ديوان
الاوقاف
بغداد: مط الحكومة، ١٩٧١م،
١٨ص.
دليل الحاج: راهنماي قدم بقديم
الحجاج: همه با هم بسوي خدا

- (بالفارسية)
- ١٠ - ١١/١٩٨٩م) ص ٢٠٥.
- قـم: روح، ط ٣، ١٣٧٥ش، دليـل الحاج المصور ومناـسك الحج على المـذاهب الأربعة صالح محمد كمال مكة: دار الثقافة، ط ٩، ١٩٨٤م، ١٩١ص، ٢٤سم.
- دليـل الحاج: في رحلة التوبة والمغفرة محسن فهمي التصوف الإسلامي (القاهرة) س ١٢: ع ٦ (١٩٩٠/٦) ص ١٨ - ٢٢.
- دليـل الحاج الكامل في مناسك الحج والعمرة محمد عبدالعزيز الهلاوي القاهرة: مكتبة القرآن، ١٩٨٤م، ١٥٩ص.
- دليـل الحاج والعمرة الرسول ﷺ وكل ما يهم الحاج والمعتمر كمال أحمد محمد مبارك الإسكندرية: ١٩٨٦م، ١٠١ص.
- دليـل الحج والعمرة وزيارة المسجد النبوي رئاسة إدارة التحقيق العلمي وهيئة الفتوى والموعظ والإرشاد الرياض: ١٤٠٦هـ،
- دليـل الحج والعمرة وزيارة المدينة من كل فج لواء محمد صادق المصري (١٣٢٠ - ١٣٨٧هـ) [مطبوع ومؤلفه هو أول رحالة عربي قام برحلة استكشافية للحجاز] ظ: المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣ - ٤/١٤١٠هـ =

- ٦٥ ص، ١٧ سم .
- ❏ دليل الحجاج المصور
- إعداد: محمد حسين فلاح زاده
- تعريب: محمد حسن تبرائيان
- طهران: نشر مشعر، ١٤١٦ هـ،
- ١٠٨ ص .
- ❏ دليل الزائر في المدينة المنورة
- ابو الخير صلاح بن محمد كرنه
- المدينة المنورة: دار الهدى، ط ١،
- ٥٤ ص، ١٧ سم .
- ❏ دليل الزائرين
- عبدالعلي أديب الممالك
- ظ: بسوي أم القرى ١٤ .
- ❏ دليل الزائرين
- محمد رضا بن محمد القاسم
- الحسيني القزويني
- ظ: الذريعة ٢٥٨/٨، معجم ما
- كتب عن الرسول وأهل البيت عليه السلام
- ٤٧٣/٩ .
- ❏ دليل الزائرين وأنيس المجاورين
- في زيارة سيد المرسلين
- علي بن ابراهيم الشرواني المدني
- (ت ١١١٨ هـ)
- ظ: تحفة المحبين والأصحاب
- ٢٩٩، ايضاح المكنون ٤٧٨/١،
- العرب س ٣١: ج ٥، ١١٦،
- ١٢/١٤١٦ هـ) ص ٣٤٨ .
- ❏ الدليل الشامل للمملكة العربية
- السعودية
- زكي محمد علي
- المدينة المنورة: مكتبة الزمان
- لثقافة والعلوم، ١٣٧ ص،
- رحلي .
- ❏ دليل المتحيرين في مناسك الحاج
- والمعتمرين
- معزالدين محمد مهدي بن الحسن
- القزويني الحلي النجفي
- ت ١٣٠٠ هـ .
- ❏ دليل المجتاز بأرض الحجاز
- الحسن بن عمر بن حبيب
- العرب (الرياض) س ١٢: ج ٥ - ٦
- (١١ - ١٢/١٩٧٧ م)
- ص ٤٠٦ - ٤١٤ .
- ❏ دليل المدينة المنورة للحاج
- والزائر
- عبيدالله محمد أمين الكردي،

📖 دليل المناسك

محمد حسين فضل الله
بيروت: دار الملاك، ١٤١٦هـ،
٢٢٨ ص.

📖 دليل الناسك

(شرح استدلال علي منسك الحج
للميرزا النائيني)
محسن الحكيم

تحقيق: محمد القاضي الطباطبائي
تقديم: محمد باقر الحكيم
قم: مؤسسة المنار، ١٤١٦هـ،
٦٠٩ ص، ٢٤ سم.

📖 دور أجداد الرسول ﷺ في مكة

خالد صالح العلي
مجلة كلية التربية (البصرة) س ٣:
ع ٦ (١٩٨١م)، ص ٣١ - ٥٦.

📖 دور أجداد الرسول ﷺ في مكة

خالد صالح العلي
مجلة كلية التربية (البصرة) س ٣:
ع ٦ (١٩٨١م)، ص ٣١ - ٥٦.

📖 دور الحج في ترسيخ السلام في

العلاقات الاجتماعية
محمد مهدي الآصفي

وعبدالعزیز محمد الکابلی

المدينة المنورة: دار التراث، ط ١،
١٤٠٥هـ، ٢١١ ص، ٢٤ سم.

📖 الدليل المرشد للمدينة المنورة

اعداد: وكالة المنير للدعاية
والاعلان
جدة: ط ١، ١٤٠٧هـ، ١١٠ ص،
٢١ سم.

📖 دليل المسالك: شرح إحكام

المسالك في أحكام المناسك
سعيد بن خلف الخزرجي
مسقط: وزارة التراث القومي
والثقافة، ١٩٨٤م، ٧٦ ص.

📖 دليل المسلمين في زيارة أعمال

الحرمين
عبدالمجيد علي
النجف: مطبعة الغري الحديثة،
١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م، ٤٨ ص.

📖 دليل المناسك

محسن الطباطبائي الحكيم
النجف: مط الآداب، ط ١،
١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م، ٢٧٥ ص،
٢٤ سم.

- ميقات الحج ع ١ (١٤١٥هـ) ص ٢٨٩ - ٣٠٥.
- دور الحج في صياغة الشخصية المؤمنة من خلال الطرح القرآني نور الاسلام (بيروت) س ٢: ع ١٥ (١٩٩١/٥م)، ص ٤٢ - ٤٩.
- دور الحج في مسيرة التاريخ محمد باقر الصدر طهران: مؤسسة البعثة، ٥٢ ص، ٢١ سم.
- دور الحج في المسيرة التاريخية (دراسة لآراء الإمام الخميني في قضايا الحج) محمد علي حسين طهران: مؤسسة البعثة، ١٤٠٢هـ، ٤٩ ص، ٢١ سم.
- دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة أحمد إبراهيم شريف القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٨م، ٤٨٠ ص.
- دور دراسة ظاهرة الحج في تدعيم الفكر الإسلامي في مواجهة المناهج العربية المعاصرة حسن العنيقة طهران: مؤسسة الحج، ط ١، ١٤٠٥هـ، ٤٠ ص، ٢١ سم.
- دور علي عليه السلام في فتح مكة عفيف النابلسي ميقات الحج ع ٢ (١٤١٥هـ) ص ١٧٠ - ١٩٤.
- دور مكة التاريخي والثقافي علي عبدالرحمن أبا حسين مجلة قافلة الزيت مج ٢٠: ع ١٢ (يناير/فبراير ١٩٧٣م) ص ٤٣ - ٤٨.
- دولة الرسول ﷺ في المدينة أحمد إبراهيم الشريف الكويت: دار البيان، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م، ٣٢٤م، ١٤ × ١٩ سم.
- دولة الرسول ﷺ في المدينة محمد ممدوح العربي القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م، ٣٨٦ ص، ٢٥ ص.

- دولة المدينة بين أثينا ومكة
 (دراسة مقارنة)
 هاشم يحيى الملاح
 آداب الرافدين (جامعة الموصل)
 ع ٤ (١٩٧٢/٨م) ص ٦٠ - ٧٦.
- ديوان محمد أمين الزلي من
 شعراء المدينة في القرن الثالث
 عشر (دراسات حول المدينة
 المنورة)
 تحقيق وتقديم: محمد العيد
 الخطراوي
 المدينة المنورة: مكتبة دار التراث،
 ط ١، ١٤٠٥ هـ، ١٩٥ ص،
 ٢٤ سم.
- الدين وتاريخ الحرمين الشريفين
 عباس كرازه
 القاهرة: شركة فن الطباعة،
 ١٩٥١م، ٢٨ ص.
- القاهرة: دار مصر للطباعة،
 ١٣٨٤ هـ، ٢٢ + ١٤/٥ سم.
 مكة المكرمة: مركز الحرمين،
 ١٤٠٤ هـ، ٢١ سم.
- ديوان عمر بن إبراهيم البري من
 شعراء المدينة في مطلع القرن
 الرابع عشر (دراسات حول
 المدينة المنورة)
- تحقيق وتقديم: محمد الخطراوي
 المدينة المنورة: مكتبة دار التراث،
 ط ١، ١٤٠٥ هـ، ١٩٥ ص،
 ٢٤ سم.
- ذاتيتنا الإسلامية في ضوء حادثة
 تحويل القبلة
 حلمي عبدالمنعم صابر
 المجاهد (القاهرة ع ١٢٤
 ١٩٩١/٢م) ص ٤٨ - ٥٠.
- ذبائح منى
 عبدالعزيز بن باز
 المنهل (جدة) مج ٢٦: ج ٣
 (١٣٨٥/٣ هـ = ١٩٦٥/٧م)
 ص ١٥٥.

- ❏ ذبح الهدي للتمتع في مكة
إبراهيم النعمة
الرسالة الإسلامية (بغداد)
ع ١١٩ - ١٢٠ (١٣٩٨هـ)
ص ٥٥ - ٥٧.
- ❏ الذخائر القدسيّة في زيارة خير البريّة
عبد الحميد قدس بن محمد علي
(ت ١٣٣٥هـ)
القاهرة: المطبعة الميمنية،
١٣٢١هـ، ٢٢٨ ص.
- ❏ ذروة الوفاء في عمارة المسجد الشريف
نور الدين السمهودي ت ٩١١هـ.
خ: الصافي بمكتبة الملك عبدالعزيز
برقم ١٤٢.
- ❏ ذخائر المدينة المنورة في أسمائها وفضائلها وأدعية زيارة آثارها الشريفة
محمد سعيد الحنيزي
بيروت: دار الانتصار،
- ❏ ذراع مدينه
(بالفارسية)
مجهول المؤلف
ظ: ازبكيستان طاشقنده ٣١٥/٥،
فهرستواره منزوي ٢١٨/١.
- ❏ ذراع مدينه
(كُتب في ١٠٣٧هـ، بالفارسية)
قريشي
ظ: نشرية ٥١/٩، فهرستواره
منزوي ٢١٨/١.
- ❏ ذريعة الوصول إلى زيارة جناب حضرة الرسول ﷺ
عبدالغني بن عبدالجليل التلمساني
٧٢١هـ.

- ظ : كشف الظنون
١٨٢٨/٢ - ٢٠٠٠، هـ - مدية
العارفين ١/٥٩٠، معجم أعلام
الجزائر ٧٠، معجم ما كتب عن
الرسول وأهل البيت عليه السلام ١١/٢.
- 📖 ذكر حجة الوداع وترتيبها وصفتها
من حين خروج رسول الله صلى الله عليه وآله من
المدينة عامداً إلى مكة إلى حين
رجوعه
أبو محمد بن أحمد الظاهري، ابن
حزم ت ٥٦٤ هـ.
- خ : كتاهيه بتركيا برقم ٤٣ في
٦ ورقة (القرن العاشر الهجري)
ظ : نوادر المخطوطات العربية في
تركيا ١/٧٥، معجم ما كتب عن
الرسول وأهل البيت ١١/٢.
- 📖 ذكريات طيبة وبحوث حول أسرار
الحج والزيارة
هاشم محمد سعيد الدفتر دار
ظ : ١٣٧٠ هـ.
- 📖 ذكريات على تلال مكة
بنت الهدى
بيروت : دار التعارف
- للمطبوعات، ط ٢، ١٤٠٠ هـ،
٦٩ ص، ٢١ سم.
- مِيقَاتُ حَجِّ. س ٣: ع ٩ (پائيز
١٣٧٣ ش) ص ٢٢٥ - ٢٣٧،
ع ١٠ (زمستان ١٣٧٣ ش)
ص ١٧٦ - ١٩٢ (جواد محدثي).
- 📖 ذكريات على مشارف مكة
حسين شحاده
بيروت : دار التعارف، ط ١،
١٣٩٧ هـ، ٤٨ ص، ٢١ سم.
- 📖 ذكرياتي عن مدرسة الخياط بمكة
بكر شريف
المنهل (جدة) مج ٧: ج ١١ - ١٢
(١١ - ١٢/١٣٦٦ هـ =
١٠ - ١١/١٩٤٧ م)
ص ٥٤٦ - ٥٤٩.
- 📖 الذهب المسبوك في ذكر من حج
من الملوك
أحمد المقرئ ت ٨٤٥ هـ
مصر : ١٩٥٥ م.
- 📖 ذيل الانتصار لسيد الأبرار
عمر بن علي السمهودي
ظ : المدينة المنورة بين الأدب

- والتاريخ ١٠٠، العرب. س ٣١:  راه حج
ج ٥، ٦ (١١)، ١٢/١٤١٦هـ (بالفارسية)
ص ٣٤٨.
عالم بن داملا رحيم طاشقندي
ظ : ازبكيستان طاشقند ٥٤/٧،
فهرستواره منزوي ٢١٩/١.
 را خدا در مسائل اخلاقي
واجتماعي واماكن مقدسه مكة
ومدينة
ظ : ايضاح المكنون ٢١٧/١،
العرب. س ٣١: ج ٥، ٦ (١١)،
١٢/١٤١٦هـ ص ٣٤٨-٣٤٩.
 ذيل الدرّة الثمينة في أخبار
المدينة
أبو العباس الغرّافي
ظ : الاعلان بالتوبيخ ٢٧٤،
العرب. س ٣١: ج ٥، ٦ (١١)،
١٢/١٤١٦هـ ص ٣٤٩.
 رأيت في بلاد الله
ناصر قاسم
المنهل (جدة) مج ٢١: ج ١-٢
(١-٢/١٣٨٠هـ =
٧-٨/١٩٦٠م) ص ٦٠-٦٣
ج ٣ (٣/١٣٨٠هـ =
٨-٩/١٩٦٠م) ص ١٣٥-١٤٠.
قم: انجمن جوانان امام
صادق عليه السلام، ١٣٥٢ش، ٢٤ص.
 راهنماي اعمال حج از خاطرات راه
مكة
(بالفارسية)
م. ل.
طهران: (د. ن.)، ١٣٤١ش،

📖 راهنمای حاج، تاریخ جغرافیای

مكة واماكن متبركه وعتبات

عاليات ومشاهد مشرفة

(مناسك حج)

(بالفارسية)

عماد الدين حسين الاصفهاني

طهران: انجمن تبلیغات اسلامی،

ط ۱، ۱۳۲۷ ش.

📖 راهنمای حج در اماکن مقدسه

ومكة معظمه ومدینه منوره

جعفر وجدانی

طهران: ۱۳۵۷ش، ۲۶ص.

٢٠٣ ص، ٢١ سم.

📖 راهنمای حج - منظوم

غلام حسین امنای پور

ط—هران: ۱۳۴۹ش، ۳۲ص،

المحج والزيارة

۱۷ اسم.

📖 راهنمای حج و زیارتگاه‌های در

۱۳۷۱ ش، ۷۶ ص.

جهان اسلام

(بالفارسية)

شافعی با تعیین فاصله مکانها

ابراهيم وحيد دامغاني

(بالفارسية)

طهران: انتشارات رودکی، ط ۱،

مسعود قادر مرزی

۱۳۶۲ش، ۲۲۴ص.

- قـم: صاحب اثر، ط ١،
١٣٧٥ ش، ٦٤ ص.
راهنماي حرمين شريفين (بالفارسية)
ابراهيم الغفاري
منظمة الاوقاف والأموال الخيرية.
طهران: ط ١، ١٣٧٠ ش، ٥ ج.
راهنماي خانه خدا (مناسك مصور حج، بالفارسية)
الهيئة التحريرية لمؤسسة الثورة الإسلامية.
طهران: قسم اعلام الثورة الإسلامية، ط ١، ١٣٦٢ ش، ٢٠ ص، ٢٤ سم.
راهنماي زوار عتبات (دليل زوار العتبات، بالفارسية)
محمد عادلي
مطبوع
ظ: الذريعة ٣١٢/١١،
فهرستواره منزوي ٢١٩/١.
راهنماي زيارت خانه خدا يا دستور عمره مفرد (بالفارسية)
هاشم حميدي
د.م: (د.ن)، ١٣٥٥ ش، ٩٤ ص.
راهنماي سفر مكّه ومدينه (بالفارسية)
شهاب الدين المرعشي النجفي
ط: طهران.
راهنماي قدم بقدم حجاج: همه با هم بسوي خدا (بالفارسية)
عادل علوي
قـم: روح، ط ٣، ١٣٧٥ ش، ٢٨٠ ص، ٢١ سم.
راهنماي مسافرين خانه خدا (بالفارسية)
علي البسطامي
د.م: (د.ت)، ١٣٥٠ ش، ٨٠ ص، ١٧ سم.
راهنماي مصور حجاج (بالفارسية)
إعداد: محمد حسين فلاح زاده
[طهران]: مشعر، ط ٢،
١٣٧٣ ش، ١٦٤ ص.
طهران: مشعر، ط ٣،

- (بالفارسية) ١٣٧٤ ش، ١٢٠ ص. **راهنماي مناسك**
 (بالفارسية)
 شمس المحدثين الحسيني
 النجف: مط النعمان،
 ١٩٦٤م - ١٣٨٥هـ، ٢٣٢ ص.
 راهنماي مناسك حج
 (بالفارسية)
 محسن الحكيم
 د. م: (د. ن)، ١٣٤٥ ش، ٨٣ ص.
 راهيان خانه خدا
 (بالفارسية)
 محمد مراد قلي كلوخي
 د. م: المؤلف، ط ١، ١٣٦٤ ش،
 ١٢٨ ص.
 راهيان سفر روحاني مسافرت به
 مکه وسير در وطن در خدمت
 راهنما
 (بالفارسية)
 محمد رضا خاني وحشمت الله
 خان
 طهران: المؤلف، ط ١، ١٣٦٩ ش.
 راهيان كعبه سفيران انقلاب
 (بالفارسية)
 إعداد وتنظيم: مركز تحقيقات
 وانتشارات حج
 (د. م): فتر نماينده امام
 وسرپرست حجاج، ط ١،
 ١٣٦٨ ش، ١١٤ ص، رحلي.
 راهي به سوي كعبه
 (بالفارسية)
 مصطفى محمود
 ترجمة: إسماعيل هادي
 طهران: دفتر نشر فرهنگ
 إسلامي، ١٣٦٠ ش، ١١٩ ص،
 ٢١ سم.
 راهي به كعبه
 (بالفارسية)
 غلام علي رحيميان
 سمنان: (د. ن)، ١٣٥٨ ش،
 ١٥٧ ص.
 رؤية قصصية لواقعة تاريخية
 صارت من مناسك الحج
 فاروق حسان السيد
 منار الإسلام (أبو ظبي) س ٢٠:
 ع ١٢ (١٢/١٤١٥هـ =

- ١٩٩٥/٥م) ص ٣٠ - ٣٢. **الربذة**  **الربذة المقدسة**  رجال من مكة المكرمة العاصمة
- إبراهيم علي العياشي **الربذة ليست الحناكية**  **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- المنهل (جدة) مج ٢٦: ج ٩ (١٣٨٥/٩ هـ = ١٩٦٦/٩ م) **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- ص ٧٠٨. **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- زهير محمد جميل الكتبي **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- جدة: دار الفنون، ط ١، ١٤١٠ هـ، **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- ٢ ج. **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- رحالة دمشقي مر بنجد سنة ١١٢٠ هـ بعد عودة من الحج ومر **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- بالاحساء ثم العراق **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- مرتضى بن علي بن علوان (ت بعد **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- ١١٢٠ هـ) **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- العرب. س ٢٦: ع ٣ - ٤ (٩، **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- ١٠/١٤١١ هـ = ٣، ٤/١٩٩١ م) **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- ص ١٨٩ - ٢٠٥ (حمد الجاسر) **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- حمزة بن عبدالمطلب **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- عباس المهاجر **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- مِيقَاتُ الْحَجِّ. س ٣: ع ٥ **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- (١٤١٧ هـ) ص ١٩٩ - ٢١٧. **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- رجال من الحرمين الشريفين: **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- عبدالله بن عباس إيماناً وجهاداً **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- وعلماً **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- محسن الأسدي **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- مِيقَاتُ الْحَجِّ. س ٣: ع ٦ **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- (١٤١٧ هـ) ص ٢٣٦ - ٢٦٦. **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:
- مصادر تاريخ الجزيرة العربية ج ٢ **الربذة أين تقع؟**  **الربذة أين تقع؟**  رجال من الحرمين الشريفين:

- ١٩٧٩م) ص ٣٤٩-٣٥٦. (١٩٦٧/٣) ص ٤٨١-٤٨٤، ع ٧
 (١٣٨٧/١ هـ = ١٩٦٧/٤ م) ص ٥٨٨-٥٩٢
 ع ٨ (١٣٨٧/٢ هـ = ١٩٦٧/٥ م) ص ٦٩٢-٦٩٤، ٦٩٦
 ع ٩-١٠ (٣، ٤/١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧/٦ م) ص ٨٥٤-٨٥٧
 ع ١١ (١٣٨٧/٥ هـ = ١٩٦٧/٨ م) ص ١٠٠٧-١٠١١
 (١) رحلة إلى المدينة المنورة
 محمود ياسين
 سورية: دار الفكر المعاصر، ط ١،
 ١٩٨٧م، ٢٣٩ ص، ٢٤ سم.
 (٢) رحلة إلى وادي القرى
 صالح العمري
 المنهل (جدة) مج ٣٤: ج ١-٢
 (١-٢/١٣٩٣ هـ = ٣/٤/١٩٧٣ م) ص ٦٥-٧٠.
 (٣) رحلة البكري إلى الحج
 حمد الجاسر
 العرب س ٢٢: ع ٥-٦ (٦)،
 ١٩٨٧/٧ م، ص ٤٠٩-٤١٣.
 (٤) رحلة التميمي التونسي إلى الحج
 عبد العزيز بن عبد الله
 اللسان العربي (الرباط) مج ١٥: ج ١
 (١٩٧٧م) ص ٢١١-٢١٧.
 (٥) رحلات في بلاد العرب في شمال
 الحجاز والاردن
 عاتق بن غيث البلادي
 مكة المكرمة: دار مكة، ط ٢،
 ١٤٠٣ هـ، ٢٤٥ ص، ٢٤ سم.
 (٦) رحلات في قلب الحجاز
 عاتق بن غيث البلادي
 مكة المكرمة: دار مكة، ط ١،
 ٣٢٠ ص، ٢٤ سم.
 (٧) رحلة ابن طوير الجنة إلى الحجاز؟
 عبدالقادر زمامة
 مجلة معهد المخطوطات العربية
 مج ٢٥: ج ١، ٢ (١٩٧٩م) ص ١٦٩-١٨١.
 (٨) رحلة إلى طيبة
 حمد الجاسر
 العرب س ١: ع ٦ (١٢/١٣٨٦ هـ =

- محمد بن صالح القيرواني
ت ١٣٦٢هـ
العرب (الرياض) س ١٦: ع ١ - ٢
(٧، ١٤٠١/٨ هـ = ٥،
١٩٨١/٦م) ص ١٣٦ - ١٤٠.
ع ٣ - ٤ (٩، ١٤٠١/١٠ هـ = ٧،
١٩٨١/٨م) ص ٢٥٤ - ٢٥٨.
ع ٥ - ٦ (١١، ١٤٠١/١٢ هـ = ٩،
١٩٨١/١٠م) ص ٤٥٦ - ٤٥٩.
ع ٧ - ٨ (١، ١٤٠٢/٢ هـ = ١١،
١٩٨١/١٢م) ص ٥٦٠ - ٥٦٦.
ع ٩ - ١٠ (٣، ١٤٠٢/٤ هـ =
١٩٨٢/١م) ص ٧٥٧ - ٧٦٣.
ع ١١ - ١٢ (٥، ١٤٠٢/٦ هـ = ٣،
١٩٨٢/٤م) ص ٩٣٦ - ٩٣٩.
س ١٧: ع ٣ - ٤ (٩، ١٤٠٢/١٠ هـ
= ١٩٨٢/٦م) ص ٢٥٥ - ٢٥٨.
ع ٥ - ٦ (١١، ١٤٠٢/١٢ هـ = ٩،
١٩٨٢/١٠م) ص ٤٤٣ - ٤٤٦.
ع ١١ - ١٢ (٥، ١٤٠٣/٦ هـ =
١٩٨٣/٣، ٢، ٨٦٩ - ٨٧٩
(حمد الجاسر)
ع ٧: ع ٩٧ - ٩٨ (القاهرة) س ٩٧: ع ٧
(١٩٩٠/٧م) ص ٦٦ - ٧٣.
رحلة الحج في القرن ١٩
- الصابي الكلبايجاني
مطبوعة
رحلة الحج
آية الله الطالقاني
مطبوعة
رحلة الحج
محمد حسن جان هندي
ظ: الفهرس المشترك
للمخطوطات الفارسية ١٠/٦٧.
رحلة الحج إلى بيت الله الحرام
محمد الأمين الشنقيطي
جدة: دار الشروق، ط ١،
١٤٠٣هـ، ٢٨٧ ص، ٢١ سم.
رحلة حج البيت
إبراهيم بن درويش محمد
الكازروني
ظ: الذريعة ١٢/١٨٦.
رحلة الحج شحنة روحية ألهمت
الفنان المسلم
عبد المنعم البداوي
الهلال (القاهرة) س ٩٧: ع ٧
(١٩٩٠/٧م) ص ٦٦ - ٧٣.
رحلة الحج في القرن ١٩

- الحسن الغسال
إعداد: عبدالعزيز التسماني
العربي ع ٢٧٩ (٢/١٩٨٢م)
ص ١٧٥.
- ظ : الفهرس المشترك
للمخطوطات الفارسية ٦٢/١.
- الرحلة الحجازية
ابن عثمان المكناسي
ظ : فهرس الفهارس والاثبات
٤٠٠، معجم ما كتب عن الرسول
وأهل البيت عليه السلام ٢٨/٢.
- رحلة الحج ودليل الحجاج
حسين ذو القدر شجاع
مطبوعة.
- الرحلة الحجازية
أحمد بن طوير الجنة الحميري
الشنگيطي
ظ : فهرس الفهارس والاثبات
٢٧٢، معجم ما كتب عن الرسول
وأهل البيت عليه السلام ٢٨/٢.
- رحلة الحجاز
إبراهيم بن عبدالقادر المازني
(١٣٠٨ - ١٣٦٨هـ)
العرب. س ٢٦: ع ٣ - ٤ (٩)،
١٠/١٤١١هـ = ٣، ٤/١٩٩١م)
ص ٢٠٨ - ٢١٣ (حمد الجاسر)
- الرحلة الحجازية
أبو العباس أحمد بن عبدالعزيز
الهلالي السجلهاسي
(١١١٣ - ١١٧٥هـ)
ظ : فهرس الفهارس والاثبات
١١٠١، معجم ما كتب عن
الرسول وأهل البيت عليه السلام ٢٨/٢.
- رحلة الحجاز
عبدالغني شهبندر
بيروت: ١٩٣٧م.
ظ : معجم ما كتب عن الرسول
وأهل البيت عليه السلام ٢٧/٢.
- الرحلة الحجازية
أبو العباس أحمد بن قاسم بن أبي
عبدالله محمد ساسي التيمي البوني
- رحلة الحجاز
محمد حسين الشهرستاني
ظ : الذريعة ١٢/١٩٦.
- رحلة الحجاز
هدايت علي بن شيخ فضل علي

- من بونه المعروفة الآن بعنابه في
الجزائر (١٠٦٣ - ١١٣٩هـ)
ظ : فهرس الفهارس والاثبات
٢٣٧، معجم اعلام الجزائر ٩٧،
معجم ما كتب عن الرسول وأهل
البيت عليه السلام ٢٨/٢.
- الرحلة الحجازية
السيد الجيلاني الاسحاقي
ظ : فهرس الفهارس والاثبات
٩٧، ١٢١، ٤٢٨، ٤٢٩، ٩٣٥،
١١٥٧، معجم ما كتب عن
الرسول وأهل البيت عليه السلام ٢٨/٢.
- الرحلة الحجازية
عبدالله صوفان بن عودة بن عبدالله
القُدومي النابلسي الحنبلي
(١٢٣٧ - ١٣٣١هـ)
ظ : فهرس الفهارس والاثبات
٩٤٠، معجم ما كتب عن الرسول
وأهل البيت عليه السلام ٢٩/٢.
- الرحلة الحجازية
(لم تكمل)
عبدالقادر أحمد بن أبي جيدة
الكوهن الفاسي
ظ : فهرس الفهارس والاثبات
٤٩٢، ٧٥٢، معجم ما كتب عن
- أبو العباس أحمد بن محمد بن داود
ابن يعزي بن يوسف الجزولي التلي
الهشتوكي ت ١١٢٧هـ.
ظ : فهرس الفهارس والاثبات
١١٠٣، معجم ما كتب عن
الرسول وأهل البيت عليه السلام ٢٨/٢.
- الرحلة الحجازية
الحسين الورتلاني الزواوي
ظ : فهرس الفهارس والاثبات
٢٣٩، ٣٥٥، معجم ما كتب عن
الرسول وأهل البيت عليه السلام ٢٨/٢.
- الرحلة الحجازية
حمد الجاسر
العرب. س ١٧: ع ١١ - ١٢ (٤)،
١٤٠٣/٥ هـ = ٢، ٣/١٩٨٣م)
ص ٨٥٧ - ٨٦٩.

الرسول وأهل البيت عليه السلام ٢٩/٢ . الرحلة الحجازية

(لم تكمل)

محمد بن جعفر الكتاني

ظ : فهرس الفهارس والاثبات

٥١٧، معجم ما كتب عن الرسول

وأهل البيت عليه السلام ٢٩/٢ .

الرحلة الحجازية

(وصف لرحلة حج عباس ابن

حلمي الثاني خديوي مصر سنة

١٣٢٧هـ)

محمد ليب البتنوني ت ١٣٥٧هـ

القاهرة: ١٣٢٩هـ، ٣٣٤ص .

الرحلة الحجازية

محمد يحيى بن محمد المختار الولاقي

بيروت: دار الغرب الإسلامي،

ط ١، ١٩٩٠م، ١٦٤ص .

الرحلة الحجازية الأولى

محسن الأمين العاملي

ت ١٣٧١ش .

ظ : الذريعة ١٠/١٦٨ .

الرحلة الحجازية (الأولى)

شمس الدين محمد بن الطيب

الفاسي المدني الشركي

الرحلة الحجازية

عبدالمجيد الزبادي

ظ : فهرس الفهارس والاثبات

٣٥٥، معجم ما كتب عن الرسول

وأهل البيت عليه السلام ٢٩/٢ .

الرحلة الحجازية

فضل الله حجازي، علي رضا

حجازي

مِيقَاتُ حَجَّ: ١٦٤ (تابستان

١٣٧٥ش) ص ١٦٢ - ١٩٠ .

الرحلة الحجازية

محمد بن أحمد بن عبدالله الجزولي

(١١١٨ - ١١٨٩هـ)

ظ : فهرس الفهارس والاثبات

٣٥٢، معجم ما كتب عن الرسول

وأهل البيت عليه السلام ٢٩/٢ .

الرحلة الحجازية

محمد بن التهامي بن عمرو

ت ١٢٤٤هـ

ظ : فهرس الفهارس والاثبات

٢٨١، معجم ما كتب عن الرسول

وأهل البيت عليه السلام ٢٩/٢ .

- (تقرير عن سفر الحج) (١١١٠ - ١١٧٠ هـ)
 محمد حسين بن حمد الحلي
 ت حدود ١٣٥٤ هـ.
 د.م: د.ن)، ١٣٢٩ هـ.
- 📖 الرحلة الحجازية الثانية
 محسن الأمين العاملي ت ١٣٧١ هـ.
 ظ : الذريعة ١٠/١٦٨.
- 📖 الرحلة الحجازية الثانية
 مصطفى البكري الصديقي
 ظ : فهرس الفهارس والاثبات
 ٢٢٣، معجم ما كتب عن الرسول
 وأهل البيت عليه السلام ٢/٣٠.
- 📖 رحلة عبدالساعي الدرعي المتوفي
 سنة ١٢٣٩ هـ
 (رحلة إلى الحج) 📖
 الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٢ هـ،
 ١٧٧ ص.
- 📖 الرحلة الحجازية الثالثة
 محسن الأمين العاملي ت ١٣٧١ هـ
 ظ : الذريعة ١٠/١٦٨.
- 📖 رحلة الحرمين
 (في مناسك الحج، بالفارسية)
 عبدالله بن أبي القاسم البلادي
 البوشهري
 مطبوع
 ظ : الذريعة ١٠/١٦٨.
- 📖 الرحلة المقدسة إلى بيت الله الحرام
 نزيه مؤيد العظم
 القاهرة: مطبعة عيسى البابي،
 ١٩٣٧ م.
- 📖 الرحلة الحجازية الثانية
 محسن الأمين العاملي ت ١٣٧١ هـ.
 ظ : الذريعة ١٠/١٦٨.
- 📖 الرحلة الحجازية الثانية
 مصطفى البكري الصديقي
 ظ : فهرس الفهارس والاثبات
 ٢٢٣، معجم ما كتب عن الرسول
 وأهل البيت عليه السلام ٢/٣٠.
- 📖 رحلة عبدالساعي الدرعي المتوفي
 سنة ١٢٣٩ هـ
 (رحلة إلى الحج) 📖
 الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٢ هـ،
 ١٧٧ ص.
- 📖 الرحلة الحجازية الثالثة
 محسن الأمين العاملي ت ١٣٧١ هـ
 ظ : الذريعة ١٠/١٦٨.
- 📖 رحلة الحرمين
 (في مناسك الحج، بالفارسية)
 عبدالله بن أبي القاسم البلادي
 البوشهري
 مطبوع
 ظ : الذريعة ١٠/١٦٨.
- 📖 الرحلة المقدسة إلى بيت الله الحرام
 نزيه مؤيد العظم
 القاهرة: مطبعة عيسى البابي،
 ١٩٣٧ م.

- عبدالله عبدالمطلب بوقس ١٠٥ .
 بيروت : المؤلف ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ،  رحلة مكة
 مجهول المؤلف ٢٣٩ ص ، ٢٤ سم .
 بيروت : المؤلف ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ ،
 ٢٤ ص ، ٢٤ سم .
 رحلة مكة
 مجهول المؤلف
 ظ : مجلة العرب س ٣٢ : ج ١ ، ٢
 (٧ - ٨ / ١٧٤١ هـ =
 ١١ - ١٢ / ١٩٩٦ م) ص ٣١ .
 ظ : آشنائي با چند نسخه خطي